الكاتبة والأديبة

هـنـد الـهـلاوى

هند الهلاوى

غــزال جــريــح

رواية فى ثلاثة أجزاء

١	العزف على أوتار الطفولة
٢	سجينة خلف أسوار الجمال
٣	أنوثة ممزقة

طبعة أولى أكتوبر ٢٠١٩

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	غزال جريح
المؤلف	هند الهلاوى
التصنيف	رواية (من ثلاثة أجزاء)
رقم الإيداع القانونى	١٠٢٣٦ ـ ٢٠١٩
الترقيم الدولى	٩٧٨-٩٧٧-٦٦٥٦-٥٤-٣
عدد الصفحات	٣١٨ صفحة
رقم الإصدار الداخلى	٤١١ الطبعة الأولى أكتوبر ٢٠١٩
المقاس	٢٥ x ١٧
المراجعة والتدقيق	مؤسسة النيل والفرات
تصميم الغلاف والإخراج الفنى	مؤسسة النيل والفرات



الإهـــــــداء

إلى كل قراء هذه الروايه

عسى أن تنال إعجابكم فهى بعض منى

هند الهلاوى

المقدمة

اشتهى طفله ، وعندما رزقه الله بها ، عزف على أوتار طفولتها ، وفى أول أيام حياتها حكم عليها بأن يكون لها إسم غير إسمها ، وعمر غير عمرها ، وحياة ليس بحياتها ، وأن تدفع مشاعرها وأحاسيسها ، وأورثها بين ضلوعها طفله ممزقه وتركها تعزف على أوتار الزمان لحنها الحزين ، بدموع لم تفارقها وأسئله كثيرة لم تجد لها أجوبة ،وظل وجدها وكيانها وعقلها يتساءل ، هل يحق للآباء أن يعزفوا على أوتار بناتهم،

حين يعزف الأباء الألحان على أوتار كيان الفتيات القاصرات، ويعطى لنفسه الحق فى تحديد النغمات التى تجعلهم يتراقصون على الحبال فى سيرك الحياة، ومن ثم يعزف على أوتار طفولتهن البريئة لحنا مميتا ، لكونه كان سببا في وجودها على متن سفينه الحياة، وتركها تصارع الموت داخل البحار وتتعرض للعواصف وهياج الأمواج وتتراقص مع الرياح ولم تجد مرسى لها على شاطئ الحياه ،حتى يثبت الأب رجولته على حساب حق الأنثى ، ويحرمها من إستخدام حقها الشرعى فى إختيار شريك حياتها ، وتحديد مصيرها ،

فكانت النتيجة الطبيعية، لهذا الحن المميت ، أن والدها تركها تصارع الموت وتحارب كيانها ووجدها ، وتتمنى أن تزهق روحها من داخل هذا الوجد الممزق، الذى حكم عليه بتناثر أشلائه مثلما تتناثر رمال الصحراء من شدة الرياح والعواصف ،وتحليق الروح بين السماء والأرض، مثلما يحلق العصفور بين السحاب ، فيخفت الضوء من كثرة الضباب ، ليحجب عنه ضوء النهار ودفء الشمس ، ولم يعثر على غصن شجرة يحط عليها ، بعد تحليق دام شهور بين السماء والأرض ،وأصبحت هذه الروح سجينة بين أسوار جمالها ،ولم يعلم كيف ومتى سوف يعطيها سجانها الإفراج بعد مضى مدة عقوبتها ، لكونها أنثى لأب تملكه الغرور والكبرياء ، ولم يعلم أن { الله } كرم الأنثى حين أعطاها الحق فى إختيار الرجل الذى سوف يكون لها سند وحصن أمان من تراقص الرياح ، وأمان من غدر الزمان، وحضناً يحتوي ضعفها وقوتها ويشعرها بالحب والحنان والعطف ، وأن {الرسول الكريم} قال إستوصوا بالنساء خيرا ، ولكن هيهات من يعى حديث الرسول {صلى الله عليه وسلم } وعندما يفوت الأوان يدرك الأباء أخطاءهم ، ويحاولون إيجاد العلاج الملائم للجراح التى تسببوا فيها ، ولكن كيف هل يتم علاج الجراح بعلاج يسبب للجرح الغرغرينة ، ويجعل المريض يتمنى بتر القلب الذى تم حقنه بمثل التكبر والغرور، وبعد فوات الأوان يبتسمون بوجوهنا ، ثم يواروا وجوههم حتى تلمع دموع قلوبهم

وتنزف أعينهم ، لم يدرك الآباء أن الله خلق الأنثى مثل الزهرة التى تتفتح على غصن شجرة من الشوك ومن أراد قطفها قبل أن تتفتح أوراقها وتتناثر عبيرها ورحيقها ، فقد حكم عليها بموت وجدها وكيانها ، وهى برعم صغير لم يكتمل نموه حتى تقدر على مقاومة العوامل الجوية ، ولكن بعد ما يشعر كل منهما بالندم ،

يجعلهم الألم صامدين رغم تدفق الدماء من جراحهم ،وعزيمتهم لم تعرف اليأس ، فهل الغرور والتكبر جعلهم يتحاملون على آلامهم وأحزانهم ، فلا يشعر أحد بوجدهم المتناثر من شدة الندم ،

لو أن كل أب يعلم أن بتفكيره البدائى المتعنت المغرور المتكبر ، أنه يدمر حياة القاصرات ، ويترك إبنته فى مهب الريح ، ويرسلها إلى الهاوية ، إما جسدا بلا روح ، أو جثه هامدة فقدت حياتها بيدها لإعتقادها أن { رحمة الله وسعت كل شئ } ، وهى مشتتة الفكر وشاردة العقل ، أو تصبح فتاة ليل مثل العاهرات التى تدفن آلامها وأحزانها فى أحضان من يدفع لها الثمن ، أو تصبح جسدا بلا قلب ولا مشاعر ولا أحاسيس ويبقى فؤادها فى الحياه مثل الأموات، وهى على قيد الحياة ، مثل هذا الغزال الجريح ، الذى احتفل على أشلائه أب مغرور متعنت ، وزوج أرعن كل مايبتغيه من جسد طفله هو إرضاء متعته وإخماد نيران وجده من جسد تناثرت دمائه ، وسقى منه الثرى

هند الهلاوى

الجزء الأول

العزف علي أوتار الطفولة


3DLAT.COM

الجزء الأول

العزف على أوتار الطفولة

عاد محمد من الحرب بعد انتصارنا في حرب ألف تسعمائة وثلاثة وسبعين ميلاديا ، عاد ومعه فرحة كبيرة لقريته التي يقيم بها ، عاد ومعه نصر أكتوبر بعد فقدانه وانقطاع أخباره لمدة شهرين بعد انتهاء الحرب ، عاد مع دقات الساعة الواحدة بعد منتصف الليل السابع من ديسمبر من نفس العام وكان يوما شديد البرودة ، دق باب المنزل فخرجت زوجته صفاء .

صفاء : من الطارق ؟!

قال الطارق: محمد زوجك افتحي الباب .

ولكنها شعرت أن نبرة الصوت ليست نبرة صوت زوجها ، فقد كان صوته قويا ذا نبرة مميزة ، فنظرت من النافذة قبل أن تهبط من الدور الثاني لتفتح له الباب فوجدته يقف مستندا على حائط المنزل مرتديا زيه العسكري ويضع علي رأسه القبعة العسكرية ، وقد كان فارع الطول ، نحيفا ، شعره بني ناعم ، عيونه ملونة بكل الألوان ووجهه أحمر مثل الأتراك

فتحت صفاء الباب وسط لهفة شقت ضلوعها ، فنظر إليها ونظرت إليه وفي عينيها شوق ولهفة وحنين عميق ، تخيلت أنه يضمهاويجرفها داخل أعماق صدره ليشبع رغبة الشوق التي بداخلها ، فنظر إلي عينيها السوداوين وشعرها المنساب علي كتفيها ووجهها الأبيض المضئ ووجنتيها اللتين تشبهان لون التفاح وشفتيها مثل حبتى الفراوله وعودها الطويل الملفوف ، ولكن مع كل هذا الجمال لم يؤثر في خاطره .

عاد محمد من الحرب منهك وكأنه لايشعر بحواسه المشتاقة ، صافحها باليد ،سلاما فاترا ليس به أي إهتمام ، لكنه فرح عندما وجدها علي وشك الوضع فأمسك بيدها وذهبا معا إلي غرفتيهما وخلع ملابسه وتوضأ .

محمد : صفاء أحضري لي الطعام أنا جائع .

قامت صفاء: لإحضار الطعام .

ذهب محمد ليري طفله أكرم فوجده نائما على فراشه والغطاء مرفوع عنه فأسرع وبسط عليه الغطاء وقبله وتركه ولم يستطيع أن يوقظه من نومه خوفا عليه من شدة البرد ، خرج من غرفته وأغلق الباب، ذهب إلى الحمام ليتوضأ ويصلى ركعتين ليشكر الله علي عودته سالما من الحرب.

عندما عادت صفاء بالطعام وجدته قد خلد لنوما عميقا وقالت لنفسها : محمد يحتاج للنوم أكثر من الطعام فرجعت إلي المطبخ لتضع به الطعام وعادت إلي الفراش بجوار زوجها .

حتي طلوع الفجر، ذهبت صفاء وأبلغت والدته التي تقيم معه في نفس المنزل ،غرفتها التي تقيم بها بالدور الأول، دقت عليها الباب ، بعد أن سمحت لها بالدخول وقفت علي الباب وفي عينيها بسمة .

نظرت لها أم محمد وقالت لها مابك ؟! وما الأمر الذي يضحكك ؟!

صفاء : محمدا قد عاد من الحرب .

ففرحت والدته كثيرا لعودة ابنها من الحرب وقالت سوف أذبح بقرة وأعطيها للفقراء لأشكر الله علي عودة إبني سالما من الحرب

صفاء : ياأمي سوف أذهب لأحضر الإفطار وأوقظه من النوم ، وعندما دخلت عليه الغرفه وجدته قد أفاق من نومه وجلس علي سجادة الصلاة ، فجلست بجواره .

محمد : هل أيقظت والدتي من النوم ،أبلغتها بوصولى ، صفاء : نعم

محمد : سوف أذهب لأراها وأسلم عليها .

صفاء : أريد أن أتحدث معك .

محمد : وهو يخرج من الغرفه مسرعا سوف أذهب دقائق ثم أعود إليك ،

و ذهب إلي غرفة أمه ودخل عليها دون استئذان ، فوجدها تقيم علي سجادة الصلاة تصلى فجلس أمامها يراقبها ويتذكر كيف كانت ، ويتحدث مع نفسه : والدتي أصبحت ضعيفة وهزيلة بعد أن كانت قوية، وبشرتها أصبحة شاحبه بعدما كانت قمحية اللون وشعرها الأسود أصبح أبيضا ووجهها بعد نضارته أصبح ذابلا ومجهدا من المرض ، وعندما تقوم من السجود وجد ظهرها منحنى بعد أن كانت مشدودة العود ، كانت متوسطة الطول وجسدها الممتلىء أصبح نحيفا ، لاحظ كل هذه التغيرات التي طرقت علي أمه في الفتره التي كان بها في الحرب ، كانت ترتدي ثوبا لونه أسود وبه نقوش بيضاء وتضع علي رأسها شالا من القطيفه أسود اللون ، وعيناها يتساقط منها الدموع وهي تتضرع بالشكر لله علي عودة ابنها الصغير ، فكان محمد أصغر أبنائها عمرا ولكنه كان أكبرهم حكمة ، وبعد أن ختمت صلاتها فردت ذراعيها وهى تبكى وتقول له تعال ياصغيري في أحضان أمك حتي أروي عطش قلبى من لهفته عليك .

أسرع محمد واندفع في أحضان أمه وظلا يبكيان هما الإثنين ، وبعد أن قام من جوار أمه ذهب إلي غرفته ليجلس مع زوجته ، وبعد جلوسه فوق الفراش جلست بجواره لتعرف منه أخباره وتحكي له كل أخبار المنزل في الفتره التى غاب فيها وابتعد عن المنزل ، وبعد مرور ساعه سمع محمد ضجيج في الشارع ، فقام ونظر من الشرفه فوجد صديقه الشيخ حسن ومعه جمع من رجال القرية والأصدقاء والأقارب والمعارف قد جاءوا جميعا بعد علمهم بوصوله من الحرب ليسلموا عليه ويطمئنوا علي حاله .

هبط محمد من الطابق الثانى إلى الطابق الأول وفتح لهم الباب الخلفى الذى يطل على المضيفه التى توجد بالحديقه .

بعد رحيلهم ذهب ووقف أمام المنزل الذى يطل علي فرع من نهر النيل وتوجد أمام المنزل شجرة عملاقة من أشجار الجميز وفي الجهة الأخرى علي اليسار توجد أشجار النخيل فنظر إلي المنزل ونظر إلي الحديقه التي كانت علي مساحه ألف متر والمنزل كانت مساحته أربعمائة متر مبني من الطوب الحجري وله سقف من الألواح الخشبية ومصمم علي أشكال المنازل القديمة ويتكون من طابقين الطابق الأول به حظيرة للمواشي ويوجد لها باب يفتح علي شارع جانبي وعدد من الغرف والمطبخ وغرفة والدته وباقي الغرف يوجد بها خزين المنزل وبعض من الغرف المغلقة ، وفي الطابق العلوى يوجد غرف النوم ،

وعدد من النوافذ المصنعة علي طراز الأرابيسك ، وبه تراث مزخرف بأخشاب ونقوش الأرابيسك ، فوجد الحديقه مهملة لا أحد يراعي أشجارها ولا أحد يقوم علي نظافتها والأرض قاحلة وبها شقوق واسعة من كثرة جفافها ، فالحديقة أصبحت مثل الغابة الموحشة ، أراد أن يقوم بتقليم الأشجار وتنظيف الأرض فوجد الجو شديد البرودة ونظر إلى السماء فوجد السحب كثيفة وتتسارع وراء بعضها كأمواج البحر ، فقال لنفسه إن السماء سوف تمطر ، سأذهب إلى داخل المنزل .

دخل إلي منزله وصعد إلى غرفته ، وبعد مرور ثوانى وجد الأمطار تنهمر من السماء وكأنها تحتفل بقدومه هي الأخري ، فسقوط الأمطار أشبع الأرض وروي ظمأها بعد عطش ظل شهورا وأيام .

وبعد مرور أيام في يوم قارص البرودة شديد العاصفة والبرق والرعد والأمطار تنهمر كالسيول علي بلدة صغيرة يوجد بها فرع من نهر النيل يعطي لها بهجة وجمال وروح وحياة .

يقف محمد في شرفة منزله في الدور الثاني بالمنزل ويري كيف المياه تتسارع وتلاحق بعضها البعض من شدة الهواء والعواصف ، ويداعب الهواء أوراق الأشجار وغصونها ، والأمطار تتساقط علي مياه النهر ، وإذا به يشرد طويلاً ويداعب التفكير عقله ويتمني أن يرزقه الله بطفلة جميلة تكون له أختاً وصديقة وإبنة لإنه كان مفتقدا أن يكون له أخت ، كان يشعر بنقص كبير لحرمانه الأخت وحنانها والصديقة المخلصة الصدوقة ، في نفس الوقت الذي ينظر بعينيه إلي السماء ويمد يده إلي الله متضرعا بالدعاء ، إذا به يسمع صراخ زوجته وهي تنادي عليه وتستغيث به من شدة الألم الذي يمزق أحشائها ، وتنادي بأعلى صوت وهي تتمزق من شدة الألم قائلة : أنقذني يامحمد .

يأتي محمد مهرولا ، قام بفتح باب الغرفة ونظر إليها فوجدها متكئة علي ركبتيها .

صفاء: أنقذنى يامحمد إني علي وشك الوضع،

وتصرخ بأعلى صوتها .

صفاء : إذهب واستدع والدتك .

فذهب إلى غرفة والدته ونادى بصوت منخفض مرتعش فلم تسمع الأم صوت إبنها فدق الباب فسمعت الأم .

الأم : من الطارق .

محمد : افتحي يا أمي ، صفاء على وشك الوضع الليلة .

قامت الأم مسرعة وذهبت إلي باب الغرفه وفتحته وخرجت وهي تدعى الله أن تقوم صفاء بالسلامة ، وتضع علي خير ، ويرزق ابنها بما يتمنى كي يفرح قلبه .

دخلت أمه الغرفه على صفاء وهي تقرأ سور قصيرة من القرآن ، أمسكت بيد صفاء هي وابنها ونهضا بها ووضعاها على السرير ، جلست الأم بجوار زوجة ابنها لتخفف عنها وتمسح العرق الذى يتصبب على وجهها وكأنه ينابيع من الماء .

الأم : اذهب يامحمد واستدع الطبيب .

فذهب محمد واستدعي الطبيب ، عندما وصل الطبيب دخل الغرفه التي توجد بها صفاء وأغلق الباب خلفه وظل محمد واقفا خلف الباب وهو يبكى من شدة القلق الذي سيطر عليه وعلي جوارحه ، وبعد دقائق سمع صوت صراخ طفل كأنه يسمع تغريد الكروان ، شعر بقلبه أن الله رزقه بطفلة ولكنه خاف أن تدخل الفرحة قلبه ، فصمد قليلا وهو فى مكانه حتى خرج له الطبيب وبين يديه فرحة كبيرة ، فرحة ظل ينتظرها محمد من يوم زواجه ، فرحة عمره وسعادته ، فقد رزق بالطفلة التي كان يتمناها ، طفلة جميلة مثل الملاك ، فحمل الطفلة ودخل على زوجته وهو مبتسم وسعيد وكأنها هى التى رزقته بفرحة عمره ، ونسى أن الله هو الذي رزقه بها

محمد : ألا تعلمين ياحبيبتى بماذا كنت أتضرع إلى الله وأطلب منه .

صفاء: والبسمة على شفتيها والضحكة تتراقص علي وجهها بالرغم من كل الألم الذى بداخلها وهى تعلم ماذا كان يتمنى ولكنها أرادت سماعه من فمه لأن ذلك يزيدها فرحا على فرحتها لأنها هى التى أنجبت له هذه الطفلة .

محمد : وهو يضحك وينظر في عينيها وأنامله تداعب خصلات شعرها الأسود المبلل من تساقط العرق الذي كان علي وجهها وشعرها أثناء الوضع ، كنت أدعو الله أن يعطينى هذه البنت ، ولم أعلم أن أبواب السماء كانت مفتوحة فيتقبل الله دعائى بهذه السرعة ويأتى لي بفرحة جديدة بعد أن أخذ مني فرحتي الأولى .

فابتسمت الزوجة وقالت : أدع الله أن يحفظها لنا ويديمها في حياتنا ، كفانا من الدنيا أحزانا ، لقد حزنت على ما أخذه الله منا . ثم سألته ماذا نسميها ؟

محمد : منى .

صفاء : هذا إسم أختها المتوفية .

محمد : نعم سوف أسميها نفس الإسم ، لأن منى حبيبتى لم تمت بل عادت من جديد ، فأنا لم أستخرج لها شهادة وفاة ولن أستخرج شهادة ميلاد لمنى الثانية ، فهى سوف تعيش بإسم وعمر أختها –

وكانت هذه اول نغمة يعزفها الأب على أوتار طفولة منى

عاشت منى بإسم أختها وعمرها التى كانت تكبرها بسنوات وظلت منى تكبر يوم بعد يوم فى حضن أبيها فهى بعد ولادتها بأيام مرضت مرضا شديدا فأصبح لون وجهها أزرق ولم تستطع التنفس ، فأخذها محمد وذهب بها إلي الطبيب

الطبيب :مني ولدت بعيب خلقى وهو ثقب بالقلب ،

فحزن الأب حزنا شديدا وكأن هذا الثقب خنجرا غرس بقلبه وانقبض قلبه للمرة الثانية ، فوقف أمام الطبيب

محمد فى يأس جارف : هل تتوفى مثل أختها ؟

الطبيب : الأعمار بيد الله ، سوف أكتب لك دواء ، أريدك أن تعطيها منه ، لعل الله يضع رحمته على قلبك وقلبها وأدع الله أن يشفيها .

محمد : وهو حزين مكسور ، أنها لم تتناول من حليب أمها

الطبيب : سوف أكتب لك على حليب صناعى ، وأدع الله أن تتقبله ويتقبله جسدها .

خرج محمد من عند الطبيب والدنيا تدور برأسه ، كأن الدنيا تأرجحه على أرجوحة الحياة فتصعد به عاليا وتهبط به فجأة ، ومضي وهو يضم منى إلى صدره وكأنه يخاف أن يخطفها الموت منه هى الأخرى ، وأخذها وذهب بها إلى المنزل .

سألته صفاء : مابها ؟ ماذا قال لك الطبيب ؟

فنظر لها محمد وهو يبكى

محمد : إن الله وضعنى في اختبار آخر .

صفاء : ماذا قال الطبيب ؟

فنظر محمد وقال بصوت منخفض : عندها ثقب في القلب ، سوف تموت منى و تتركنى هى الأخري ،

وأخذها وذهب بها إلي غرفته ووضعها على السرير وجلس بجوارها يبكى ولكن الله وضع في قلبه الصبر والأمل من جديد ، قال لنفسه سوف أعطيها الدواء وإن شاء الله لن يخذلنى هذه المرة وبالفعل أعطاها الدواء فشربته منى بعد أن كانت قد أغلق فمها ولا تتناول أي شئ من أمها ، فالطفل يشعر بحنان الأم وهو فى بطنها وبجوار قلبها ، فلماذا إذن مني لم تشعر بحنان أمها ورفضت أن تشرب من حليبها بعد ولادتها ؟ ولماذا قبلت أن تشرب الدواء من يد أبيها ؟ فهل هي تشعر بحب أبيها عن حب أمها ؟ كيف فهي لا تعلم ولا تشعر أن هذا الرجل هو أبوها **!!** فالطبيعي الطفل لايعرف الأب إلا إذا بعد شهور من ولادته ثم يفيق للحياة فيعرف هذا وذاك ، لكن مني كانت متشبثه بأبيها من يوم ولادتها .

تركت الأم ابنتها لأبيها يقوم علي رعايتها وتربيتها وبعد مرور أشهر علي مرض منى وجد محمد أن منى تكبر وتبتسم وتضحك وتزحف على ركبتيها الصغيرتين ، بعد أن أتمت مني عامها الأول ، أخذها الأب بين أحضانه وذهب بها إلى ضفاف النهر الذي يوجد أمام المنزل فقد خصص له مكانا على ضفاف النهر يذهب إليه بعد عودته من العمل هو ومنى وبعد وصولهم إلى هذا المكان ، وضعها بجواره علي ضفة النهر وجلس وشرد بعض الوقت ، فنظر بجانبه فلم يجد مني ظن أنها سقطت في النهر ، فانقبض قلبه واصفرّ وجهه ، وتناثر العرق علي وجهه وقام مفزوعا من مكانه ، نظر بداخل النهر فلم يجد أي تغيير في الماء فقد كان هادئا ، فنظر يمينا ويسارا فلم يجد شيئا فخاف أكثر ، ظل قلبه ينبض نبضات سريعة من الخوف علي ابنته ، لكنه كان بداخله شئ يطمئنه ويقول له إنها بخير ، ورجع إلى الخلف فوجد منى تستند علي شجرة التوت التى كانت على ضفة النهر وتقف تحتها فذهب لها مهرولا والضحكات تتراقص على شفاهه تختلط الضحكات بالدموع التى تتساقط من عينيه مثل أوراق الشجر في فصل الخريف ، فكانت أول خطوات تخطوها منى على الأرض ، حضنها بين ذراعيه وأخذ يدور ويلف بها وكأن له جناحين يحلق بهما في السماء ، أخذها وذهب بها إلى جدتها ليفرحها ويقول لها مني أصبحت تمشى فابتسمت الجدة :

الجده : أنا أشعر يابنى أن منى سوف تشفى من مرضها قريبا .

محمد : إن شاء الله يا أمى سوف أذهب بها غدا إلى الطبيب ليفحصها ونرى ماذا يقول ،

وفي مساء الغد أخذ منى وجدتها إلى الطبيب فقام الطبيب بفحص منى

الطبيب : أريد إعداد رسم قلب ،

فذهب محمد وأعد رسم قلب لمني وذهب به إلى الطبيب .

الطبيب : الحمد لله يامحمد قلب منى بدأ يتحسن ويشفى وبدأ الجسد فى بناء الثقب الذي بالقلب ، وسوف يتم غلق الثقب قريبا .

بالفعل بعد فترة وجيزة تم شفاء مني تماما ، ومرعام وراء عام وتكبر مني أمام الأب ، ولكن مني لا تعلم كم عمرها الحقيقى ولا العام الذى ولدت به ، وعاشت منى على هذا الأساس صغيرة الجسد كبيرة السن .

جاء الشيخ حسن صديق محمد وهو يعمل في جامعة الأزهر يرتدي الجبه والقفطان والعمامه الحمراء ، يتصف الشيخ حسن ببشاشة الوجه ، نقاء القلب ، لاتفارق البسمه شفاهه والضحكة مرسومة علي وجهه جاء يسأل عن صديقه محمد ، فوجد مني تلعب مع الكلب وتعلمه وتدربه علي أشياء كثيرة ، كلبها الأبيض إسمه رعد ، وهو يلعب معها في الحديقة فهو صديق أليف وصاحب وفي ، وهي تعشقه كأنه إنسان مثلها ، كانت تحدثه ويفهم حديثها وتأمره فيطيع أمرها ، فهو ونيسها الوحيد في غياب والدها

ظل الشيخ حسن واقفا خلف بوابة المنزل المصنوعة من ألواح الخشب ملونة بلون أبيض ، ويحتضنها أشجار الفل والياسمين البوابة مكشوفة ليس لها ستار فكل من بالخارج يري من في الحديقه ومن بالداخل يري من خارج المنزل ، كانت تطل علي النهر.

وقف الشيخ وهو رافض الدخول حتي لاينجسه الكلب ، لكنه في نفس الوقت كان يقف مستمتعا بمشاهدة مني وهي تلعب مع الكلب ، وبعد أن طال به الوقوف نادي علي مني كي تقيد الكلب من أجل أن يدخل لصديقه ، فأمرت مني الكلب ألا يتحرك ، وبالفعل لم يتحرك الكلب من مكانه ، وذهبت مني مهرولة إلي البوابة ، فتحت للشيخ حسن وأخذته دون المساس به حتى لاتنجسه من لعاب الكلب الذي كان يقبل يديها إلى داخل المنزل لصديقه وخرجت مسرعة لصديقها هي ورفيق دربها حتي تحرره من أمره ، ذهبت له وقبلته من بين عينيه وأخذته وقيدته في مكانه ووضعت له الطعام والشراب وذهبت مسرعه إلي الحمام كي تتطهر وتتطيب وتلبس ملابسها النظيفة حتي لايفوتها الجلوس مع أبيها والشيخ حسن .

دخلت مني بعد ذلك إلى فراندة المنزل التي تطل علي الحديقة ، حيث يجلس والدها والشيخ حسن .

جلست بجوار والدها تستمع لهم وتتعلم من حواراتهم ، عندما رآها الشيخ حسن وهي جالسه تتحدث معهم وكأنها مثل الكروان الذي يغرد علي غصن شجرة ، شكر بحديثها الطفولي المؤثر

الشيخ حسن : أريد كوبا من الماء ياصغيرتي ، فذهبت مني لتأتي بالماء .

استغل الشيخ حسن فترة خروجها

الشيخ حسن : ابنتك عندها ذكاء غير عادي حاول تستغله في دراستها ولا تهملها وتجعلها تهمل دراستها

وعادت مني بالماء فشرب الشيخ حسن وكاد أن يذهب ، فإذا بإبنه أشرف قد أتى لينادي عليه ، خرجت مني وفتحت له البوابة ،

فسألها هل والدي عندكم ؟!

منى : نعم . تفضل

وأدخلته إلي المنزل حيث أبيها والشيخ حسن ، وذهبت هي بعد ذلك .

الشيخ حسن: مالذي أتي بك يابني ؟!

أشرف : أمي أرسلتني كي أناديك جأنا ضيوف .

خرج الشيخ حسن ممسكا بيد أشرف وسلم علي صديقه وذهبا وهما يسيران في الطريق .

أشرف : يا أبي عندما أتم إكمال دراستي سوف أتزوج من مني ابنة عمي محمد ،

تحدث أشرف بنبرة منخفضة ، يشعرأن أبيه سوف يصفعه علي وجهه

الشيخ حسن : نعم يابني أنا أيضا أتمني أن تتزوجها ، فأنا أكن لها الحب والعطف مثل أختك كريمه ،

ففرح أشرف بحديث أبيه ، وذهب يحلم بمني مثل أي شاب في سن المراهقة .

يتصف أشرف بلونه الخمري وشعره الكستنائى وعينيه العسليتين وطول قامته ولكنه كان نحيفا لأنه يمارس الرياضة من صغره فهو الآن فى ربيع العمر عمره يناهز السابعة عشرة عام يدرس بالثانوية العامة وهو من الفائقين ، فقد أصبح عنده حلمين وهدفين يريد تحقيقهما .

(الأول) أن ينجح بتفوق ليدخل كلية الهندسة ، و (الثاني) أن يتزوج مني ، وبعد وصوله إلى المنزل مع أبيه ذهب إلي غرفته وأغلق الباب خلفه وجلس إلى مكتبه ليدرس ، ففتح الكتاب وهو شارد حيران وظل يحلم بمني وبجمالها وعينيها الساحرتين وشفتيها اللتين مثل الكريز ووجهها المضئ مثل القمر وشرد بخياله مع مني ونسي أنه عنده إمتحان في الغد ، لكنه أفاق من شروده بعد أن سمع دقات باب غرفته ، ففزع من علي كرسيه وذهب إلي الباب وفتحه ، فإذا به يجد أخته كريمه التي تشبهه في الشكل لأنها كانت أخته التوأم ، تأتي له بكوب من العصير ، دخلت كريمه إلى غرفة أخيها ووضعت العصير علي المكتب ، ظلت واقفه بعض الوقت .

كريمة : هل تريد شيئا أخر ؟

أشرف : أشكرك . لكني أريد أن أتحدث معك قليلا .

جلسة كريمه بجوار المكتب علي المقعد المجاور لأخيها ، فوجدته شارد العقل عيونه زائغه تتلصص يسارا ويمينا .

كريمة : مابك ياأخي

أشرف : أختي إني أحب ،

فضحكت ضحكة عالية

كريمه : هل أنت نضجت وكبرت لهذا الحد وأصبحت شابا وأصبح قلبك ينبض ويخفق بالعشق .

أشرف : لن أتحدث معك ثانيا وغضب منها .

عندما رأته وهو حزين بعد كلامها له

كريمه : لاتغضب وقل لي من البنت الذي خفق لها قلبك .

أشرف : مني بنت عمك محمد فابتسمت .

كريمة : إنها صغيرة ومازالت طفلة .

أشرف : أنا قلت لأبي ، وأبي قال إنه سوف يزوجني بها بعد إتمام دراستي .

كريمة : إذن ضع هذا الحلم جانبا وركز أولا في مستقبلك حتي يوافق أبوها أن يزوجك إياها

فاطمأن قلبه عندما سمع كلام أخته وأبيه ، وأصبحت مني هي الحافز الذي يحفز أشرف علي المذاكره حتي يتفوق ويحقق حلمه ويتزوجها ، وجاءت أيام إمتحانات الثانوية العامة وبعدها جاءت النتيجة ، ذهب أشرف إلي المدرسة بعد أن سمع إسمه في الإذاعة أنه نجح بتفوق ، ليأتي بالدرجات والمجموع حتي يقدم في تنسيق وكتب في الأوراق أول رغبة له كلية الهندسة ، بالفعل جاء له جواب أنه تم قبوله من قبل كلية الهندسة ، وبعدها ذهب إلي والده ،

فوجده في غرفة المكتب فدق الباب فأذن له والده بالدخول ، فدخل وأغلق الباب خلفه وجلس بجوار والده وهو يضع وجهه في الأرض

الشيخ حسن : هل تريد شيئا يابني ؟

سكت أشرف قليلا .

أشرف : نعم يا أبي أريد منك أن تنفذ وعدك لي وتذهب لعمي محمد وتطلب منه يد مني .

ابتسم الشيخ حسن وقال : لا تقلق أنا أشرت لعمك محمد إني سوف أزوجك مني ، فمني يابني مازالت صغيرة وعمك محمد لن يوافق فهي مازالت في الثانية عشرة من عمرها ، وأنت تعلم ماذا تعني مني لعمك محمد فهي كل حياته ، وأنا لم أعرف كيف أقول له أني سوف آخذ مني منه ، إصبر يابني وإلتفت لكليتك وأترك هذا الموضوع علي الله هو الذي يدبره بمشيئته .

ذهب أشرف وهو حزين وقلبه يتمزق من الخوف ، شعر أشرف بقلبه يخفق خفقات مؤلمه وكأن قلبه يخبره أنه لن يتزوج مني ، لكنه لم يفقد الأمل ، فهو من وقت لآخر يذهب إلى بيت مني ويتلصص منها نظرات وهي في الحديقه تلاعب كلبها ، ويقف خلف شجرة الجميز حتي لا ينظر إليه أحد ، ويمر يوم وراء يوم وأشرف قلبه يتحول إلى جمرة من النار المشتعلة بعشق مني فهي حب طفولته وحبه الأول .

بعد مرور عام أصبحت مني في الثالثة عشرة من عمرها فجاء موعد العزف الثالث علي أوتار طفولتها .

جاء يوم العزف الثالث علي أوتار طفولتها وسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ، فهذا اليوم أيضا مثل يوم ولادتها ، فهو يحمل معه البرد الشديد القارص والعواصف والرعد والأمطار الشديدة ، كأن الدنيا تقول لها تماسكي أنا معك بكل جوارحي وقتما تتناثر الأحلام وتنفذ ولا يتبقي منها غير الأوهام والألم والإشتياق لحنين زمن لن يعود .

في صباح هذا اليوم استيقظت منى من نومها العميق كما اعتادت أن تستيقظ في مثل هذا الوقت من كل يوم ، وفي عينيها بريق يضئ المكان ، وسحر غريب يسحر كل من يري عينيها ، كانت عيناها واسعتين بها جميع الألوان فلها بريق مثل عيون القطط ، وابتسامتها مرسومة علي الشفاه التي تشبه الكريز ، وضحكاتها تضئ وجهها الجميل المدور مثل وجه القمر ، وقوامها الجميل الذي ظل ينقلب علي مخدعها يمينا ويسار وهي مسترخية ما بين اليقظة والنوم ، حتي جاءها من يؤرق يومها جاء أخوها الأصغر .

ياسين : والدك يريد أن يتحدث معكِ .

قامت مسرعة من علي السرير ذاهبة إلي غرفة والدها وفي طريقها اليه قابلت أخيها

فسألته منى : ماذا يريد أبي ياأخي ؟

ياسين : لاأعلم إذهبي واعلمي أنت منه .

ذهبت منى إلى أبيها وهي تقدم قدم وتؤخر أخري برغم حبها الشديد لوالدها إلا أنها كانت ترتعب وتخاف من نظرة عينيه ، ولكنها ذهبت إليه ودقت الباب بيد مرتجفة فأذن لها بالدخول ، فدخلت الغرفة ، وجدته متكئا علي السرير بين النوم والجلوس ، بسط لها فراشه وأجلسها بجواره ، عندما جلست مني بجواره ونظرت في عينيه فوجدته يتهرب بعينيه منها ، فتأكدت أن بداخل والدها شيئ غريب هي لا تعرفه ، لكن لماذا ترك هذا الخاطر داخلها فهي كانت معتادة علي أن والدها إذا أراد أن يخبرها بشئ يروي لها قصة عن الموضوع الذي يريد أن يخبرها به ، ولكنه في هذا اليوم لم يخبرها بشئ ، غير أنه قبل جبينها ويدها ، فوجدت في عينيه دمعة حائرة بين جفونه لاترغب أن تتساقط أمامها فهي لم تر في عينيه من قبل هذه الدمعه .

منى : ماذا بك ياأبي ؟! ما هو الشئ الذي بداخلك يسبب لك كل هذا الوجع ؟

الأب : لا شئ ياصغيرتي .

منى : كيف أنا أعرفك جيدا ؟ ، أنت تعلم يا أبي أنني أحفظ طباعك مثلما أنت تحفظ طباعي .

الأب : لا شئ ياحبيبتي ، لكن قومي واستعدي سوف نخرج أنا وأنت .

منى : إلى أين نذهب ياأبي ؟! فالجو بارد والأمطار تنهمر كأنها سيول تسيل علي الأرض .

الأب : سوف نخرج ونقضي اليوم معا علي شاطئ النهر ،

ففرحت مني لأنها تحب الخروج في الأمطار وأن يتساقط عليها حبات المطر وكأنه يداعب جسدها ، ولكن فرحتها كانت مكسورة ويوجد بداخلها ألف سؤال وسؤال ، لماذا توجد هذه الدمعة في عين والدها ؟ ولماذا إصراره علي الخروج معها هذا اليوم ؟ وهو يعلم جيدا أنها لا ترغب بالخروج من المنزل ولا تحب أن يراها أحد ، ولكنها مع كل هذه الأسئلة التي لم تعلم لها إجابة .

منى : سوف أذهب لأرتدي ملابسي ،

لكنها تريد أن تسأله قبل أن تخرج من الغرفة مع شدة سعادتها أنها سوف تذهب معه وتستمتع بأن يتبلل جسدها بماء المطر ، لماذا نحن ذاهبين إلي النهر في مثل هذا اليوم ؟ إنه يوم شديد البرودة وملىء بالعواصف والرعد والأمطار ، مني لم يشغل بالها غير الدمعه التي رأتها في عين أبيها ، فهي لاتعرف أن هذا اليوم يشبه يوم ولادتها ، ولكنها لم تكترث لهذا كله ، بل يشغل تفكيرها وقلبها وجود الدمعة التي رأتها في عين ابيها ، وخرجت منى من الغرفة ولم تستطع السؤال بل ظلت تسأل نفسها عن سبب دموع أبيها ، وذهبت إلى غرفتها متجهة إلي الخزانة لتخرج ثوبا منها ترتديه وهي ذاهبة مع أبيها ، ولكنها فتحت الخزانه وأغلقتها عدة مرات لأنها شاردة ، تفكر وتقول ماذا بك يا أبي حتي تدمع عينيك ؟!

ناداها والدها بصوت عالي هيا يا حبيبتي .

منى : ثواني يا أبي أنا سوف أستعد ،

تذكرت منى أنها كانت تفتح الخزانة لتخرج منها ثوبا ترتديه ، أسرعت وأخرجت الثوب وارتدت جاكيت لونه أحمر وبه نقوش سوداء وبنطلون أسود وشعرها متدلي علي كتفيها طويل وناعم ولونه بني ، خرجت منى في هذا المظهر أمام والدها

ومنى : هيا بنا ، لنذهب يا أبي ،

فرآها الأب وكأنه يري وجه القمر وهي في هذه الملابس بالرغم من جمالها الشديد إلا أن هذه الثياب أضافت جمالا إلي جمالها ، فوجدت والدها يبكي وأخذها بين ذراعيه واحتضنها ، وذهب معها ضفة النهر في نفس المكان الذي كانوا معتادين علي الجلوس فيه هما الإثنين .

نظرت منى إلى النهر والمياه التي تداعبها الرياح فهي تحركها وكأنها لوحة مرسوم بها طيات وتعرجات فوق سطح النهر وهي تتسابق وراء بعضها البعض ، تنظر منى إلى الأشجار التي توجد على ضفاف النهر وهي تتراقص يسارا ويمينا ، والطيور التي تغرد وتملأ المكان بأصواتها وتغريدها وكأنها تنعي خبرمنى ، فتارة تنظر لوالدها وتارة تنظر حولها يمينا ويسارا ، وقلبها يرتجف من الخوف فصمت والدها الشديد يزيد عندها الشكوك ويجعلها تسأل نفسها ماذا يوجد بداخله ؟ ولكن الحيرة والدهشة لم تبتعد عنها لحظة واحدة ، وظلت تسأل نفسها مرارا وتكرارا ودهشتها تزداد من أمر والدها ، لماذا أراد أن يذهب معها إلي هذا المكان في هذا الوقت ؟ هل هو يريد أن يسمعها صمته ؟

ظلت مني تسأل نفسها هل يوجد شئ خطير لهذا القدر؟

منى : سوف أساله مايوجد بداخله لعله يخبرني ، ولكنها لم تقدر علي الكلام ، فأصبحت في حيرة من أمرها لاتستطيع الكلام ولا تستطيع الصمت .

كانت منى تشعر أن روح أبيها تتناثر من جسده وكأنها حبات من رمال الصحراء القاحلة ، ولكنها لا تعلم سبب كل هذا الألم الذي يسكن صدر أبيها ، فالصمت الذي يغطي المكان لم يكن صمتا بل كان بركانا يتأجج بداخل جسد هذا الأب الذي كان يبحث عن طريق ليخبر ابنته حقيقة الأمر ، لأنه يعلم أن ابنته تفهمه من نظرة العين ، ويعلم أنه صعب عليه إخبارها والحديث معها في هذا الموضوع مباشرة أو إبلاغها بقرار مثل الذي يريد إبلاغها به ، فكان علي علم بطبيعة إبنته جيدا ويعلم كيف تفكر ، فهو الذي رباها علي العند وتصلب الرأي ، وهو الذي بني شخصيتها ، وعندما كان يبحث عن مدخل لابنته تذكر كيف كان يتعامل معها عندما يريد أن تنفذ أوامره ، تذكر أنه إذا أراد منها شيئا روي لها قصه تحمل مضمون ما يريدها أن تعرفه ، لأنها لا تحب أحد أن يأمرها بشئ ، ووالدها متأكد كل التأكيد أنها سوف تفهم كلامه وستنفذه بالحرف الواحد ، وعلي غير العادة فضل أن يسألها بعض الأسئلة .

الأب : هل أسألك ياحبيبتي بعض الأسئلة وتجيبنني عليها

منى : نعم تفضل يأبي سأجيبك بكل صدق وبكل صراحة ، إسال فأنا لم أعد قادرة علي تحمل الصمت القاتل هذا .

ابتسم الأب بسمة خفيفة علي كلام ابنته ،

الأب: سوف أطلب منك طلبا هل تنفذيه بدون تردد.

منى : نعم

سكت الأب لحظات وطلب من ابنته أن تلقي بنفسها في جوف هذا النهر ، فألقت مني نفسها دون تردد ولا تفكير للحظه واحده ، فهي تعلم جيدا أن أبيها يعلم أنها تجيد السباحه جيدا ، ولكنها ظنت أن أبيها يختبرها ، لكن أي إختبار هذا الذي يجعل إبنته تلقي بنفسها في الماء في يوم كهذا شديد البروده ، ولكن ما غرض الأب من هذا الطلب؟! هل أراد أن يتأكد من أن ابنته سوف تنفذ أوامره دون تردد ؟ لأنه لايعهد هذا منها ، وهل طلب منها هذا الطلب لأنه يريد أن يغرقها ؟ فكيف يريد غرقها وهي لم تقترف ذنبا في حياتها ؟! هي مازالت طفلة بريئة لاتعلم عن الذنوب شيئا ، وهو الذي علمها السباحة ويعلم أن ابنته سوف تنقذ نفسها من الغرق ولكن يبقي السؤال لماذا طلب هذا الطلب من ابنته هل يريد أن يداعبها ؟ الظروف لا تسمح بهذا وكل هذه الأسئلة بدون أجوبة ، رأت منى أبيها يضحك بصوت عالي عندما خرجت من النهر فقد علم إجابة منى علي سؤاله الأول وتأكد من طاعتها العمياء له دون تفكير .

منى : هل تضحك يا أبي ؟! لو أعلم ان هذا سوف يضحكك لألقيت بنفسي مرات ومرات حتي أري هذه الضحكة علي وجهك .

الأب : أنا أعلم انك سوف تنقذين نفسك فأنا الذي علمتك السباحة، ولكن ملابسك مبلله وسوف تموتين من البرد اخلعيها عنك الجو بارد .

منى : لا لن أخلع ملابسي حتي لو مت من البرد فأنا أفضل الموت علي أن يرى أحد جسدي ،

وكانت هذه أجابة السؤال الثاني ، فقد أرادت منى أن تموت من البرد ولا تتخلى عن مبادئها وأخلاقها التي رباها عليها أبوها ، ففرح بهذا الحديث وقام بخلع الجاكيت لترتديه مني .

وجاء دور السؤال الثالث فكان أصعب الأسئلة أو بالأصح طلب لايمكن أن يطلبه أب من ابنته التي لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها ، التزم الصمت قليلا ودفن آلامه في ثنايا قلبه وبين ضلوع أيامه وأدخل يده داخل جيبه فظننت مني أنه يخرج منديله لينشف وجهه من ماء المطر ، لكنه أخرج من جيبه سكين ، وحين نظرت إليها منى صعقت وشحب لونها

وصرخت بصوت عالي لماذا لماذا لماذا ياأبي هذا السكين ؟

أي رعب هذا الذي يمارسه الأب مع طفلة مرهفة الحس والمشاعر ؟.

أسرع الأب قائلا : إهدئى ياصغيرتي إهدئي لا تخافي لم أرغب في أذيتك .

منى : أعلم يأبي أنك لن تؤذيني بها ، لكن لماذا تحمل هذا السكين ؟

الأب : وهو ينظر داخل عينيها الدامعتين ويشعر بقلبها الباكي أنا أريدك أن تغرزيها في قلبي ،

فصعقت منى من هذا الحديث ، ظلت تصرخ

منى : كيف ولماذا أفعل هذا ؟ أنت قلبي وروحي يا أبي كيف تطلب مني هذا الطلب ؟،

وهي تصرخ والخوف يأكل قلبها مثلما يأكل السبع فريسته ، وتسأل نفسها ماذا دهاك يأبي أن تطلب مني أن أفعل هذا بك أنت ؟ ومع كل الألم الذي وضعه الأب بداخل ابنته لم يرق قلبه لها بل إزداد في قسوته عليها ، حتي رفع يده وصفعها علي خدها ، وكانت أول مرة يرفع يده عليها من يوم ولادتها .

الأب : بكل قسوة إفعلي ما أقوله لك .

منى : لن أفعل ولو مزقتني قطعا صغيرة وألقيت بها للنسور والحدادي وأنا حية ، لن أكون سببا في أذيتك مهما بلغ الأمر ، لن أكون سببا في جرحك ولو جرح بسيط ، كيف أكون سببا في جرحك ؟ لا يأبي ، لاااااااااااااااا !! .

منى بصوت عالي: مزقت يدي يأبي قبل أن تكون سببا في أذيتك ،

كانت هذه إجابة مني علي السؤال الثالث .

فعلم الأب وتأكد أن ابنته سوف تحافظ علي نفسها وكرامتها وشموخها حتي ولو كانت تتمزق وكل هذا الوجع الذي تسبب فيه لابنته لم يحرك ساكنا ، فكان كل مايريده هو أن يعلم مدي قدرتها علي تحمل الصعاب والألم ، لأنه كان يعلم جيدا أنه سوف يلقي بها في نار جهنم مثلما ألقاها في النهر ولا أحد سوف يمد يده لإنقاذها حتي هو ، والأمر الآخر أنها لم ترفض له طلب ولا تعصي كلامه حتي ولو كان هذا الأمر سوف يقضي عليها وعلي حياتها فهي عاشقة لأبيها ، لكن مازادها دهشة أنها لم تتعود علي هذه القسوة من أبيها ،

فسألته منى : لماذا كل هذه القسوة يا أبي ؟ هل أنا أخطأت في شئ ؟هل أنت غاضب مني إلى هذا الحد ؟

فذرفت الدموع من عينه

الأب : لا ياصغيرتي ، أنا الذي أخطأت بحقك أنت دون أن أشعر، لكني لم أقدرعلي إصلاح هذا الخطأ .

منى : لا يا أبي لاتقول هذا ، أنا كلي ملكك أنت ، أنا ابنتك وقطعة من قلبك ،

كانت تقول هذا الكلام بقلب طفلة لاتعلم ماذا تخبىء لها هذه الأيام .

تأكد الأب أن منى لن ترفض له طلبا ، حتي لو كان سببا في ضياع عمرها وسرقة أحلامها منها ومن طفولتها .

لم يتردد الأب لحظة في أن يصدمها بكلامه الأخير ، فقال لها أنا أريد أن أبلغك بقرار أخذته ولم أقدر علي الرجوع فيه .

منى : أنا أعلم يأبي أنك إذا قلت كلمة أو أقسمت بقسم لن ترجع فيه حتي لو كان علي حساب حياتك ، وحياتي أنا أيضا يا أبي فحياتي لا تعني شيئا بدونك .

الأب : هذا ماحدث ياصغيرتي لقد أصدرت قسما وأريدك ياحبيبتي أن تعينيني علي تنفيذه ،

يقول لها هذا الكلام وهو متأكد أنه حكم علي ابنته بالموت وهي علي قيد الحياه ، فقد تأثرت مني من حال أبيها وكانت تريد أن تخفف عنه مهما كلفها هذا الأمرمن تضحية وتري ضحكته ، حتي لو وصل بها الأمر لتلقي بنفسها مرة أخري فى النهر .

منى : ماهو هذا القرار يا أبي ؟

الأب : بصوت حزين مكسور إنك سوف تتزوجين ياصغيرتي ، بعد عودتي من رحلة الحج سوف أتمم الزواج .

سمعت منى هذا الكلام وهي لا تصدق أنه يصدر من فم أبيها ، لكنها



منى بداخلها إستغراب ودهشة: ماذا قلت يا أبي ؟ أعد علي الحديث .

الأب سوف تتزوجين من علاء ابن جيراننا، هو شاب محترم ، مستقبله معروف ، يعمل ضابط في الجيش .

منى : هذا يعني أنني سأتركك يا أبي .

الأب : هذا ما قدره الله لك ولي وسوف نتقبله ونتقاسم أوجاعه وآلامه ، وعليك أن تنفذي كلامي دون نقاش .

منى : (في دهشة !) كيف يقول لها هذا الحديث ؟ وهو يعلم أن ابنته طفلة مدللة عنيدة لم يسبق لها الإبتعاد عنه ، فسكتت بعد هذا الحديث ولم تقدر علي أن تتفوه بكلمة واحدة من شدة الصدمة ، لكنها تتصارع مع نفسها وكتمت صوتها بداخلها وظلت تتسأءل هل هذا هو أبي ؟ هل هذا هو نفس الرجل الذي أعشقه ؟ ماهذه القسوة التي طرقت باب قلبه ؟ ولا تستطيع أن تسأل عن سبب هذا القرار .

الأب أصيب بدهشة فلم يتعود من ابنته علي هذا الإستسلام ، فهو معتاد علي أنها تناقشه وتحاوره وتجادله ولاتنفذ كلام أحد حتي تقتنع به برغم صغر سنها فهو تعمد أن تكون شبيهته في كل شئ .

منى بعد أن قال لها هذا الكلام ظلت تبكي بقوة وبصوت عال ، كأنها تستغيث بمن يلملم أشلاءها المتناثرة علي ضفة النهر ، ودموعها المتساقطة علي وجنتيها ومخلوطة بقطرات المطر ، وتنظر للسماء وتناجي ربها أن يلملم أشلاءها المتناثرة على ضفة النهر ، ولكنها لم تعلم أن الأشلاء التي بعثرت هي أشلاء أحلامها وآمالها وطموحها ، كم كانت تحلم أن يكون لها مكانة مرموقة في المجتمع ، وأن يكون لها هدف تسعي لتحقيقه ، وأنها سوف تقابل فارس أحلامها وأن يخفق قلبها بحبه ، كم كانت تحلم وتحلم بكل ماتحلم به طفلة بل فتاة في سن مابين الطفولة والمراهقة فهي لاتعلم كم عمرها ، هل هي طفلة في الثالثة عشرة ؟! أم هي فتاه في سن المراهقة ؟ فكل أحلامها تناثرت مع طفولتها ، وهي لاتعلم أن أبيها حكم عليها بالموت المؤكد ليس موت الجسد بل موت الروح والقلب والمشاعر وأحاسيسها التي لم تولد بعد ، ولكن يظل السؤال بداخل منى لماذا قرر أبي هذا الأمر ؟ ألم يفكر بي ولو للحظة واحدة قبل أن يتخذ هذا القرار المدمر لحياتي ، وظلت تسأل نفسها وتكلم نفسها ولكن كيف ولماذا ؟ وتقول لنفسها هل من أجل المال ؟ وترد علي حالها بلا ، فالزوج المنتظر ليس عنده مال مثل أبي ، وأعلم جيدا أن أبي لايهمه المال فهو لايغضب عندما أكل أخواته ماله وإرثه من أبيه .

قالوا أخوته : نحن ربيناك بإرثك

هو سمع منهم هذا الحديث ولم يغضب .

قال والدي في ذلك الوقت : المال يذهب ويعود ، ولكن صلة الرحم إذا قطعت لن تعود ،

منى : إذن لماذا فعل بي كل هذا ؟ .

وتظل الأسئلة تشق صدر مني وتمزقها من الداخل ، وتقول هل تعاطف وأحب أبي الزوج المقبل ؟

منى : تجيب علي نفسها لا ، فهو لايحبهم لتطفل أمه علي حياتنا وخصوصيتنا ، إذن لماذا ؟! ظلت تسأل نفسها ولا تجد إجابه عن أسئلتها ، ولكنها من أين تجد الإجابة علي السؤال وهي صامته ولا ترغب بالحديث مع أحد في هذا الموضوع .

و فجأة سمعت أحدا يدق عليها باب غرفتها ، دخل الطارق دون أن تأذن له بالدخول فقد كانت أمها فاستغربت مني ! لأنها لم تشعر قط بأن لها أم ، فقد كانت بعيدة كل البعد عن حياة ابنتها وكأن دورها في حياة ابنتها قد تلخص في الحمل والإنجاب فقط ، ولكنها دون مقدمات جلست بجوار منى على السرير .

الأم : أريد أن أتحدث معك في موضوع يهمك ،

فاستغربت منى ! لكنها لم تنطق بكلمة فهي ليست معتادة علي الحديث مع أمها علي الإطلاق ، فإنها لم تشعر بوجودها في حياتها مثل كل أم مع ابنتها بل كان أبوها هو كل شئ لها ، هو أمها وأبوها وأخوها وصديقها ، كان كل شئ تعرفه طفلة في عمرها عن الجنس الأخر

منى : تكلمى يا أمى ماذا تريدين ؟

الأم: لها في صوت منخفض وحزين أنا يا ابنتي لم أوافق أبيك علي ماقاله لك وأنا أرفض تماما كل هذا الكلام

فاستغربت مني من كلام أمها ، ولكنها كانت مثل الغريق الذي يتعلق بقشة لتنجيه من الغرق ، ففرحت مني وابتسمت في وجه أمها .

الأم : أرفضي طلب أبيك يامنى وأنا سوف أساعدك

فازدادت فرحة منى ، وظنت أن أمها رق قلبها لإبنتها ، وقالت لنفسها أنه آن الأوان أن يكون لي أم مثل كل الفتيات ، فهي إمرأة تشعر وتحس بإحساس كل إمرأة تقهر في طفولتها ، وتعلم كيف يكون حال كل أنثي تتزوج في مثل هذا العمر ، وكيف تكون حياتها بعد الزواج .

لكن هل كانت الأم تساعد منى لأنها ابنتها وتحبها وتخاف علي حياتها ومستقبلها أم كان لغرض في نفس يعقوب ؟ هذا ماطرق بخاطر منى في هذا الوقت ، لكنها استبعدت هذا الخاطر من تفكيرها ورق قلبها لأمها ، كم كانت تتمني أن تضمها أمها إلى صدرها وتمسح شعرها بأناملها فتذيب همومها بين ضلوع أمها لتخفف عنها آلامها ، لكن الأم لم تفعل هذا مع ابنتها بل ظلت تحفزها علي عصيان أبيها ، شردت منى قليلا وقالت لنفسها لماذا أمي تريد أن تساعدني هكذا ؟ ولكن دون أي إجهاد و لاسؤال من منى لأمها أفاقت من شرودها ، سمعت أمها تقول لها عندي لك عريس أفضل من هذا العريس الذي سوف يزوجك له أبوك .

لكن هذا الكلام لم يمر مرور الكرام علي خاطر منى بل تأكدت من ظنها أن أمها لاتساعدها لوجه الله ، ولكن كان ينتابها شعور أكيد أن أمها لاتحبها ، لأنها كانت تعتقد أن مني مستحوذه علي حب أبيها دون أخواتها ، عند هذا تأكدت مني أن أمها لاتريد مساعدتها ، لكن منى تريد أن تعرف سبب إصرار أبيها علي زواجها في هذا العمر الصغير .

شردت منى بخيالها

منى : سوف أعرف لماذا أخذ أبي هذا القرار ؟ فسألت أمها عن العريس الذي تريد أن تزوجها إياه .

الأم : أحمد إبن عمك ،

فاندهشت منى لكلام أمها ! الأم تعلم إنه شاب مدلل وفاسد ويتعاطي المخدرات ومقيم علي القهوة ليل نهار ، وتعلم أن أبيها له تحفظات كثيرة علي تصرفاته ، ولكن الأم لم تر عيوب أحمد لأنها لاتري غير إرث زوجها الذي أخذه أخوه منه عنوة ، فوجدت أن زواج مني من ابن عمها سوف يعيد لها حقها في المال ، ولكنها لم تفكر مطلقا في مصلحة ابنتها .

ابتسمت بسخريه مني : ظننتك تخشين علي ، لكنني تأكدت الأن أنك تريدين هلاكي أي أم أنت ؟!

بكت منى بكاء شديدا

منى : ألست ابنتك ألم تتذكري أنك أنجبتيني ، ألم أكن مثل أخوتي عندك ، لماذا تكرهينني إلى هذا الحد ؟ أنا لم أفعل شيئا لك قط ، لم أعص لك أمرا ، كنت أحبك ولكني لم اشعر طوال حياتي بحبك لي ، تركتيني لأبي من يوم ولادتي هو من كان يسهر علي راحتي لماذا يا أمي فعلت هذا بي كله ؟ لماذا تركتيني لأبي يحول طباعي من طباع انثي لطباع ذكر ؟

ظلت مني تبكي وكأنها تنقم علي اليوم الذي جاءت فيه إلى الحياة ، فهي الآن لاتعلم هل هي طفلة أم آنسه في سن الزواج ؟ هل هي بنت أم ولد مثل ماقام الأب بتربيتها ؟ ولكن الأم لم يرق قلبها لابنتها وهي تراها تنهار من شدة البكاء ، ولا طرق علي خاطر الأم أن تأخذ ابنتها في أحضانها وتجفف دموعها مثل كل أم .

الأم لم تكترث لحال ابنتها وظلت تكمل حديثها وتخبر منى أن زوجة عمها جاءت وطلبت يدك وقالت لي أن أبلغ أبيك ، فذهبت وأبلغته بعد عودته من العمل ، لكنه لم ينطق في أول الأمر وبعد دقائق قال لي أن أمحو هذا الحديث من تفكيري وأنه لا يوافق علي هذا الطلب ، لكني حاولت مرات ومرات ولكنه تمسك بكلامه وبعد مناقشات وخلافات كبيرة وهو في قمة عصبيته معي أقسم أبوك قسما ، عندما سمعت مني هذا الكلام ، نزل علي قلبها مثل الصاعقة

مني : بماذا أقسم يا أمي ؟

الأم : أقسم أنه سوف يزوجك لأول رجل يطلب يدك مهما كان هذا الرجل ، وقال أن هذا القرار أهون عنده من زواجك لإبن عمك ولكني لا أعلم لماذا أقسم هذا القسم .

نظرت مني إلي أمها نظرة لاتعلم هل هي نظرة شفقة علي أمها منزوعة القلب أم نظرة تتحسر من خلالها علي حالها وقدرها الذي أوقعها في وسط هذه العائلة ، لكن الأم لم تتوقف عن الكلام وقالت لها أيضا عندما أصدر أبوك هذا القسم كانت تجلس معي جارتنا أم علاء فخرجت مسرعة بعد أن أقسم أبوك لأنها تعلم أبيك جيدا وتعلم طبعه وأنها متأكده أنه سوف يبر بقسمه ولا يقع فيه مهما كانت الظروف .

في صباح اليوم الثاني جاءت لأبيك قبل أن يذهب إلى العمل وطلبت يدك منه لإبنها علاء ولكني تشاجرت معها وقلت لها لماذا فعلت هذا ؟!

أم علاء : أنا أعلم أن الحاج محمد لن يحنث بقسمه ، وهذه فرصه لن أقدر علي ضياعها من يد إبني علاء ، فأنا أريد أن أزوجه منى ، فعلاء إبني ليس به عيب ، وكل فتاة في هذه القرية تتمناه لكونه ضابط ، أنت تعرفيه جيدا ولو طلبتها في أي وقت آخر غير هذا الوقت كان الحاج محمد سيرفض إعطائنا منى .

مني أي شاب من أولادها يدعى علاء ؟!

الأم : علاء لونه خمري ومتوسط الطول ونحيف وشعره أسود وناعم وكثيف ولون عينيه أسود .

الأم : فكري يا ابنتي أنا أريد لك الخير ثم خرجت .

ابتسمت مني بسمة كلها سخرية ،

منى تحدث نفسها : لهذا السبب قرر أبي أن يحكم علي بالموت وأنا علي قيد الحياة ، وأنه أراد وأد طفولتي ،

وتأكدت أنها مهما فعلت أو اعترضت لم ولن يرجع أبوها عن قسمه

مني: لن أكسِّر كلمة أبي مهما كان الأمر

فتعصبت الأم وذهبت من الغرفة وتركت ابنتها ذبيحة علي سريرها ، ودموعها تنهمر علي وجنتيها وكأنها نهر جار لاتقدر علي إيقافها ، فوضعت وجهها داخل الوسادة التي كانت تنام عليها وهي تقول سوف أدفن كل آلامي بين أحضان الزمان وتتمنى لو أن الله يحبها لاتفيق من نومها هذا ، ونامت منى ودموعها لم تجف من عينيها .

لكن الله لم يتقبل دعاءها فاستيقظت كعادتها ولكن هذه المرة لم تستيقظ مثل كل يوم فهي استيقظت ومكثت علي سريرها في غرفتها ، قررت الإبتعاد عن العالم وعن أبيها أيضا فلم تذهب لتعد له الطعام كعادتها ولا ملابسه ولا الشاي الذي كان يشربه قبل خروجه .

جلس الأب ينتظر منى كعادتها معه ولكن بدون أي فائده .

ظلت مني ماكثة في غرفتها وظل شريط حياتها يمر من أمامها وكأنه طيف جميل يمر عليها مرور الكرام ، تتذكر أبيها وماذا كان يفعل معها ويدللها ويعلمها كل شئ ولم يبخل عليها بحبه وعطفه ، وكيف كانت هي المستحوذة علي حب أبيها طيلة هذه السنوات وكم كانت سعيدة في طفولتها وأنها كانت لأبيها أخته وأمه وصديقته .

ظلت تتذكر كلام أبيها وحكاياته ، وأنه كان يتمني أن يرزقه الله بطفلة في أول زواجه لتكون له أختا وإبنة وصديقة ، لكن الله أراد أن يعطيه صبيا ، وعند ولادته حزن لأنه صبي كان يريده فتاة ، فتعجبت الأم !! وسألت نفسها لماذا يحزن ؟! فكل رجل يحب إنجاب الذكور .فقامت بسأل زوجها ،

الأم : لماذا تحب إنجاب البنات ؟

الأب : عندي أربع أخوة من الذكور وقد حرمني الله أن يكون لي أختا وأخشى أن يحرمني من أن يكون لي إبنة ، فعلمت الأم أنه يحب البنات دون الصبيان ،

فسألته : ألم تخطار إسم إبنك

محمد: إختاري أنت إسما له وأنا سوف أذهب إلى مكتب الصحة لإثباته وأستخرج له شهادة ميلاد فنظرت له ولم تتفوه بكلمه .

بعد دقائق

صفاء: سوف أسميه أكرم .

محمد : علي بركة الله

وبعد شهور من وضعها لأول مولود ذكر ، طلب من زوجته أن تحمل لعل الله يرزقه بطفلة فسمعت الزوجة كلامه وحملت وبعد تسعة أشهر أنجبت فتاة فأسماها منى وفرح فرحا كبيرا وقام يوزع النقود والحلوي علي كل مسكين يمر أمام منزله .

تتذكر مني دموع أبيها وهو يروي لها كل هذه الذكريات وكيف انكسرت فرحته بعد مرور أعوام علي ولادة أختها التي ماتت وهي طفلة وكسرت قلب أبيها من الحسرة عليها فقد ماتت الأخت والأم والصديقة .

كان يروي لها كم كان ينتظر كل يوم ويتساءل متي ستكبر ، كان يوقفها أمامه كل يوم ليري كم ارتفع طولها ، ويحملها بيديه ويزن كم زاد وزنها ، أي عشق هذا ؟

وبعد أن أتمت سنتين من عمرها ماتت مني التي كان ينتظر أن تكبر على أحر من الجمر ، حزن لموتها حزنا عميقا ، قطع الطعام وانكسرت فرحته ، دخل في عزلة مع ذكريات ابنته كان ينادي عليها وهو مستيقظ وهو نائم .

رأت زوجته حالته تسوء كل يوم عن الآخر ففكرت أن تعيد له فرحته فحملت مرة أخري وأبلغته بأنها حامل لعل الله يرزقه ويعوضه بإبنة تعوضه عن التي ماتت ففرح بالخبر وإستعاد وعيه .

أعاده هذا الخبر للحياة من جديد بكل الأمال والأحلام وظل يدعو أن يرزقه الله بفتاة تكون عوضا عما أخذه منه ، فأعطاه الله فرحته الثانية .

روي لها كيف كان يوم ولادتها ، ولماذا أسماها منى علي إسم اختها وعمرها فأصبحت منى أكبر من عمرها الحقيقي بسنوات ، وكان يشاهدها وهي تنمو ويشتد عودها يوما بعد يوم وعاما وراء عام ، أصبحت في السادس من عمرها هذا العمر الذي كان المفروض أن تكون مني في أول عام دراسي لها في المرحلة الإبتدائية ولكنها فوجئت أن أباها قال أنها مقيدة في المدرسة من سنوات لأنه قدم شهادة ميلاد أختها إلى المدرسة ، فأصبحت من هنا حياة مني ليست حياتها ولا أسمها ولا عمرها وضاعت فرحتها بأول يوم دراسي كأي طفل في عمرها ، فلم تفرح بملابس المدرسة الجديدة وحقيبتها وذهابها ممسكة بيد أبيها في سعادة غامرة ، لكنه حرمها من أن تدخل المدرسة مثل باقي الأطفال الذين في عمرها .

ظلت تتذكر كيف كانت تذهب إلي باب المدرسة فتجد جميع الأطفال يقفون في فناء المدرسة في طابور منتظم وينشدون نشيد بلادي وتنشد معهم بصوت خافق مخنوق بدموع وهي تتحسر علي حالها وبعد الإنتهاء من الطابور وتحية العلم تجد الأطفال يذهبون إلي فصولهم وهم يضحكون وسعداء ، فترجع مني إلى المنزل ، مرسوم علي وجهها بؤسا شديدا ودموعها تتساقط من شدة الحزن .

كان هذا العزف الثاني علي أوتار طفولتها البريئة وأحلامها الجميلة التي تبعثرت علي أوتار الزمان .

رفض الأب ذهاب مني إلي المدرسة لأنه سوف يفتضح أمره وكان مدير المدرسة يعلم كل شئ لأنه كان صديقا لوالدها.

مديرالمدرسة : سوف تقوم أنت علي تعليمها القراءة والكتابة وأن تدرس لها مناهج المدرسة من الصف الأول الإبتدائى وحتي نهاية الشهادة الابتدائية ، فهي على قدر من الذكاء ، وسوف تستوعب كل ماتدرسه لها ، كل مايقوله لها والدها تحفظه عن ظهر قلب ، كانت طفلة في عمر الستة سنوات ولكن والدها كان يعاملها علي أنها آنسة كبيرة ، بل كان يخاف عليها من الهواء ، الذي يداعب جفونها ومن إنسان ، تتذكر مني كيف علمها المبادىء والقيم والأخلاق والحلال والحرام علمها كل شئ ، تتذكر كيف كانت تستيقظ قبل أن يستيقظ هو من نومه فيجد الإفطار والشاي وملابس العمل جاهزة فكانت لاتتركه إلا وهو ذاهب إلي العمل ، ثم تعود إلى غرفتها لتدرس دروسها ، وحين ترهقها القرأه تذهب لمشاهدة التلفاز ، كانت هذة التسلية الوحيدة التي في حياتها ، ويمر اليوم مابين الغرفة و مشاهدتها التلفاز .

وبالرغم من تواجدها في المنزل الذي تقيم به والدتها فلم ترغب مني قط في الحديث معها ، وكانت تشعر أنها لاتحبها فكانت ترفع صوتها عليها في كل وقت وكل حين وذلك عند غياب أبيها ، ولكن مني لم تفكر قط لماذا تعاملها والدتها هكذا دون أخويها ولكنها كانت تلتمس العذر للأمهات الاتي يفضلن الصبيان عن الفتيات ، لكن لماذا لم تحب مني وتحب أخوانها الذكور أكثر منها ؟! أليست منى ابنتها الوحيده ؟ وهل يوجد في الكون أم لا تحب أولادها

مني : لم تفكر كثيرا في والدتها ،والدها يعوضها حنان الأم والأب معا ، فتعودت علي العزلة وأن تبقي مع نفسها ، وقبل وصول الأب من العمل بساعات تذهب مني إلى المطبخ لتعد الغداء للأب وتتفنن في أن تعد له أشهي الأطعمة التي يحبها .

يأتي الأب من العمل وبعد دخوله من الباب لايذكر إسم أحد غير منى فينادي عليها وهو يعلم أنها تنتظر وصوله من العمل علي أحر من الجمر ، أي حب هذا من طفلة لأبيها ؟ .

تتذكر كيف كان ينادي عليها فتأتي مهرولة والفرحة تتراقص في عينيها لعودة أبيها ، فهو العامل الأساسي في تمسكها بالحياة ويجلس الأب وتقوم مني بمساعدته علي خلع ملابسه وإرتداء ملابس المنزل ، وتأتي له بكوب من العصير الطازج الذي أعدته له وبعده تأتي له بالغداء .

يجلس مع مني يتناول الغداء وبعده يذهبا معا إلى حديقة المنزل التي توجد بها أشجار من الجوافة والبرتقال والمانجو ويجلسا معا تحت شجرة المانجو والعصافير والطيور تحلق من فوقهم وكأنها تنتظر وصولهما .

يسأل الأب منى : كيف كان يومك ياصغيرتي ؟

منى : مثل كل يوم لاجديد .

والدها : هل دارستي واجباتك والدروس التي أعطيتك أياها ؟ .

منى : نعم درست كل شئ ماعدا دروس اللغة العربية فأنا لا أرغبها ولا أجيدها .

يغضب الأب منها

الأب إذهبي واحضرى كتب اللغة العربية وكراس وقلم .

يجلس الأب ليدرس لمنى وبعد الإنتهاء يجلسان ليتحدثان في أي موضوع ، وبعد الإنتهاء من الحديث

نهض الأب وقال : سأذهب إلى غرفتي لأستريح قليلا .

تذهب منى معه لتبسط عليه الغطاء وتطفئ له مصباح الغرفه وتغلق خلفها الباب وتذهب إلى غرفتها لتدرس دروسها حتي يستيقظ ، وعندما يستيقظ والدها يجد كوب الشاي والماء الدافئ ليتوضأ ويصلي ويرتدي ملابسه ليخرج مع أصدقائه علي ضفة النهر في المكان الذي يعشقه ، وهكذا مرت الأيام مع منى وهي في كنف أبيها وفي حضنه .

ظلت منى شاردة مابين الحاضر المؤلم والماضي السعيد الذي لم يأت يوم مثله بعد الآن تائهه بين أنوثه ضائعه وغير مكتمله وبين طفولة سعيدة كانت تعيش بها مع أبيها .

ظلت تتذكر حياتها السابقة وطفولتها البريئة وتخاف من المستقبل الذي لاتعلم عنه شيئا ولا تدركه ، وظلت متكئه على الفراش تتذكر الماضي ولاتشعر بمرور الوقت ، عندما تعبت من النوم مستيقظة قامت من علي السرير ، ذهبت إلي النافذة وفتحتها لتجد ظلاما دامسا خارج الغرفه ، نظرت إلي الساعة التي بيدها فوجدت أنها في منتصف الليل ، فنظرت إلى السماء فوجدت النجوم تتلألأ والقمر مخنوق ولونه أحمر وسواد الليل الدامس يذكرها بأن هذه حياتها المستقبلية ،أحلامها تتناثر مثل النجوم وروحها مخنوقة مثل القمر .

ذهبت مسرعة إلي الفراش ونامت دون أن تتذكر أنها لم تأكل شيئا طوال اليوم ، لكنها لم تشعر بأي رغبة فى الطعام ولا الشراب ولا حتي الحياة ، لم يشغلها الجوع والعطش ، كل ماتفكر فيه هو ماحدث في هذا اليوم وما مر بها من أحداث .

كان يوما طويلا جدا علي طفلة في مثل هذا العمر ، فهي لا تقدر على إستيعاب ما حدث لها من قلق وحزن وتوتر ، تقاوم كل هذا الوجع الذي بداخلها ولكن كل مايشغلها الآن هو أن تجف دموعها ويغمض جفنها وتستطيع النوم ، هي تريد أن يتوقف عقلها عن التفكير لتسترخي وتنام نوما عميقا ، و تتمني أن تستيقظ لتجد أن هذا اليوم لم يمر علي حياتها وكأنه أضغاث أحلام ستفيق منها بعد إستيقاظها من النوم ، وهي تفكر سمع الله مناجاتها وأفقدها الوعي فقد غلبها النوم ونامت ، لكن عقلها الباطن لم ينم فظل متيقظا ، كأنه ليس مقتنعا بالموضوع كليا ونامت ولكنها لم تستمتع بنومها لإستيقاظ عقلها الباطن ،و ظلت مابين النوم واليقظه .

مر الليل وهي هكذا وكعادتها إستيقظت في نفس الوقت الذي إعتادت أن تستيقظ فيه دون تدخل من أحد ولكن بإيحاء من الرغبه التي تكمن بداخلها منذ صغرها فتواظب علي إيقاظها في دقة وكأنها منبه يدق بجوار أذنها ، ظلت لحظات علي شك من إستيقاظها ، فاختلط عليها رؤي الأحلام وهمسات الإحساس حتي بادرها القلق الذي ألمَّ بها قبل أن تفتح جفونها ، خشيت أن يكون النوم قد غلبها ونسيت أن والدها ينتظر الإفطار ليذهب إلى عمله ، لكن سرعان ما رفعت جفونها

وفتحت عيناها لتري ان الضوء ملأ الغرفه وشعاع الشمس يدخل من الثقوب التي توجد في النافذة وصوت العصافير يعلو وكأنهم ينادون عليها ليوقظونها من نومها ، أسرعت وقامت من علي السرير ، ذهبت وفتحت النافذه فوجدت الشمس مشرقة ، ذهبت مسرعة إلى باب الغرفة وفتحته بقوة ، أسرعت إلى غرفة أبيها لكنها وجدت الغرفة فارغة لا يوجد أحد بها

ذهبت إلى المطبخ

فسألت أمها بصوت مرتجف حزين أين أبي ؟

الأم : لقد ذهب الي عمله .

مني : هل تناول إفطاره وشرب الشاي ؟

الأم : لا . لم يأكل شيئا بل قام مسرعا وارتدى ملابسه وذهب إلى غرفتك فوجدك نائمة فلم يرغب أن يوقظك فأغلق الباب وذهب وهو يتمتم بكلمات لم نفهمها وعيناه دامعتان وذهب وتوضأ ولبس ملابسه وذهب لعمله دون أن يتناول شيئا من الطعام أو ينطق بكلمة واحدة .

رجعت منى إلى غرفتها وقلبها يتمزق من الألم علي حالها وحال أبيها ، ولكنها كانت علي يقين أن دوام الحال من المحال وأن هذا الوجع سوف يأتي عليه اليوم ويزول كله ، كان يوجد عندها أمل أن أبيها سوف يأتي عليه اليوم الذي سوف يفيق من هذه الغيبوبة فهو لايستطيع الإبتعاد عن ابنته ولايستطيع إبعادها عن حضنه ، لكنها مازالت تفكر في هذا الأمر مرارا وتكرارا إلى أن مضي الوقت .

عاد أبوها من عمله فوجدها تعد له الغداء وأتت له بثيابه فاستغرب لهذا كله ، وجدها تفعل مثلما كانت تفعل له في الماضي دون أن يتغير شيئا من عاداتها ، فقد دفنت ألمها في صدرها ولم تظهر له غضبها منه .

فرح الأب بوضع منى الحالي وأنها لم تغضب منه ولكنه يعلم ابنته جيدا من عينيها فهي كانت تمثل الإبتسامة المرسومة علي الوجه فهو يعلم أن بداخلها بركان من الغضب والنفور ولم تظهره لأحد قط ، لكنه لم يخف عليه وجه صغيرته فهو يحفظ ملامح وجهها عند السعاده وعند الحزن ، هو يري دموع حائرة في عين ابنته رافضة أن تتساقط وأن يراها أحد ، مع كل هذا لم يحرك ساكنا ، ولم يحن قلبه عليها ، فقال لنفسه أنها سوف تتقبل الأمر الواقع مع مرور الوقت .

لكن مرت أيام وأسابيع وشهور ومني تعتصر من الألم الذي بداخلها ، أصابها الحزن الشديد علي حالها فهي أصبحت لاتعلم شيئا عن حالها توقف كل كيانها وجوارحها وأصبحت جثة هامدة .

أصبحت معاملتها لأبيها ليست كما هي ، فهي تمثل السعادة وهو يمثل عدم الإهتمام ، إلى أن جاء يوم ذهابه إلى الحج ، دخل الأب ليسلم عليها قبل سفره .

الأب : ألا تودعيني ياحبيبتي ؟

نظرت له منى وهي تبكي ولم تتفوه بكلمة واحدة .

خرج الأب من غرفتها وهو يبكي ، لكنه قال لنفسه سوف أدعي لك ياحبيبتي حتي يطمئن الله قلبك ويسعد أيامك ، تركها في حيرة كبيرة تتمني أن يعود أبوها من الحج ويقول لها أنه أنهي زواجها بعد أن كفَّر عن قسمه في بيت الله الحرام .

أنبتت بذرة الأمل بداخلها من جديد ، وواصلت حياتها كما هي ، إلى أن جاء أبوها من الحج وجاء معه التوتر والقلق من جديد

بعد مرور أسابيع من وصوله من الحج ، جاء يوم إبلاغها بموعد زواجها ، في هذا اليوم كانت جالسة في الحديقة مع كلبها رعد فجاء والدها وجلس لجوارها فنظرت بعينيه نظرة عتاب فلم يشغل باله بهذه النظرة فهو تعود عل عدم النظر لعينيها فقال لها إنه حان الوقت الذي تتركين فيه منزل أبيك وتذهبين لمنزلك الجديد فقد حددنا يوم الزفاف فنظرت له وأطالت بنظراتها والعرق يتساقط منها والخوف يقتلها .

هبط عليها الخبر كالصاعقة التي تنفجر في وجه البشر دون سابق إنذار ، فكل يوم يولد عندها أمل جديد أن الظروف سوف تتغير وإن زواجها هذا لن يكتمل .

ذهبت مسرعة إلى غرفتها وهي لاتنطق بكلمة واحدة ، وألقت نفسها علي سريرها ودفنت وجهها بداخل وسادتها وظلت تصرخ بصوت مكتوم لم يسمع صراخها غير وسادتها وقلبها الممزق ، بعد مرور ساعة وهي علي هذا الحال من البكاء المتواصل ، شعرت مني بخفقات سريعة في قلبها وكان صدرها يتمزق من الألم وعينها لاتستطيع الرؤية بها وبطنها تتمزق من شدة الألم ، يراودها آلام شديد في مقدمة الرأس .

ماهذا ؟!

كل هذا المرض الذي جاء فجأة وهاجم جسد مني ، هل جسد مني يعترض هو الأخر دون إرادتها علي ما سيحدث له في القريب العاجل ؟ أم هي مريضة حقا ؟ لكنها لم تشعر بمثل هذا الألم قبل الآن ، فصرخت صراخا عاليا اهتز له جدران المنزل .

ذهب الأب والأم إليها مسرعان وهما يتساءلان ما بك يا ابنتي ؟

تنظر منى لأبيها ولا تستطيع الكلام .

حملها الأب بين ذراعيه وذهب بها مسرعا الي الطبيب الذي كان يسكن بجوار منزلهم ، فلم يستطع أن يصبر علي أن يأتي به إلى المنزل فخوفه علي ابنته أفقده التركيز وحملها علي كتفيه ، صعد إلى الطابق الثالث من منزل الطبيب حيث يسكن ، دق الباب بصوت عال .

خرج الطبيب ليسأل من وراء الباب ؟

من الطارق : أنا الحاج محمد جارك يادكتور مازن إفتح أرجوك .

استغرب الدكتور مازن وفتح الباب مسرعا وتيقن أن الحاج محمد في مأزق فهو ليس معتادا علي أن يترجي أحد ، وجده يحمل ابنته علي كتفيه ،

يقول له أنقذ ابنتي فهي تتألم

فأدخلهم الدكتور مازن مسرعا إلي غرفة المكتب التي يوجد في المنزل ، وطلب من الحاج محمد أن يضع ابنته على الشيزلونج وغطاها .

قام الطبيب بفحص مني وهي تصرخ وتتألم كثيرا ولكن الطبيب يجد مني تصرخ وتتألم ولا يعلم أين مكان الألم فالتشخيص أثبت عدم وجود مرض عضوي ، فلماذا تتألم وتصرخ هكذا ؟!

الدكتور مازن : من فضلك ياحاج محمد ، وابتعدا قليلا عن مني .

الدكتور مازن : قص علي ماذا حدث لمني قبل أن تصرخ ؟

قص الحاج محمد كل ماحدث لابنته .

الدكتور مازن : هي عندها أزمه نفسية لا عضوية .

لكن الحاج محمد لايسمع كلام الدكتور ، لأنه يخشى علي ابنته

والأب : منى تصرخ من شدة الألم .

الدكتور مازن : إن عندها إيحاءات بالألم هي فعلا تتألم ، القولون العصبي مع الحالة النفسية يجعلها تعتقد أنها مريضة

الأب : ربما تكون أعراض الزائدة الدودية .

نفي الدكتور مازن ذلك تماما

الدكتور مازن :الزائدة أعراضها قئ وألم في الجانب الأيمن مستمر .

سمعت مني كلام الدكتور مازن لأبيها ، قالت لنفسها أن تمثل أعراض المرض حتي يأخذها أبيها إلى المشفي وتحجز بعض من الوقت حتي تجد مخرجا لنفسها .

بالفعل ظلت تصرخ

وتقول أن جنبها الأيمن يؤلمها ألما شديدا .

الدكتور مازن : لابد من أخذها إلى المشفي لنجري لها بعض الفحوصات .

أخذها والدها برفقة الدكتور مازن والأهل والأقارب والأصدقاء ، الكل يريد أن يجامل والدها فقد كانت كل البلدة تعشقه وتهابه في نفس الوقت .

نظرت مني لأبيها وجدته يتألم من أجلها وقلبه ينفطر من الخوف عليها ولكنها لم تستطع الرجوع في كلامها ، ظلت تمثل الألم وصراخها يتزايد .

أخذها الطبيب ودخل غرفة الإشاعة وأجرى لها التحاليل مسرعا ، لكن حدث شئ غريب !

خرج الطبيب إلى الأب قال : منى عندها الزائدة ، ولابد أن يجري لها العملية الآن .

مني : تذكرت كلمات كانت تسمعها من أبيها دوما (لاتتمارضوا فتمرضوا فتموتوا) ،

ولكنها لاتخشي الموت فزواجها والموت واحد .

أخذها الطبيب في يده وكاد أن يذهب بها إلى غرفة العمليات ، لكنها تعلقت في رقبة والدها وظلت تبكي وهو يبكي من الخوف عليها ، لكنه تماسك أمامها مثل تماسك الجليد أمام أشعة الشمس وكان يطمئنها لكي تذهب مع الطبيب ، لكنهما قبضت أيديهم وكأنهما إلتصقا في قبضة واحدة ،

الأب : إذهبي ياحبيبتي إنشاء الله لم يمسك الضر فسوف تمتسلين لشفاء العاجل ،

الأب : متمسك بيدها ولا يدري أنه متمسك بها ولايريد أن يتركها خوفا من أن يخطفها الموت أثناء الجراحة .

لكن الطبيب أخذها عنوة وأعطاها إلى الممرضة،

الممرضه : تعرف والد منى وتعرف عائلتها جيدا لأنها تقيم في نفس القرية وفي نفس الشارع .

أخذتها الممرضة إلى غرفة العمليات واستدعت طبيب التخدير ، دخل شاب في مقتبل العمر ، يناهز (الخامسة والعشرين) متوسط الطول وجهه أبيض ، شعره أسود ، وعينيه بنِّيَّتين وله حسنة سوداء علي خده الأيمن ، وقف ثابتا عندما رأي مني أمامه ، فهي تمتلك سحرا غريبا هي نفسها لا تعرف سببه ، عندما نظر في عينيها لم يشعر بشئ غير أنه يريد أن يقف أمامها لينظر إلي عينيها ، نسي أنها مريضة وأنه طبيب ، كل مايمر بخاطره هو هذا الوجه الذي لطالما رسم ملامحه من خياله في مذكراته .

فنادت عليه الممرضة

الممرضه : يادكتور وليد هيا إعطها الحقنة المخدر ،

قالتها عدة مرات ، وهو واقف أمام منى ينظر إليها شاردا .

الممرضة بصوت عال : يادكتور وليد أعطها حقنة المخدر، الطبيب الجراح سوف يدخل الآن ،

فأفاق لنفسه وتذكر أنه جاء ليخدرها من أجل العملية .

الممرضة : أين تعطيها حقنة المخدر .. في العمود الفقري أم في الوريد ؟

وليد : سوف أعطيها في العمود الفقري ، وقال سوف أمسك بيدها حتي أجلسها علي الترولل ،

أمسك بيدها وأجلسها ، لكنه كان يتعمد أن يلمس جسدها ، كانت طفلة لاتعلم أنه يتحرش بها من شدة جمالها ، وبعد أن أعطاها الحقنة هو والممرضة وتيقن أن البنج أثر فيها وأصبحت مهيأة للعملية .

قبل دخول الطبيب الذي سوف يجري العملية أراد الدكتور وليد بعد أعطائها حقنة البنج أن يقبلها لكن الممرضة نهرته .

الممرضة : عائلتها بالخارج ، لو إستتشعروا وأحس أحدهم بشئ سوف يقتلونك ،

فخاف وتراجع ، لم يحسب حساب أن مني لم تفقد الوعي بل كان نصفها الأسفل فقط ولكنها تسمع كل شئ ولم تستطع أن تفتح عينيها ، ولا أن تنطق ، كانت تظن أن جسدها بالكامل فاقد الوعي ، ولكنها كانت مستغربة أنها تسمع حوار الدكتور وليد والممرضة ، وظنت أنها تحلم ، بعد إجراء العملية لمني ، ظل طبيب التخدير يهتم بها ولايترك والدها وبقي معه حتي أفاقت منى من العملية وأطمئن عليها ، طلب من الجميع أن يذهبوا لأنهم ظلوا عاكفين معه الليل كله ولم يسترح أحد منهم ، فذهب كل الناس .

في الصباح قبل أن تستعيد وعيها من العملية ، كانت ليلة طويلة جدا كلها صراخ وأنين .

طلب الدكتور وليد أن يمسك يد مني حتي تسير في الممر قليلا ولكنها رفضت .

منى : أبي سوف يسير معي ونظرت له ، وقالت: لن أسير معك

فنظر لها وكأنه يترجاها ان تتركه يلمس يدها فهو يتودد لها، لأن قلبه أخفق بحبها ، لكن كيف لطفلة أن تعرف مشاعر الحب هذه .

رفض والدها هو أيضا ،

الأب : سوف أستطيع أن أسندها بمفردي ،

فقد وقع نظر الحاج محمد على الدكتور وليد وهو ينظر لمني نظره غريبة لايجدر بطبيب أن ينظر لمريضة مثل هذه النظرة ، لكنه أستبعد الفكرة في الحال ، وقال أنه طبيب ويمر عليه في اليوم مئات من البنات والسيدات من هم أجمل من مني ، لكنه لايعرف أنه قد سحر من نظرات عيناها .

ذهب الدكتور وليد بعدما رفض الحاج محمد أن يعطيه فرصه أن يمسك بيد منى ويسندها حتي تسير معه ، ولكنه لم يبتعد كثيرا فهو كان يراقب غرفة منى طوال الوقت حتي يجد الفرصة لتقبيلها ، لكن حدث مالا يحمد عقباه .

أخذ الأب يد ابنته وخرج من الغرفة وظلا يسيروا معا ، لكن مني لم تتحمل السير، فوقعت من يد أبيها مغشي عليها ، فقدت الوعي فحملها والدها وذهب بها إلى غرفتها ووضعها علي السرير .

جاء الدكتور وليد مسرعا لإفاقتها ، وطلب من الحاضرين إن يبتعدوا عن منى حتي يعطيها حقنة في الوريد لتستعيد الوعي ، وأعطاها الحقنه وقبل أن تفيق انحنى برأسه نحوها وكأنه يريد أن يستنشق أنفاسها ، فرأته سيدة كانت واقفة معها جاءت مع الذين جاءوا إليها بعد أن وقعت علي الأرض .

السيدة للطبيب : ماذا تفعل ؟

الطبيب : أحاول إفاقتها .

السيدة : لا .. أنت تريد أن تقبلها ،

منى: مابين النوم واليقظة، سمعت كلام السيدة له ، فإستيقظت رأت وجه الطبيب فتذكرت انه كاد يقبلها في غرفة العمليات ، قصت لوالدها في نفس اللحظه ، شحب وجه الدكتور وليد وأنكر ، لكنها ظلت مصرة علي كلامها .

منى : الممرضة قالت له لاتفعل من أجل عائلتها .

إحْمَرَّ وجه الأب وغلى الدم في عروقه ، أخذ الدكتور زاحفا علي ركبتيه أمام الناس الذين في المشفي وسحله ، فخرجوا وراءه يتساءلون عن مابدر من الطبيب .

سمع مدير المشفي ضجيجا أمام غرفته ، خرج مسرعا ، وجد الحاج محمد قد قيد الدكتور وليد في شجرة في فناء المشفي ، خرج مدير المشفي حتي يعلم مافعله الدكتور وليد وهل يستحق كل ما فعله به الحاج محمد .

أخبره الحاج محمد بما بدر من هذا الشخص الموثق بالشجرة ، اندهش مدير المستشفى هو يعلم جيدا أن الدكتور وليد لن تصدر منه هذه الأفعال المشينة، الدكتور وليد على خلق ودين، هو يعلم حدود مهنته جيدا ،مديرالمشفى يتساءل ماذا أصاب الدكتور وليد، ليجعل كل البشر الذين يقفون حوله يشكوا به وبأخلاقه ونزاهته **؟!** ويجعله يظهر بما لا يليق بمثله كطبيب يحمل رسالة انسانية في المقام الأول وأخذ يترجى الحاج محمد أن يحل وثاق الدكتور وتعهد بأن يحوله للتحقيق ، ويوقفه عن العمل من أجل حديث الناس والمرضى ، لكن كل هذا لايؤثر في الحاج محمد ظل يضرب فيه .

الحاج محمد : لن أحل وثاقه حتي تحضر لي عائلته كلها ،

لكن وليد لم يكترث لما فعل به الحاج محمد وكان يقول له أنا أحبها وأريد أن أتزوجها.

طلبت مني من الممرضة أن تسندها وتذهب بها إلي النافذة ، تسمع منى صراخ الطبيب وهو يقول أنه يحبها ويريد أن يتزوجها ، بكت من أجله بكاء شديدا ، وخفق قلبها خفقة اهتز لها صدرها وارتجف جسدها ، لكنها لاتعلم أن هذه الخفقة كانت بوادر عشق ، ولكنها لم تفكر بالأمر ، أيمكن ان يكون قلبها قد خفق بحب وليد ، فهي لاتعلم ماذا يكون الحب ، وظلت تبكي وهي تشعر بالذنب ، وأنها كانت سببا في ضياع مستقبل الشاب الذي عاند مشاعره بطريقة خاطئة ، إندفعا تجاه لحظة لم تكن مناسبة للإعلان عما خالط أحاسيسه ومشاعره الفياضة تجاه منى ، فهو في غنى عن مذلته و إهانته أمام الجميع من جراء تصريحه الأهوج بحبها ، هي تفكر ببراءة غريبة لأنها طفلة لم تقابل قبل الآن الوحوش الذين يرتدون أقنعة بشر .

وجدت منى أبيها لأول مرة يبدو كوحش من وحوش هذه الأرض التي باتت تشبه الغابة الواسعة ، تساءلت أين الأب الحنون لماذا تحول هكذا ، فهي لم ولن تعتاد علي رؤيته في هذا المنظر .

ظلت مني متحاملة علي نفسها لإحساسها بذنب هذا الشاب وهي بداخلها تقول أنها سبب ماحدث له ، لو أنه لم يرها لما حدث له ذلك ، وأصبحت تفكر في وليد كثيرا وهي معتقدة أنها تشفق عليه ولكنها لم تعلم أنها كانت علي مشارف الإحساس بحبه .

بعد كل هذه المشاكل اتصل مدير المشفي بعائلة وليد فأتوا جميعا وقدموا الإعتذار ، وبعدها حلوا وثاقه .

لكن الطبيب وليد ارتكز علي قدميه أمام الناس راجيا الأب أن يوافق علي زواجه من ابنته التي أحبها حبا جما ، وقال أنه لايستطيع العيش بدونها فهو لا يفكر في كرامته ولا جسده الذي تمزق من الجلد ، كل مافكر به هو الألم الذي بداخل قلبه ، فهو يشعر أن بداخل قلبه الحمم البركانية تحرق كل جوارحه وكل أركان نفسه ، لكن أي حب هذا الذي تكون في يومين .

عقل مني الصغير الطفولي لم يستوعب مايحدث .

ذهب الأب وحمل ابنته وخرج بها من المشفي لأنه خاف عليها ولإنه لايؤمن بشئ إسمه الحب .

خاف مدير المشفي من الحاج محمد فكتب إقرارا بخروج منى قبل أن تفك سلك العملية علي مسؤليته الخاصة .

ذهبت منى إلي المنزل وهي لاتعلم ماذا حدث لوليد بعد أن أخذته عائلته وذهبوا به إلي بلدته .

في أثناء علاج منى في المنزل لا أحد يهتم بها ولا أحد يمرضها غير والدها .

بعد أيام تلوث جرح منى وأصبح به صديد ، فحملها والدها مجددا وذهب بها إلى المشفي لينظف الجرح ويفك السلك ويعقم الجرح ثانية.

رأت منى الممرضة فسألتها عن الطبيب وليد ، كانت متعطشة لسماع أي شيئ عنه وعن أخباره لتطمئن ويستريح ضميرها

منى : ماذا حل بالدكتور وليد ؟

الممرضة : أنهم أوقفوه عن العمل وحولوه إلى التحقيق وكل هذا بسببك.

زادها هذا الكلام آلاما علي آلامها التي لم تلتئم بعد ، فآلام الضمير صعب تحملها ، فزادها المرض ألما شديدا ، ومنى لم تحتمل آلام الضمير ولا الجسد ولا القلب فهي مازالت طفلة وقد حمَّلوها فوق طاقتها ، ولكنها أصبحت عاشقة لمرضها وآلامها ، ظلت تدعو الله أن لايشفيها من مرضها ويعجل لها الموت راحة من آلامها وأوجاعها وأحزانها .

في صباح يوم ليس ببعيد سمعت مني ضجيجا وحركة في منزلها فقاومت نفسها وجسدها الهزيل وغادرت الفراش لتنظر وتسمع ماذا يحدث خارج غرفتها .

جاءت بعصا جدها واتكأت عليها ومشت بخطوات بطيئة لأنها لا تستطيع السير من شدة آلامها وأوجاعها ، ذهبت مني إلى الباب وفتحته فتحة بسيطة حتي لا يراها أحد ، صعقت منى عندما رأت الناس يحملون أغراض شوارها ويذهبون بها إلى منزل علاء ، فتيقنت أنه جاء يوم القضاء عليها ، بكت بكاءً شديدا ، تمزق قلبها لعدم اهتمام أحد بحالتها الصحية و النفسيه وانها لا تأثر في والدها ، لكن عند عودتها إلى الفراش وهي تبكي رأها أخوها الأصغر يسين ،

ذهب لها مسرعا وهو فرحان والفرحه تتراقص من عينه ويقول لها بكل فرح وحب أنه يحمل شوارها مع الناس لقد اقترب يوم زفافك ، لكنها دون أن تشعر ومن كثرة حزنها صفعت أخيها بالقلم علي وجه وكأنها تصفع الأيام والحياة ، فنظر لها ياسين وهو يبكي

ياسين : لماذا صفعتيني .. أنا لم أفعل لك شيئا ؟

لكن منى لم تتمالك نفسها فسقطت العصا من يدها وركزت علي الأرض واحتضنت أخيها بين ذراعيها وظلت تبكي بشده

وتقول له سامحني ياصغيري لم أقصدك سامحني

وظلت تقبل وجنتيه وجبينه وتقبل يديه ، لكنه لم يبك من ألم الصفعة كان يبكي علي بكاء أخته وهو يشعر أنها تتمزق من شدة الآلام ، لكنه طفل يبلغ من العمر سبع سنوات لايدرك شيئا ولايعلم لماذا هي حزينه هكذا .

خرج ياسين من غرفة مني وهو حزين علي حزن أخته ظل يبكي ، فنظر والده إلي وجهه فوجده دامع المقلتين .

الأب : ماذا يبكيك يا ياسين ؟

ياسين : مني تبكي بشده .

سمع الأب كلام ياسين فوقف متألما علي ابنته ، لكنه لا يقدر علي تغيير قراره ، محا دموع مقاتي ياسين ، وتماسك هو وذهب بنفسه إلى منى ليبلغها أن تستعد لأن زفافها بعد يومين .

دق الأب باب غرفة منى ولم ينتظر أن تأذن له بالدخول ، فتح الباب ودخل فوجدها متكئة علي قدميها علي الأرض ، ذهب لها مسرعا وأمسك بيدها وأوقفها وحملها بين ذراعيه لكنه لم ينظر إلي مقلتيها مطلقا ، وضعها علي الفراش وبسط عليها الغطاء وهي تنظر له بشغف وتتمني أن ينظر إليها ولكنه تعمد ألا ينظر إليها ولكن تخاطفت مقلتيه النظرت من مقلتيها فلم يتمالك نفسه وذهب مسرعا من الغرفه دون أن ينطق بكلمة واحدة قبل أن ينهار ويبكي أمامها فخرج من الغرفه وأغلق الباب خلفه .

وقف الأب خلف الباب يبكي ويمحي دموعه خشية أن يري دموعه أحد ، وسمع مني وهي تبكي وتنادي عليه وتصرخ

وتقول له لأول مره لن أسامحك طول حياتي علي ما فعلته بي

مزقه كلام مني وكأنه سكين يمزق قلبه ، ومع كل هذاالألم الذي يسكن روحهما ، لم يتنازل عن قراره أبدا ،

الأب :في نفسه أن عهدي مع ربي أقوي من عهدي مع ابنتي ، ذهب وأتم عمله وحمل الشوار كله وذهب به إلى منزل علاء وجهزوامنزل العروس علي أكمل مايكون ، فهو لايبخل عليها بأي شئ وأغلق باب المنزل وأخذ مفتاحه في جيبه خوفا من أن يدخل أحد ويغير نظام المنزل هو يعلم ذوق ابنته فقد قام بكل شئ كانت تحبه لعل هذا كله يشفع له عندها .

مر اليومان وكأنهم ساعات معدودات وجاء يوم الزفاف ، في صباح هذا اليوم استيقظت من نومها مبكرا ، هى لم تمتسل لشفاء وبرغم مرضها وضعفها، أصبحت هزيله الجسد مثل أوراق الشجر الذابلة ، قامت من علي فراشها وذهبت إلى المطبخ مثلما كانت تفعل لتعد الأفطار لأبيها كما اعتاد أن تفعل في الماضي ولكن هذا اليوم لم يكن مثل أي يوم مضي عليه ، فهذا اليوم هو اليوم الأخير لها في المنزل فقد أخذت قرارها هي الأخرى ، قالت لنفسها أنها سوف تخرج من هذا المنزل ولن تعود إليه مطلقا مهما فعل بها الزمن لن ترجع إليه إلا ضيفه مثل أي أحد غريب ، حلفت أن لا تتذوق به أي طعام بعد هذا اليوم ومر النهار كله ولم يتغير به أي شئ غير أنه آن الأوان لرحيل مني منه .

دخلت غرفتها لتستعد وتجهز نفسها وترتدي ثوب الزفاف وهي تعتقد أنها ترتدي كفنها ، جاءت بالثوب ووضعته علي فراشا وجهزت كل محتويات الزينه وتزينت بذهبها كله ، لكنها لم تخرج شحنة الغضب من داخلها ، قامت وأتت بورقة وقلم وجلست علي حرف المقعد تكتب خطابا لأبيها ولكنها لاتعلم من أين تبدأ وماذا تكتب ، كتبت له بعض من الخواطر التي هاجمت عقلها وتفكيرها ، وماتشعر به وراودتها نفسها بهذه الخواطر وكلمات كان يتأجج بها قلبها ، كلمات كثيرة ، كتبت في آخر الخطاب إمضاء (قاتلة أبيها) كأنها تريد أن تعذبه مثلما عذبها ، بعد أن أنهته أغلقت الخطاب وأغلقت معه كل ذكرياتها الجميلة مع أبيها في هذا المنزل الذي كان كل عالمها ولم تعرف أو تعيش في عالم غيره ، وجاءت ابنة عمها التي تكبرها بعشر سنوات ولم تتزوج بعد لتزينها وتلبسها ثوب الزفاف والطرحة ، وقفت مني تنظر لبنت عمها واصدقاء ابنة عمها ومنهم المتزوجة ومنهم التي لم تتزوج بعد وهم يتساءلون بينهم خلسه ، لماذا زوجها أبوها في هذا العمر ؟ ، بعد انتهائها من التزين نادت أخيها الأصغر ياسين وقبلته وأعطته الخطاب وطلبت ألا يعطيه لأبيه إلا في صباح الغد فسمع كلامها وذهب يخبئ الخطاب في غرفته حتي لايراه أحد مثلما طلبت منه أخته ، ذهبت وأكملت لبس الطرحة والشعر منساب علي ظهرها والكحل رسم العيون والأحمر رسم الشفاه والخدود والرموش الطويله وبعد أن أنهت زينتها وأصبحت ملكة متوجة .

ذهبت إبنة عمها لتنادي علي عمها ليأخذ العروس ليسلمها إلى عريسها فدخل الأب الغرفه وهو يقدم قدم ويؤخر الأخري ، لأنه يعلم جيدا أنه لم يستطيع رؤيتها في هذا المنظر لكنه حاول أن يتماسك ، دخل الغرفه ونظر إليها وهي مثل الملكة فوجدها وهي تبتسم وتضحك بصوت عال لمن معها بالغرفة كأنها تبكي من أعماق قلبها ، عندما نظرت له بعيونها اللامعة الساحرة ،

ابتسم وقال تبارك الخلاق سبحان من خلق فسوى ،

إبتسمت له وعيونها دامعة وقلبها يتمزق ، اقترب منها بخطوات بطيئة وكأنه خائف منها كان يرغب أن يأخذها بين ذراعه ويقبلها من جبينها وعندما اقترب منها وقف أمامها ونظر داخل مقلتيها فذرف الدمع من مقلتيه ونظرت له فوجدته يمحي دموعه وفرد ذراعيه ليضمها إلى حضنه ولكنها تراجعت إلى الوراء بخطوات مسرعة ،

كأنها تقول له لقد حرمتني من حضنك وأنا سوف أحرمك من حضني .

منى : إبتعد عني لا أريد منك شفقه ولا عطف .

فبكي الأب بكاءا شديدا وأبكي كل من كان معها في الغرفة ، أما هي فمحت دموعها وابتسمت وكأنها تقول له أنا لا أصدق هذه الدموع وتركته واقفا وذهبت نحو الباب ووقفت حتي هدأ وتماسك .

نظرت منى لأبيها وقالت : لقد آن أوان رحيلي لنذهب .

ذهب إليها الأب ليمسك يدها ويسلمها لزوجها ، لكنها رفضت أن تمسك يده ، ذهبت معه وهي تسير بجواره وخرج من الغرفه ووقفا بجوار بعض إلى ان جاء علاء وأخذها وذهب وهي تسير أمامه ، التفتت برأسها نحو أبيها ونظرت له نظرة لوم وعتاب علي مافعله بها ، وظل واقفا خلفها ولم يرغب في ان يذهب خلفها ليودعها وعيناه ترمقه إلى أن اختفت من أمامه .

خرجت مني من منزل أبيها إلى الأبد ولكنها لم تخرج مني الطفلة الجميلة البريئة التي كانت تسكن بداخلها الحيوية والطاقة والنشاط والمرح ، كل هذا تركته عند آخر خطوه عند باب منزل أبيها وهي ذاهبه ، خرجت مني وفي قرارة نفسها أنها لن تعود إلى هذا المنزل وأن تتحمل حياتها الجديدة مهما كانت صعبة ، لأنها لا تحتمل الفشل أو الخسارة .

قررت أن تحقق بإرادتها القوية كل أحلامها مهما حدث .

ذهبت مع زوجها إلى الكوشة التي أعدها أبوها للإحتفال بعرسها ، لكنها لم ترغب أن تجلس في هذه الكوشة .

منى : علاء أريد أن أذهب إلى المنزل ،

أخذها إلى منزله وأوصلها إلى غرفتها ، وذهب علاء يرحب بضيوفه ومدعويه وأصدقائه ، بعد خروجه من الغرفة جلست مني علي المقعد الذي أمام المرآة وظلت تنظر لنفسها وتنظر للتغيرات التي طرأت علي وجهها ، تقول أنها لاتعرف من هذه السيدة هل هذه طفلة في عمر الثالثة عشر عاما أم أنها سيدة عمرها الثلاثة والعشرين عام ؟ ظلت تبكي من خوفها من كل شئ .

بعد انتهاء الحفل عاد إليها علاء فوجدها أغلقت الباب ، دق الباب

علاء : يامني إفتحي الباب .

منى : لماذا ؟

علاء : أريد ان أبدل ملابسي وأنام .

منى : إذهب ونم في أي مكان ، لن أفتح هذا الباب إلى أن أموت ،

فقد قررت أن تحارب كل من حكم علي طفولتها بالموت وكان أول من تحاربه هو زوجها .

ظل علاء واقفا أمام الغرفة يدق الباب بصوت عالي وكاد أن يكسر الباب ، لكنها تماسكت ولم تفتح له .

سمعت أم علاء الضجيج فجاءت ودقت باب الشقه ، ذهب علاء وفتح لها الباب .

سألت الأم :علاء ما الأمر ؟

قال لها علاء : كل ماحدث بينه وبين منى .

الأم : أتركها ياولدي ونم في الغرفة الأخري فهي ما زالت طفلة لا تدرك شيئا فهي خائفة أتركها اليوم حتي تهدأ .

سمع علاء كلام أمه وذهب إلى الغرفه المجاورة لغرفة نومها ونام بها ، هي الأخري نامت من شدة تعبها وهي مازلت ترتدي ثوب الزفاف .

في الصباح قام علاء عند صلاة الفجر دق عليها الباب ليوقظها ،

علاء : منى إستيقظي إن الأهل والأقارب سوف يأتون في الصباح حتي يهنؤننا بالزواج فاستعدِ حتي تقابليهم معي .

منى : سوف أستعد ،

وبالفعل نهضة مني ، وشرعت فى صلاة الفجر واستعدت وإرتدت ثوبا جديدا ، ولكنها لم تفتح باب الغرفة حتي وصل المهنئون ، خرجت مني وقابلت الناس معه وهي تبتسم وتضحك حتي لا يلاحظ أحد شئ ، فابتسم علاء وفرح عندما رآها تبتتسم وتضحك ظن أنها أصبحت بخير وعلي مايرام وقد هدأت ، لكن عندما ذهب الناس ومع آخر رجل خرج من باب شقتها تركت علاء يودعه وذهبت مسرعة إلي غرفتها وأغلقت الباب بقوة بالمفتاح مرة أخري وظل هذا الأمر أياما وأسابيعا ، لاتخرج من غرفتها إلا إذا تأكدت أنه خارج الشقة .

ظل علاء يأتي لها بالطعام ويضعه وراء الباب ويدق عليها الباب لتخرج تأخذ الطعام وإذا أراد أن تفتح له الباب تقوم بالصراخ والبكاء وتهديده أنها سوف تقتل نفسها ، فيخاف أن تفعل في نفسها شيئا ، فيذهب بعيدا عنها ويخرج إلى أمه ويشتكي لها كل يوم وهي تقول له أصبر عليها أنها صغيرة ، ومر علي هذا الحال شهران كاملان وهي لايرق قلبها لحال زوجها .

كان الباب المغلق يزيد علاء شوقا لها ولهفة وكانت رغبته تتزايد يوما وراء يوم ،

حدث علاء نفسه : إلى متى سوف يستمر الأمر هاكذا لقد زاد هذا الأمر عن حده،

وذهب إلى أبيها وإشتكاها له وقال علاء لوالدها كل شئ عن نفور .

صعق الأب من كلام علاء ،

الأب : كنت أعتقد أن الأمور بخير بينكما .

علاء : منى أغلقت علي نفسها الغرفه من يوم الزفاف .

الأب : إذهب يابني وأنا سوف أذهب لها وأتحدث معها ،

ذهب علاء من عند والد منى وكله أمل أن والدها سوف يتحدث معها ويجبرها علي أن تفتح باب الغرفه وتقبله زوجا .

بعد خروج علاء ذرفت دموع الحاج محمد ، جلس محتارا في أمره ، قال لنفسه أنه يعرف ابنته جيدا ، لن تتقبل الوضع ولن تقبل به زوجا مهما حدث فلا أحد يقدر علي أن يقنعها بشئ هي لم تقتنع به ، فظل في حيرة من أمره ولم يقدر علي أن يواجهها أو يتحدث معها في أي شئ ، جلس يفكر ماذا يفعل ولكن الله هداه إلى أن يذهب لصديقه الشيخ حسن ، هو الوحيد الذي يستطيع علي إقناع منى ، هي تحبه وتحترمه وتنفذ كلامه دون تفكير ولا ترفض له طلبا طيلة حياتها ، أسرع إلى غرفته وارتدي ملابسه وذهب مسرعا متجها إلى الشيخ حسن .

كان يسير شارد الفكر ، شاحب الوجه ، لا يري أحدا أمامه ولا يسمع أحدا كأنه تائه ، كل من يراه يلقي عليه السلام لكنه لم ينصت لأحد ، وكل من يراه يستغرب حاله وهو يواصل السير ، وكأنه تائه وكأن البيت أصبح بعيدا جدا فالطريق أصبح طويلا جدا وعندما وصل إلى المنزل ، دق الباب ، فتح له صديقه فدخل دون أن يأذن له بالدخول ، استغرب الشيخ حسن من دخول صديقه فهو يعلم أنه برغم أنهم إخوه وأصدقاء طفوله لايدخل منزله دون استئذان ، فدخل مسرعا إلى غرفة المكتب وجلس علي أقرب مقعد أمامه وكأنه جاء من سفر بعيد أو أرهقه طول الطريق .

دخل الشيخ حسن خلفه وظل يلوح برعنقه يمينا ويسارا وينظر إلى سقف الغرفة ويداعب الكتب التي أمامه وهو فاقد التركيز ، شارد الفكر، ينظر له الشيخ حسن وهو في حاله استغراب تام فهو يري صديقه لأول مرة بهذه الحالة ، ينظر الشيخ إلى صديقه وهو متعجب لما به ، يحدث نفسه هو الآخر هذه ليست عادته ، يقول لنفسه أن صديقي متوتر وهناك شئ يؤرقه ، جلس الشيخ أيضا أمام صديقه وهو صامت لايتحدث ولايرغب أن يتحدث معه ويسأله ماذا به ، ولكنه ظل منتظرا أن يخبره صديقه مابه ، كان قلقا علي صديقه قلقا شديدا ، لكن الصمت الذي يكمن داخل الحاج محمد يزيده دهشه وإستغراب ، هو يشعر أن صديقه بداخله بركان من الألم .

انتظر الشيخ كثيرا جدا والحاج محمد لم ينطق بكلمه واحده، كأنه ذهب لصديقه ليُسمعه صمته ، لكن الشيخ حسن لم يستطع أن يصبر أكثر من ذلك .

قام الشيخ حسن وجلس أمامه علي الأرض وهو مرتكزعلي ركبتيه ، ظل ينظر إلى صديقه فوجد في عينيه دمعة حائرة تتراقص بين جفونه لم تستطيع السقوط ، فسأله مابك ياصديقي ؟ قل يا أخي قلبي ينفطر من الألم عليك لم أرك هكذا مطلقا ،

قل يا أخي مابك أرجوك قل لا تخبئ عني شيئا .

نظر إليه الحاج محمد وتنهد تنهيده كبيييييييره كادت أن تمزق صدره .

الحاج محمد : لا أعلم يا أخي من أين أبدأ لك الحديث ،

فرد ذراعيه وأمسك بكتفي صديقه

الشيخ حسن : انهض يا أخي من الأرض هيا نجلس علي الأريكة هذه وسوف أقص عليك كل ما حدث .

بدأ الحاج محمد الحديث ولكنه مازال محتارا من أين يبدأ ، القلق يمزق صدر الشيخ حسن علي صديقه ،

لكنه سأله هل أنت مريض ؟

الحاج محمد : لا .

الشيخ حسن : هل انت محتاج إلى مال ؟ تكلم إذن ،هل أنت في مأزق ؟ تكلم يا أخي أتوسل إليك تكلم .

قال الحاج محمد : هدئ من روعك ياصديقي ، الأمر يخص مني .

الشيخ حسن : مني حبيبتي كيف حالها ؟ هل هي بخير ؟ وما هي المشكلة التي تخصها ؟

الحاج محمد : إصبر يا أخي سوف أقص عليك كل شئ .

لكن الشيخ حسن عندما سمع إسم مني تذكر كل شئ ،

الشيخ حسن : هل تتذكر مني يا أخي كيف كانت تتفاني في إسعادك وتلبية طلباتك ، أتعلم يا أخي كنت دائما وأبدا أفكر في اليوم الذي تتركك فيه منى ، لماذا إستعجلت علي زواجها يأخي ؟ أنا لم أستوعب ماحدث ، كيف استطعت أن تبتعد عنها وأن تزوجها في هذا العمر الصغير ؟ كنت أظن أنك لن تتحمل غيابها عنك ، فأنا لم أقدر علي إستيعاب الموضوع ، فأنت لم تقص لي ماحدث ولماذا استعجلت علي زواجها ؟ هل تعلم أني كنت أفكر ألف مره قبل أن أتحدث إليك لطلب خطبتها لإبني أشرف ، لكني خفت من طرح هذا الموضوع معك قلت لنفسي أنك سوف تقول أنها صغيرة ، وقلت لنفسي سوف أنتظر حتي يتخرج إبني فى كلية الهندسة ويستلم عمل تكون مني قد وصلت لسن الزواج ، لكني تعجبت عندما سمعت أنك سوف تزوجها لرجل يكبرها بسبعة عشر عام ،

لماذا يا أخي فعلت بنا هذا ؟ أنت كنت تعلم أني أرغب في زواجها من إبني أنه يحبها كثيرا وأنت تعلم ذلك ، أشرف من يوم زواج مني وهو زاهد الدنيا والحياة ، فقد شهيته للطعام والشراب ولا يتكلم مع أحد ، يخرج إلى المسجد يصلي ويعود إلى غرفته ويغلق الباب وراءه ولايخرج مطلقا .

ظل الشيخ حسن يتحدث عن مني دون توقف ولم يعط للحاج محمد فرصه للحديث وكأنه كان منتظرا أن يفتح معه الحديث ليخرج مابداخله في نبره لوم وعتاب لصديقه ، وظل يعاتب صديقه ،

الشيخ حسن : لماذا يا أخي جنيت عليها ، فقد كانت تحبك أكثر من نفسها بل أنت نفسها التي تحيا بها في هذا العالم .

كان كلام الشيخ حسن مثل السكين الذي يمزق قلب الحاج محمد ، وهو يسمع صديقه وينظر له وعيناه تتساقط منها الدموع وكأنها ينابيع من الماء ، وعندما رآه صديقه يبكي صمت عن الحديث

الشيخ حسن : هل تبكي يا أخي ؟ وماذا يبكيك ؟

الحاج محمد : أبكي علي مني وشأن مني ، أنت تعلم أنها عنيدة وتعلم أنها لاتسمع كلام أحد غيرك .

الشيخ حسن : نعم أعلم هذا ولكن ماهو الموضوع تحدث يا أخي أتوسل اليك ، قلبي كاد أن تتوقف نبضاته من القلق عليك أنت ومني تحدث يا أخي لقد نفذ صبري .

الحاج محمد سوف أقص عليك كل شئ حتي هذه اللحظة التي أنفطر قلبي عليها وعلي شأنها ،

فقص كل شئ لصديقه عن موضوع زواج مني وسبب زواجها ، يتحدث وهو يبكي وترتعش يداه وقدماه من شدة الألم الذي بداخله من كثرة حزنه وكيف تخلي عنها بهذه السهولة .

ظل الحاج محمد يحكي والشيخ حسن يستمع وهو يستغرب ويتعجب ،

الشيخ حسن : هل يوجد في الكون أب بهذه القسوه ،

لو لم أكن أعرفك جيدا لقلت قد أصابك الجنون ياصديقي .

الحاج محمد : هذا ماحدث كنت مغرم على فعل ذلك .

الشيخ حسن : هل هانت عليك ابنتك ؟ لتفعل بها مافعلت

لكي تبر بقسمك ، اللهم إني لا أسالك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه ، لماذا لم تخبرني قبل ذلك ؟

الحاج محمد : علي كل حال لقد حدث ما حدث وأفوض أمري إلى الله ، أريدك أن تذهب إليها لتتحدث معها وتحاول إقناعها وتقول لها أن هذا قدرها ولابد أن تتقبله .

الشيخ حسن : لا ، هذا أمر صعب علي ، لا أستطيع أن أتحمل أن أراها وهي مكسورة هكذا .

الحاج محمد : هي تحبك كثيرا ولا تسمع حديث أحد غيرك

الشيخ حسن : لماذا لا تذهب أنت وتقول ماتريده ، أنت من فعل بها هذا ، أنت الذي تقدر علي إرغامها علي أن تفرط في نفسها لشخص لم ترغب فيه مثلما فعلت قبل سابق ، لو كانت فتاة غير مني لذهبت إليها لكني أعلم ابنتك جيدا وأعلم أنها عنيدة ومتصلبة الرأي مثلك يا أخي ، أنت تعلم ابنتك جيدا ، أكثر مني وتعلم أنه صعب إقناعها .

الحاج محمد : كيف أذهب يا أخي ؟ أنا لم أرها من يوم زفافها لن أحتمل نظراتها فهي كالخناجر والسهام التي تمزق الوجدان ، أنت تعلم أن منزل زوجها أمام منزلي كنت أفرش في الليل وأنام تحت نافذة غرفتها كل ليلة حتي يؤذن الفجر وأستيقظ وأصلي الفجر وأرجع أجلس تحت نافذتها حتي الصباح لأسمع صوتها أو أرى وجهها وهي تنظر من النافذة ، لكنها لم تفتح نافذتها ولم تنظر منها أبدا من يوم زواجها ، برغم علمها أني أرقد كل ليلة تحت نافذتها ، كأنها تقول لي سوف أحرمك من طيفي والنظر إليّ كما حرمتني منك ،

ظل يبكي وهو يتحدث ، كأنه يبكي له وللزمان .

بكي الشيخ حسن أيضا علي بكاء صديقه وأحس بوجعه وتعاطف معه بالرغم من تحفظه علي مافعله ،

الشيخ حسن قال: والحزن يشق صدره هذا قدرك يا أخي وقدرها ، سأذهب لها لعل الله يساعدني علي ما أفعله مع مني ، لعل الله يُحدث أمرا كان مفعولا ، سأذهب لها في الغد أتحدث معها ولعله خير بإذن الله تعالي ، أطمئن سوف أفعل مابوسعي لأشرح لها موقفك وأجعلها تتقبل ذلك ،

فاطمأن الحاج محمد بعدما قص وأخرج كل ما بجعبته ، واطمأن أكثر عندما قال له صديقه أنه سوف يذهب إلى مني في مساء الغد .

نهض الحاج محمد ، فسأله صديقه إلى أين أنت ذاهب يا أخي ؟!

الحاج محمد : سوف أذهب إلي المنزل .

الشيخ حسن : إجلس معي ، سوف يأتون بالعشاء نتناوله معا .

الحاج محمد : لا لا أريد يا أخي سوف أذهب لعل الله ينعم علي وأخلد إلى النوم ،

وطلب من صديقه أن يأتي له بعد خروجه من منزل مني ، وخرج الحاج محمد .

ذهب الشيخ حسن ليطمئن علي حال إبنه أشرف ، فدق الباب علي أشرف فعندما سمع أشرف أن والده هو الذي خلف الباب قام مهرولا من فراشه وفتح الباب لأبيه ، دخل معه وجلسا سويا علي السرير

فسأله ابوه كيف حالك يابني؟

أشرف : الحمد لله يا أبي .

سأل أشرف والده : كنت أسمع صوت عمي محمد هنا .

الشيخ حسن : نعم يابني ، هو جاء في أمر مهم جدا .

سأل أشرف : ماهو يا أبي ؟

الشيخ حسن : لا شئ يابني ، لاتفكر في الأمر كثيرا .

اشرف : كيف يا أبي ؟ أني اتمزق من داخلي .

شرد الشيخ حسن عندما سمع هذا الكلام من إبنه ثم قال : أنت تتمزق ، ومني تتمزق ، وصديقي يتمزق ، وانا اتمزق بينكم جميعا ، صمت بعد أن انتبه أن اشرف سمع الكلام ، نظر لأشرف فوجده صامتا وفي عينيه كلام كثير واستفسارات وأسئلة تحتاج أجوبة ، نهض مسرعا من جوار إبنه وخرج من الغرفه دون أن يريح قلب إبنه ، ذهب إلى غرفة نومه لينام ، لكن هجر النوم جفونه وظل يتقلب يمينا ويسارا فقد جافاه النوم حتى سمع ابتهالات وتواشيح الفجر ، نهض من على فراشه واتجه للمسجد لصلاة الفجر ، وبعد خروجه من المسجد اتجه إلى النهر وجلس على ضفافه ليفكر في مناخ هادئ كيف يبدأ الحديث مع منى ، فقد كلف بمهمة لا يحسد عليها وبعد شروق الشمس عاد إلى المنزل .

قبل ذهابه إلى مني جلس الشيخ حسن في مكتبه ليفكر فيما يفعله مع مني وماذا يقول لها ومن أي باب يدخل لقلبها فجاءت له ابنته بالإفطار فرفضه ، فهو لايريد الطعام وجاءت له بالعصير فرفضه وقال لها إذهبي ولا تجعلي أحدا يدخل علي مرة ثانية .

خرجت كريمة ابنته وهي في حيره من أمر أبيها فهي لا تراه هكذا مطلقا ، ومن شدة قلقها على والدها ذهبت لوالدتها وأبلغتها عن حال أبيها .

الأم : سوف أذهب لأعرف ماذا به هو متغير منذ قدوم عمك الحاج محمد ولم يخلد للنوم حتي ذهب إلي صلاة الفجر وبعد عودته دخل مباشرة إلي مكتبه علي كل حال سوف أذهب وأعرف منه ما يؤرقه .

ذهبت الحاجه أم اشرف إلى زوجها الشيخ حسن لتعرف ما به ودقت الباب .

قال لها : تفضلي يا أم أشرف فسألته عن حاله .

الشيخ حسن : أنا بخير فليطمئن قلبك ، لكن أنا أفكر في أمر هام أدعو الله أن يعينني عليه .

قرر الشيخ حسن أن يذهب لصلاة العصر في المسجد المجاور لمنزل صديقه ومنزل مني أيضا ، دخل الشيخ المسجد وهو يشرع في صلاته ويعتدل الصفوف نظر بجواره إذا به يجد علاء زوج مني يقف ويستعد للصلاة.

بعد الصلاة صافح علاء وهنأه بالزواج وطلب منه أن يذهب ليرى منى بما أن المسجد بجوار المنزل ، فعلاء يعلم أن الشيخ حسن يعتبر مني مثل ابنته وهي أيضا تحترمه مثل أبيها ، فرحب بذلك لعل رؤيتها له يدخل علي قلبها السعادة التي تفتقدها منذ وقت زفافها ، وذهبا معا .

في الطريق ظل يسأله

ويقول له : ما أخبار منى

فيجيب علاء قائلا : بخير الحمد لله ستسعد منى برؤيتك ، لكن الشيخ حسن كان يسأله لغرض ما في نفس يعقوب ، لكن علاء لم يقل له شيء غير أنها بخير والحمد لله ،

وبعد أن وصل إلى باب المنزل .

قال الشيخ : إذهب وبلغ أهل المنزل بقدومي وأذن لي بالدخول

سمع الحاج محمد صوت صديقه وهو يتكلم مع علاء ، أخذ يدعو الله أن يوفقه في إقناع منى بالوضع الجديد .

أذن علاء للشيخ بالدخول ، دخل الشيخ وصعد مسرعا علي السلم المؤدي لشقة مني ، عند وصوله لباب الشقة وقف يلتقط أنفاسه وبعد أن استراح قليلا دق الباب ففتحت مني الباب ونظرت إلى عمها الشيخ ووجدت نفسها تبكي وألقت نفسها بين ذراعيه وكأنها تلقي همومها بين أحضانه بدون إرادتها وكأنها تشتكو حالها بدموعها ، نظر لها الشيخ حسن وتأثر بدموعها فهو يعلم مابها ودخل علاء معهم إلى غرفة الجلوس وبعد أن جلس بعض دقائق وهي تبكي ولا تستطيع الحديث .

استأذن الشيخ حسن من علاء أن يتركهم بعض من الوقت ، وافق علاء وقال له البيت بيتك ، وترك لهم الغرفه وخرج يعمل له فنجان من القهوة ، وبعد خروج علاء سأل مني عن حالها ، لكنها لم تستطع الحديث فهي تنظر له فقط وعيونها تنهمر منها الدموع وكأنها شلالات من الماء .

الشيخ حسن : إهدئي يا ابنتي وقصي علي مابك

فأخذت تتحدث بكلمات غير مفهومة وبهستريا شديدة ، لكنه لم يفهم منها أي كلمة ، ظل يهدئها وهي لاتهدأ فبكي لبكائها ، تمزق قلبه علي حالها لقد تغيرت مني قلبا وقالبا ، لقد أصبحت نحيفة جدا وهذيلة ووجهها إنطفأت منه الإشراقة وكأنها ذهبت مع ضحكاتها التي ذهبت بلا عودة ، يحدث نفسه ويقول أين الضحك والمرح والشقاوة ، جلس يتحسر بداخله علي مايراه فهو ينظر إلى الوجه الذي كان مثل القمر أصبح شاحبا ولونه أصفر والعيون الساحرة أصبحت متورمة وحزينة من كثرة البكاء و أصبح قلبها يسكنه الألم والحزن وكأنه بيت العنكبوت ، يقول ماذا فعلت ياصديقي بهذه الزهرة التي كادت أن تتفتح وتملأ الكون بعبيرها ولونها الجميل ؟ ، لكنك قطفتها قبل أوانها بكثيييييييييييييييييير .

الشيخ حسن : إهدئى يا ابنتي سوف أتحدث معك في موضوع هام قبل قدوم علاء ،

صمتت عن الحديث ولكنها لم تستطع أن تتوقف عن البكاء ، أخذت تستمع له وعيونها لم تقدر علي الصمت فظل الدمع ينهمر من عينيها دون إرادتها .

الشيخ حسن : أنا أعلم كل شئ ياصغيرتي ، لقد قص علي والدك كل شئ أريدك يا ابنتي أن تعلمي أن هذا قدرك وهذا ماكتبه الله لك وأن الله لا يكتب إلا كل خير لعباده ، فهو ياحبيبتي يسبب الأسباب ليحدث مايريد الله وأبوك كان سببا فقط لتنفيذ مشيئة الله وقدره ، فاقبلي به يا ابنتي لعل الله قدر لك الخير بزواجك هذا تقبلي زوجك يا ابنتي حتي تستريحي من عذابك هذا وارض بقضاء الله وقدره ، وتقبلي حياتك الجديدة وارض بنصيبك ، فهذا نصيبك من الدنيا ،

يقول هذا الكلام وهي صامته لا تتكلم وهو ينظر لها وقلبه يتمزق ، لكنه ليس أمامه غير أن يقنعها بحياتها من أجل أن يستريح قلبها ،

ألشيخ حسن : أعلم أنك تفهمين كلامي جيدا وأعلم أنك علي قدر عالي من الذكاء .

منى : أنا لا أستطيع رؤيته أمامي فكيف أقبله زوجا ؟

الشيخ حسن : هو الآن أصبح زوجك علي كتاب الله وسنة رسوله وأصبح أقرب إليك من أبيك ، وإن لم تتقبليه زوجا سوف يتحدث الناس عنك يا ابنتي وعن أبيك ،

يقول هذا وهو يعلم مدي حبها لأبيها وخوفها علي كرامته وسمعته ، ظل يكلمها عن غضب ربنا علي الزوجة التي لا تطيع زوجها ، وهي تستمع له ، ظل يتكلم عن حقوق الزوج الشرعية وطاعته ، وأن الزوجة التي تعصي زوجها لا تري الجنة ، وظل يتحدث معها بكلام يناسب سنها حتي تتفهم كلامه ويزرع بداخلها أنه لامفر من قضاء الله ، قال لها أنه سوف يكون بجوارها مثل أبيها في أي وقت ، سوف تجديني بجوارك أساندك عندما تكونين علي حق كما تعهدت منك يا ابنتي ، وجلس معها يطمئنها ، يقول لها لعل هذا فيه خيركثير لك يا ابنتي ، ربما يكون كتب الله لك السعادة لا أحد منا يعلم الخير أين يوجد ، ربما سعادتك مع هذا الزوج .

أدركت منى أن سمعة أبيها بين يديها وأن سمعتها أيضا علي المحك ، وأن الأمر سوف يتسع والناس يعلمون ماذا جرى لها ويتحدثون عنها وعن أبيها ، فخافت علي سمعة أبيها علي الرغم من أنه لم يفكر في عذابها ومافعله بها.

منى : سوف أقبل بزواجي وسوف أرضي بقضاء الله وسوف أفعل ماتريده مني وأقبل علاء زوجا لي ، إذهب وطمئن أبي ياشيخنا الجليل ،

فاطمأن قلب الشيخ حسن وظن أنه نجح في مهمته ففرح فرحا شديدا وطلب من مني أن تنادي علي زوجها .

نادت مني على زوجها ، فجاء مسرعا فقد كان جالسا في الصالة وسمع كل الحوار الذي دار بين مني وعمها الشيخ ففرح وقال أن حياته سوف تستقر وأنه سوف يتزوج ويسعد بزواجه مع زوجته وأوصي علاء بزوجته خيرا فهو لا يجد أحسن منها وقال له أن مني جوهرة ثمينة إقتنيها وحافظ عليها.

خرج الشيخ حسن وتركهما مع بعضهما البعض .

ذهبت مني بعد خروج الشيخ حسن من المنزل مسرعة إلى غرفتها ولكنها وجدت أن علاء قد سبقها إلى داخل الغرفة ومعه مفتاح الغرفة فذهبت مسرعة وجلست في وسط السرير وضمت ركبتيها إلى صدرها ووثقتهما بذراعيها وكأنها تقيد نفسها ففعلت ذلك من شدة خوفها ووضعت وجهها بين ركبتيها ، لم تقل له أن يخرج من غرفتها هذه المرة ، لقد استسلمت لقدرها .

جلس علاء أمامها وهو مبتسم لايصدق نفسه أنه جالس معها دون بكاء أو صراخ وينظر إليها وكأنه يريد أن يفترسها ، كان علاء لايشغل نفسه بحال مني بل كان منشغلا بحاله وبأفكاره تجاه مني ، كيف سيلتهمها ومن أين يبدأ في تقطيع جسد ذبيحته ؟ ومتي سينقض علي فريسته ؟ فسعادته بفريسته أنسته أن يضع في قلبه ثغرة من الشفقة على حال طفلة لم تدرك شيئا .

منى : تفكر في نفسها ،

علاء : يفكر في نفسه ،

منى: مرعوبة ،

علاء : في قمه سعادته ،

منى : لا تعلم بماذا يفكر زوجها ،

منى : لاتعلم أي شئ عن العلاقة الشرعية التي تقام بين الزوجين ، لم يخبرها أحد عن هذا مطلقا وهي أيضا لاتعلم شيئا فهي مازالت طفلة ، ومع شدة ذكاءها لاتعلم غير أن الزواج هومجرد قبلات مثلما كانت تري في الأفلام العربية عندما يقبل البطل البطلة ويحتضنها ، هذا كل ما تعرفه عن الزواج ،

مني : سوف توافق أن يقبلها حتي يذهب بعيدا عنها ويتركها تنام .

عندما أراد علاء أن يلمس يدها قامت بإبعاد يده عنها فأمسك بها عنوة وصفعها علي وجهها وكانت هذه الصفعة ثاني صفعة يأخذها وجهها ، نظرت إليه نظرة احتقار وتذكرت يوم أن صفعها أبوها عندما رفضت أن تجرحه بالسكين ، فهجم عليها مثل الوحوش التي تريد افتراس فريستها ، ظلت تقاومه وهي مرتجفة ولا تعلم ماذا يريد منها غير أن يقبلها ولكنها حتي القبلة لم تستطع إعطاءها إياه ،

فأمسك بها ومزق ثيابها الخارجية وظل يحاول أن يلتهمها وهي تحرك رأسها يمينا ويسارا حتى لاتمكنه من نفسها ، فقام بتمزيق ملابسها الداخلية فصارت كما ولدتها أمها ، وراحت تبكي وتصرخ ولا تعلم ماذا يفعل بها ، ظل يصفعها علي وجهها بشده وهي لاتعلم لماذا يصفعها ، ظلت تقاومه وتنظر له وتترجاه أن يبتعد عنها ، لكنه لم يفعل غير أنه اغتصب أنوثتها وبعد إنتهائه من إغتصابها قام ونظر لها بشماته نظر لها نظرة الوحش الذي استطاع إلتهام فريسته ، لكنها لم يتبق في جسدها أي مجهود حتي لتقدر أن تنقلب علي جانبها من شدة الألم الذي بداخلها فوجدت تحتها شيئا غريبا فوضعت يدها لتشعر مابها فوجدت يدها غارقه فى الدماء ، ظلت تصرخ بشدة ، عندما رآها هذا الوحش هكذا وقف ولم يتحرك لقد صدم ، وظل يسأل نفسه ماذا أصابها لم يعلم أنها قد جرحت جرحا عميقا وبسبب هذا الجرح جاء لها نزيف حاد فكادت أن يتصفي دمها .

ذهب مسرعا بعد أن أفاق من صدمته وأحضر أمه فجاءت أم علاء ولكنها لم تستوعب ماحدث لمني ، نظرت إليها فوجدتها لاتقدر علي الكلام ودموعها تنزف منها مثل النزيف الذي أصابها .

أم علاء لاتصدق أن إبنها خلت من قلبه الشفقة والرحمة علي هذه الطفلة المسكينة فهي أمه ولكنها في المقام الأول إمرأه وأنثي وتعلم ماشعور المرأة عندما يفعل بها وحش هكذا ولكنها كل ماقالته لإبنها أنت لست ببشر حرام عليك ، لماذا فعلت بها هذا ؟ وقامت ببسط الغطاء على جسد منى ثم أخذتها في حضنها وظلت تبكي من أجلها وتقول لها إطمئني يا ابنتي وطلبت من إبنها أن يتصل بالإسعاف فورا لإنها سوف تموت منهم ، إذهب بسرعة .

ذهب علاء ليتصل بالإسعاف ، فرآه الحاج محمد وهو يخرج مسرعا .

سأله الحاج محمد : إلى أين أنت ذاهب في مثل هذا الوقت؟

لم يعره اهتماما وذهب مسرعا إلى السنترال ولم يتصل من تليفون والد مني كما اعتاد .

فشعر الحاج محمد بألم شديد في قلبه وصدره ، فذهب مسرعا إلى بيت مني وطرق الباب مسرعا وفتحه ولم يستأذن بالدخول ولم ينادي علي أحد وصعد علي السلم مهرولا إلى شقة ابنته فوجد أهل المنزل جميعا بجوارها يبكون ، نظر إلى ابنته فوجدها مثل الذبيحة ملقاة علي السرير والدماء تسقي السرير وكل مفروشاته وتغطيه .

وقف الحاج محمد يلملم أعصابه ولم يسأل مابها ، فنظر لها فوجدها صامتة وتنظر بنظرة الذبيحة الملقاه علي الرماد منتظرة سلخ جلدها ، تنظر إليه ودموعها تنهمر مثل النهر وكأنها تقول له أنظر مافعلته بي ، أسرع إليها وحملها بين ذراعيه دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، ذهب مسرعا إلى سيارته ، وضعها بجواره في المقعد الأمامي وجاء ليقود السيارة فلم يستطع ، كأنه نسي كيف يقود السيارة من هول الصدمة ، فنظر إلى حال إبنته وأنه سوف يفقد إبنته فاستفاق لنفسه حتي ينقذها ، قاد السيارة وذهب بأقصى سرعة إلى مستشفي خاصة يمتلكها الدكتور مازن جارهم ، كان يتمني لو أنها تطير حتي يطمئن قلبه على منى وأخذ ينظر إلى منى خلسة وهو يقود فوجدها تنظر إليه ، كأن عيونها تقول له أنت من ذبحني لا زوجي ، لكنه تهرب من عينيها ولم يطاوعه قلبه ، نظر لها ثانية فوجدها نائمه فهي أغلقت عيناها حتي لا تري أبيها وهو يشعر بذنبها وسمعته وهو يتمتم بكلمات وبصوت منخفض وهو يقول لها سامحيني يا صغيرتي أنا سبب كل هذا الألم الذي تتألمينه وظل يبكي حتي وصل إلى المشفى القريبة من منزله وأوقف السيارة وذهب مسرعا وفتح السيارة بقوه وحملها فوجد أنها تتنفس بصعوبة فتأكد أن ابنته تحتضر فصرخ بأعلى صوته على الطبيب وعلى أي أحد يقدر على مساعدة ابنته ، فجاء العاملون بالمشفى ومعهم الترولى وحملوها عليه وذهبوا مسرعين إلى داخل المشفى

قال أحدهم أن الدكتور مازن هو الذي يقف عند كنتر التمريض

فنادى عليه الحاج محمد ، أتي الدكتور مازن إليه وعندما رأى مني تنزف بغزارة ، قام بفحصها ولكنه لا يصدق ماتنظر له عيناه فنهرهم بقوه ،

قائلا إذهبوا بها بسرعة إلى غرفة العمليات إنها تحتضر

فأراد والدها الدخول معها إلى غرفة العمليات ولكن الدكتور مازن رفض وطلب نقل دم لها ،

أسرع الأب وقال لهم خذوا مني الدم خذوا حياتي التي لاقيمة لها بدونها

وارتكز علي ركبتيه يتوسل للدكتور مازن لإنقاذها ، تعاطف الطبيب مع الأب وأمسك بيده ورفعه من علي الأرض وأخذه في يده وهو ذاهب إلى غرفة العمليات وعقمه جيدا ووضعه بجوار مني حتي يأخذ منه دما مباشرا بعد أن تأكد أن فصيلتهم واحدة .

ظل الأب ينظر إلى ابنته وهي مستسلمة للموت ودموعه لم تجف مطلقا .

قام الطبيب بإجراء العملية لمني ، عندما انتهي من العملية أخذوا مني إلى غرفة الإفاقه ، لكن حدث مالا يحمد عقباه ، فوجدها لا تفيق وتهرب من الحياة إلى الموت .

دخلت مني في غيبوبة فأمر الدكتور مازن أن تظل في غرفة الإفاقة ، خرج بعدها إلى مكتبه وهو حزين على حال هذه الطفلة ، هو لا يعلم ما أصابها ومن فعل بها هذا ؟! هل هو زوجها ؟! فقد حضر زفافها منذ شهرين ، أم أن أحدا قد إغتصبها بوحشية ، لكنه قال ربما أحد إغتصبها ، زاد استغرابه أكثر عندما رأي لهفة والدها فأراد معرفة الحقيقة لإنه يريد إبلاغ الشرطة عن حالة مني ، الوقت لم يكن مناسبا عند قدوم والدها بها لانه رأي أن الأهم إنقاذها أولا ، أرسل أحدا ليستدعي الحاج محمد ، فذهبت الممرضة إلى الغرفة التي حجزت لمني لتستدعي الحاج محمد ، فوجدته واقفا أمامها يسأل الله أن تتعافي ابنته ودموعه مثل شلال الماء ،

الممرضة . الدكتور مازن يريدك في غرفة مكتبه .

الحاج محمد : إذهبي وأنا قادم خلفك ،

فذهبت الممرضة ، جلس الحاج محمد قليلا يفكر ماذا يريد منه الطبيب ، يقول ربما يريد حساب المشفي ، يقول لنفسه أنا أعطيه أكثر مما يطلب المهم إن ابنتي تصبح بخير وترد لها عافيتها ، وسوف أذبح عجل لوجه الله بعد خروجها من المشفي ، ذهب مسرعا إلى مكتب الطبيب ودق الباب ، فأذن له الدكتور مازن بالدخول ، فدخل واقترب فأجلسه فنظر إلى وجهه فوجده شاحبا وخائفا .

الحاج محمد : أخبرني يادكتور ماذا تريد ؟ .

الطبيب : إهدأ ياحاج وإصبر سوف أخبرك

ولكن الدكتور مازن متردد كيف يبلغه الخبر لا يعلم .

الحاج محمد : هل تريد حساب المشفي ؟ لاتخاف أنت تعرف من أنا سوف أعطيك أكثر مما تطلب ولكن أرجوك طمئني علي ابنتي .

لم يجد الدكتور مازن أمامه غير أن يقول له الحقيقه

الطبيب : ابنتك رافضه أن تعود للحياة فهي الآن في غيبوبة كامله ، لابد من وضعها في غرفة عناية مركزة ونحن لا نقدر علي فعل أي شئ لها فهي الآن بين يدي الله ،هو أرحم بها ، أدع لها أن تفيق بسرعة من غيبوبتها لا نملك غير الدعاء لها ، أنا سوف أرسلك إلى مشفي مجهزه بغرفة عناية لأن هذه المشفي ليس بها مكان في غرفة العناية .

وقع الأب مغشي عليه بعد سماع كلام الدكتور مازن .

أسرع الدكتور ونادى التمريض ليساعدوه في حمله من علي الأرض ووضعه على أريكة في المكتب وأعطاه حقنة ، وبعدها أفاق الحاج محمد .

جلس الحاج محمد يبكي بعد أن أفاق ،

الحاج محمد :أنا السبب في كل شئ وفي كل الألم والوجع الذي تمر به ابنتي ،

سمعه الدكتور مازن وهو يتهم نفسه ويقول أنه السبب لما حدث لابنته .

سأله الدكتور مازن : كيف تكون أنت السبب ؟ وفي عينيك كل اللهفه والخوف والحب لابنتك ،

استغرب الطبيب لسماع هذا الكلام من أبيها .

الطبيب :أرجوك جاوبني حتي أقدر أن أساعدها ، وقل كيف تكون أنت السبب فقد رأيتك وأنت منهار من الحزن عليها ، تكلم أرجوك ياحاج وقص علي كل شئ حتي أعرف لماذا هي رافضه الحياة ورافضة أن تعود إليها ومخها رافض استيعاب ما حدث لها .

الحاج محمد : إجلس سوف أقص عليك كل شئ من أول الأمر حتى مجيئ إلى هنا .

قص الحاج محمد كل شئ وهو يبكي بكاء شديدا ، وكان مازن ينظر ويتعجب ويستغرب وينتابه حيرة شديدة .

الطبيب مازن : أي أب أنت هل أنت إنسان عاقل ، لماذا فعلت هذا بطفلة ؟ أنا لا أصدق أنك بعد كل هذا الحب الذي تكنه لإبنتك تكون أنت سبب ذبحها وموتها ، وقال له لو لم أشفق عليها هى لأبلغت عنك الشرطة ، فأنت مكانك في السجن ليس خارجه ، أعلم أنك تعمل في الجيش وأعلم وضعك الإجتماعي وأعلم عائلتك جيدا لكن كل هذا لا يشفع لك عندي لا أقدر علي أن أصدق أنك أب وأنه يوجد بداخلك قلب ينبض .

الحاج محمد : أنا كنت أحافظ علي عهدي مع الله .

الطبيب : وهل قال لك الله أن تكون سببا في كل هذا العذاب الذي مرت به ابنتك ؟ أنت قتلت طفولتها وذبحت أنوثتها وأنا سوف أبلغ عن زوجها الشرطة لابد أن يدخل السجن ،

ترجاه الأب ألا يفعل شيئا ويترك كل شئ علي الله هو سوف يدبر كل شئ وظل يبكي بحرقة له وللزمن لا خوف من الشرطة .

هو يعلم أن لا أحد يقدر علي إيذائه ، بل كان يبكي من حزنه علي ابنته وما جرى لها ، لكن الطبيب لم يشفق عليه .

الطبيب : إذهب من المشفى ، أنا سوف أنقلها بنفسي إلى المشفى الآخر ولو حدث شئ سوف نبلغك بالهاتف .

رفض الحاج محمد أن يترك المشفى

الحج محمد : لن أذهب إلا وهي معي لن أتركها هنا وأذهب من دونها .

الدكتور مازن : إنها في غيبوبة ولا أحد يعلم متي ستخرج منها فأنت لا تستحق أن تكون لها أب .

الأب : لن أترك المشفى الإ وابنتي معي

وخرج مسرعا من غرفة الطبيب إلى غرفة الإفاقه ليري إبنته وهي نائمة على السرير مثل الملاك ، لاهي في الدنيا ولاهي في الآخرة ، بل نائمة لا حول لها ولا قوة معلق لها محاليل ودم ليتغذى جسدها حتي يبقى علي قيد الحياة ، لكن روحها ذهبت من جسدها وهي هائمة في ملكوت الله تسبح في السماء ولا أحد يعلم متي ستعود إلى هذا الجسد المسكين الذي تحمل فوق طاقته .

ظل الحاج محمد ينظر إلى ابنته من خلف الزجاج ، وهو بداخله أمل أن ابنته سوف تقاوم الموت وتعود للحياة ، حضرت عربة الإسعاف ودخل الأب ومعه الدكتور مازن وذهب بها إلى المشفى التي توجد في المدينة ، عندما وصل إلى باب المشفى وقفت العربة ، نزل منها الدكتور مازن وحملوها وذهب بها إلى غرفة العناية ، في طريقهم إلى الغرفه ، وقف الدكتور مازن مع طبيب آخر كان يعرفه وكان صديق له ، كان يعمل معه في الماضي ، طلب منه أن يهتم بهذه الحاله وأخذه معه إلى غرفة العناية ، لكن حدث شئ غير متوقع .

الدكتور مازن : وليد إذهب معي لكي أعرفك على والد المريضة .

الدكتور وليد : من هو هل تعرفه هل هو من أقاربك .

الدكتور مازن : هو من بلدتنا وهو شخصية معروفة ومحبوبة في قريتنا .

الدكتور وليد : هيا بنا لنذهب ونرى مريضتك هذه .

ذهب معا إلى الحاج محمد ولكن حدث شئ لأحد يتوقعه ، كأن الظروف كلها تقف ضد هذه الفتاة المسكينة ، عندما نظر الدكتور وليد إلى الأب وقف مصدوما من هول المفاجأة ، نظر إلى الحاج محمد نظرة كلها حزن وشجن وألم شديد وتركه وذهب مسرعا من الغرفة .

تعجب الدكتور مازن وسأل الحاج محمد : هل تعرف الدكتور وليد ؟

الحاج محمد : نعم أعرفه من فتره وجيزه .

الدكتور مازن : هل يوجد خلاف بينكما؟

الحاج محمد : نعم . ولا تسألني ماهو الخلاف فلن أجيب عليك ، أرجوك إبحث لنا عن مشفى آخر نذهب لها .

الدكتور مازن : إلى هذا الحد لاتريد أن تراه .!

الحاج محمد : نعم لا أستطيع أن أراه مرة ثانية .

الدكتور مازن : أستأذنك قليلا ثم أعود لك .

ذهب الدكتور مازن إلى الدكتور وليد ليسأله عن الخلاف الذي بينه وبين الحاج محمد ، وعندما وصل إلى غرفة الدكتور وليد دق الباب فأذن له بالدخول ، فنظر إلى الدكتور وليد فرآه يمسح دموعه بسرعه .

سأل الدكتور مازن وليد : مابك ياصديقي ؟ وما هو الخلاف الذي بينك وبين الحاج محمد ؟

نظر الدكتور وليد إلى الدكتور مازن نظره كلها حزن وتنهد تنهيده طويييييييييييله كادت أن تشق صدره من شدة الحزن وتفطر قلبه ،

الدكتور مازن :ألهذا الحد تتألم .

الدكتور وليد : وأكثر من ذلك ياصديقي .

الدكتور مازن : إذن إجلس وقص علي سبب الخلاف .

الدكتور وليد : هل تتذكر مشكلتي وإيقافي عن العمل .

الدكتور مازن : نعم أعلم كل هذا ، لكن ما شأن الحاج محمد بهذه المشكلة .

الدكتوروليد : كيف يا أخي ؟ ألم تعلم من بطل المشكلة ومن كان السبب فى وقفي عن العمل بضعة أشهر ، والتحقيق معي ، ونقلي إلي هذا المشفى .

- نظر له مازن:هل تقصد أن سبب المشكله كان الحاج محمد ؟!

- وليد : نعم هو .

- الدكتور مازن : والفتاه كانت ابنة الحاج محمد ؟!

- وليد : نعم هي ابنته واسمها مني ، فاستغرب مازن على لعبة القدر واستغرب أكثر من الحديث ، قال له هل هي منى التي أحببتها لدرجة أنك كنت ستضحي بمستقبلك من أجلها .

- الدكتور مازن : هل تعلم من المريضة التي بالغرفة ؟! .

الدكتور وليد : لا .. ولا أريد أن أعرف .

مازن : إنتظر ياصديقي واعلم أولا وبعدها قرر ماتريد .

الدكتور مازن : المريضة هي منى أنها بين الحياة والموت ، نظر له وليد وقال له كيف .. ولماذا ؟

مازن : لا أقدر أن أخبرك ماذا حدث لها ، لكنك طبيب وأنا أعلم جيدا أنك تحبها ، لأنك طالما كلمتني عن حبيبتك ولم تذكر لي إسمها ، ولا أي شئ عنها ، كأنك تدفن شخصيتها بين ضلوعك والذى كان يفيض من آلامك وأحزانك كنت تقصه علي دون إرادتك .

وليد : نعم أحبها ولا أقدر علي نسيانها فهي حبي الأول والأخير .

الدكتور مازن : هي الآن بين يدي الله ولا أحد يقدر على مساعدتها غيرك .

الدكتور وليد : كيف لي بمساعدتها ؟ والدها لم يقبل أن أدخل عليها الغرفة ، سوف يحدث مثل ماحدث قبل سابق .

الدكتور مازن : نعم هو قال لي أنه يريد أن ينقلها مشفى أخري عندما رآك ، لكن لاتخف سوف أتصرف ، إستعد أنت فقط وسوف يفعل الله مايريد .

الدكتور وليد : ماذا ستفعل ياصديقي وماذا تقول له .

الدكتور مازن : إنتظر قليلا وسوف تعرف .

خرج الدكتور مازن من غرفة الدكتور وليد وذهب إلى غرفة العناية ليرى الحاج محمد ، وجده ينظر من وراء الزجاج على ابنته وهو يبكي .

الدكتور مازن : أنا لم أعثر لها على مكان في مشفى آخر فكل غرف العناية مكتملة وليس لها مكان غير هنا ، إن أصررت على خروجها من هنا فسوف تكون أنت سبب في موتها .

الحاج محمد : كيف لا يوجد لها مكان في أي مشفى ؟

الدكتور مازن : هذا ماحدث وإن لم تصدقني فاذهب أنت وإبحث لها عن مكان أخر.

صمت الحاج محمد قليلا وقال له ولكن هنا طبيب لاأريده أن يدخل علي ابنتي .

الدكتور مازن هل تقصد الدكتور وليد إطمئن لن يدخل ، هو سوف يقدم على أجازة مفتوحة ولن يعود إلى المشفى حتى تذهبا منها أنت ومنى ، ولكن عندي لك نصيحه سوف أقولها وأتركك ،

لأحد يقدر على مساعدة منى غير شخص يحبها أكثر من روحه ، وهذا الشخص هو الدكتور وليد ، فكر وقرر قبل فوات الأوان ، هو لايريد منها شيئا غير أن تكون سعيدة فقط ، أنت دمرت حياتها وتسببت فيما هي عليه الآن فرجاء منك ، أترك الدكتور وليد يساعدها علي ضمانتي أنا الشخصية وتأكد أنه سوف يحافظ عليها لإنه يحبها كثيرا وإطمئن أنا لم أخبره بشئ عن ماحدث لها إذا أردت أنت إبلاغه فأبلغه وإن لم ترغب فلا تفعل هو سوف يتعامل معها بكل أمانه وإخلاص كطبيب فقط ، وإطمئن ياحاج محمد هو تعلم الدرس جيدا ، وتركه يفكر مع نفسه .

ذهب الدكتور مازن ، إلى الدكتور وليد ليخبره ماذا حدث

الدكتور ماذن : سوف يأتي لك الحاج محمد لكي تشرف علي علاج منى وهي في العناية ، أنا قلت له أنك الوحيد الذي تقدر على مساعدتها ، وأبلغته أيضا أنك سوف تأخذ أجازة لأنك لا تريد أن تستمر في المشفى ، ولكني سوف أقول لك كلمة يا أخي ، منى بين يدي الله فكن أمينا علي هذه الأمانة التي أضعها أنا بين يديك .

الدكتور وليد : هل توصيني على قلبي يا أخي ، إذهب يا أخي وادع الله أن يساعدني على تحمل الألم الذي يتألمه قلبي وهو يرى حبيبته بين الحياة والموت .

ذهب الدكتور مازن من المشفى وترك منى في رعاية الله ورعاية الدكتور وليد .

ذهب الدكتور مازن إلي الحاج محمد فوجده حزينا جدا فربت على كتفيه

الدكتور مازن : لقد تحدثت مع الدكتور وليد وترجيته أن يباشر حالة منى ، فهذا واجبي معك وليس من أجلك أنت أنا أحبك وأحترمك ولكن مافعلته بمنى شئ لايقبله عقل ، أنا فعلت ذلك من أجل مني فقط ، وذهب الدكتور مازن وترك الحاج محمد مابين نارين نار ابنته التي ستفقد حياتها ونار كرامته.

ظل الحاج محمد واقفا يسأل نفسه ويحدثها ويقول لها كيف أذهب للدكتور وليد وأطلب منه أن ينقذ حياة ابنتي وأنا الذي كدت أن أضيع مستقبله وأفقدته كرامته أمام الناس فهو سوف يشمت في ويحاول أن يهين كرامتي مثلما أهنت كرامته ، لكن ألا تستحق حياة منى أن أضحي من أجلها بحياتي ؟ وهي التي ضحت بعمرها وسعادتها ونفسها من أجلي ، سوف أذهب له وأترجاه ويفعل بي ما يفعله سوف أتقبله وأتحمله من أجل ابنتي منى .

ذهب الحاج محمد إلى الدكتور وليد ودق الباب فأذن له بالدخول ولكنه دخل مكسورا مهزوما ورقبته محنية وهو ينظر في الأرض من خجله ، نظر إليه الدكتور وليد وتذكر كل ماحدث له في ذلك اليوم وقال لنفسه : من هذا الرجل هل هو نفسه الذي أهانني وقتل قلبي وحكم عليه بالموت ؟!، من يكون هذا الرجل هل هو الرجل الجبار المتكبر المغرور؟! ، وابتسم ابتسامة ساخرة

وليد : هههههه سبحان الله (يعز من يشاء ويذل من يشاء) ولكنه مع كل هذا الحديث الداخلي لم ينطق بكلمة عندما رأى الحاج محمد في هذا المنظر بل أشفق عليه وعلى حاله .

ذهب إليه بنفسه وسلم عليه وأمسك يده وأجلسه بجواره وطلب له ليمون ، نظر له الحاج محمد

الحاج محمد : سامحني يابني .

الدكتور وليد : أسامحك أدع لنا الله أن يغفر لنا جميعا.

الحاج محمد : دكتور وليد منى بين أيدى الله .

الدكتور وليد : إطمئن عليها هي مثل أختي وسوف أرعى الله فيها .

بكي الحاج محمد وأخذه بين يديه ،

الحاج محمد : سامحني يابني

وتركه وذهب وهو يمسح الدموع من عينه .

خرج الحاج محمد وذهب إلي غرفة منى ، تذكر الشيخ حسن صديقه فهو الصديق المقرب فاتصل به وقص عليه كل شئ حدث لمنى .

جاء الشيخ حسن له مسرعا وقلبه يتمزق من الألم وضميره يؤلمه فهو أصبح شريك الأب فيما حدث لمنى ، ذهب مسرعا الى الطبيب ليعرف حالتها الصحية فقال الطبيب إنها بين يدى الله هو أحن عليها منكم جميعا.

سمع الشيخ حسن كلام الطبيب وشعر أنه كان سببا من الأسباب التي حدثت لها فخرج من عند الطبيب والدموع تملأ عينيه ويطلب من ربه أن يسامحه على مافعله بهذه الطفلة المسكينة .

أخذ صديقه من أمام غرفة الإفاقة وذهب به إلى غرفتها في المشفى ينتظرون كرم الله وعطفه عليهم ، وجلس كل واحد منهم وأمسك مصحفا وظلوا يقرأون القرآن ويدعون لها أن تفيق ، ولكن الأمر سوف يطول فأمسك الحاج محمد المصحف وشرد بخياله مع نفسه ، يتذكر منى من يوم ولادتها وحتي يوم زفافها وتذكر أيضا الخطاب الذي كتبته له قبل خروجها من المنزل وأعطته لأخيها ياسين ليعطيه لأبيه وجلس وفتح الخطاب فهو لايزال في جيبه من يوم أن أعطاه له إبنه الصغير ففتحه ونظر إلى كلماته وكأن منى هي التي تلقيه عليه فتقول :

قتل طفولتى

وأنا أحبو علي ركبتي

ولا كنت أعلم

كيف يكون السير على قدمي

جاءوا وقالوا

سوف تكونين عروسا ياصغيرتي

قلت لهم كيف

وأنا لم أعلم شيئا عن أنوثتي

فأحضروا الحرير كفني

والجواهر والألماظ زينتي

وبالورود ودعونى

وبالطبول والدفوف زفوني

وعلي الأعناق حملوني

وكأنهم إلى القبر يرسلونى

وذهبوا وتركوني

أحترق وحدي في لحدي

ويأكل الدود من جسدي

والثرى يفني عظامي

وقبلت أن أتحدى نفسي

وأدركت أن هذا قدري

فأنا لا أحزن على حالي

ولا للأحزان أبالي

ولأحد يشعر بحالي

والله غني عن سؤالي

تذكر الأب كل هذا الكلام وكأنه شريط يمر على ذاكرته وظل يبكي ، تذكر كل شئ وهو يقول لنفسه هل كانت تعلم ما سوف يجري لها ؟ ، أم كانت تكتب هذا الكلام لتحرق قلبي عليها وتعذبني مثلما عذبتها أنا ؟ ، ولم أشعر أني كنت أرسلها للهلاك بيدي ، ظل يكلم نفسه وهو لا يعلم هل ابنته سوف تفيق من غيبوبتها أم أن الله سوف يحرمه منها مثلما حرمها السعاده ، فقام صديقه وجلس بجواره يهون على صديقه ويقول له أن الله أحن عليها منك يا أخي إستودعها الله وفوض أمرك لله

لكنه ظل يبكي ويقول لو كل أب فعل بابنته مثلما فعلت أنا بابنتي لأصبح مجرما في حق نفسه قبل حق ابنته .

لكنه ندم علي أفعاله كلها ولكن ندم بعد فوات الأوان بعد ماحدث لها كل هذا وهو الآن يدعوا الله أن تفيق من غيبوبتها ولكن لا أحد يعلم هل يتقبل الله دعائه أم لا ؟

لكنه يتمنى لو أن الزمن يعود به إلى الخلف لما فعل بها كل هذا .



الجزء الثانى

سجينة خلف أسوار الجمال



الجزء الثانى

سجينة خلف أسوار الجمال

بعد خروج الحاج محمد من عند وليد .

جلس وليد على مكتبه كعادته منذ الطفولة ، يهرب من الواقع إلى الخيال ، من المعقول إلي اللا معقول ، هو يعشق الخيالات ويعيش فيها بكل كيانه ووجدانه ، يتذكر فتاة أحلامه التي تجسده في شخصية وهميه لطالما كان يعيش معها في جميع مراحل حياته ، بداية بمرحلة الطفولة ، ومرورا بمرحلة المراهقة ، حتي مرحلة الشباب والنضوج ، كانت كل مراحل حياته تتجسد فيها نفس الشخصية بنفس سياق الأحداث التي كانت تطوف بخياله ، وكيف عشق هذه الشخصية طول هذه المراحل وعاش معها ومع تفاصيل حياته وكأنها من عمره ترافقه يوما بيوم ، وعاما بعام ، ولم ينتبه أن منى لم ولن تكون فتاة أحلامه ، لكنه نظر لوجه كان يرسمه في خياله ، وجده مصادفة في مريضة ، وجدها بمحض الصدفة البحتة في مكان عمله ، وقام الشيطان بممارسة دوره ووساوسه بداخله وأنساه للحظات أنه طبيب ، أم أن هذه تدابير الخالق القادر علي (أن يقول للشئ كن فيكون) ؟ أم هواجس وتخاريف عاشق للخيال ؟

لم يدرك أن المنطق يقول أن حبه لمنى وتحمله للإهانة وضياع مستقبله ، كل هذه الأحداث تدخل تحت حدث اللامنطق ، ولكنه ظل في حالة اللا منطق ، جلس يتذكر أول يوم وجد فيه الوجه الذي ظل يرسمه طوال عمره ، كيف كانت مثل الملاك البرئ ، شرد بعقله وذهب إلى أول يوم رأى فيه منى وتذكر بريق عينيها ، شفتيها ، ووجهها المضئ ، وقوامها ، وشعرها ، ذهب بخياله بعيدا إلى مالا نهاية ، ظل يحلم بها كعادته ويتخيل أنها معه في كل وقت وكل حين ، ظلت أحلام اليقظة تراوده وتحرق مشاعره من جديد ، بعدما انطفأ نورها وخمدت نيرانها ، ولكنه شعر بنيران عشقه تتأجج من جديد بداخله ، وظل الشيطان يوسوس له ، لكنه بعد الحادثة الأولى تعلم أن للطبيب شرف ، وشرف الطبيب هو شرف مهنته ، قاوم وساوس شيطانه ونفسه وقلبه ، قرر أن يتعامل معها على أنها أخته ، يعود بدفن مشاعره وأحاسيسه في القبو القابع بين ضلوعه ، وقال لنفسه (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، سوف أذهب لأري منى .

ذهب الدكتور وليد إلى غرفة العناية فوجد والدها يقف على قدميه خلف الزجاج .

وليد : إذهب ياعمي وإسترح قليلا فأنت منذ أن حضرت أمس لم يغمض لك جفن ، ورحلت عنك الراحة ، نظر له بمقلتين دامعتين وقلب جريح .

الحاج محمد : كيف ياولدي ؟ ، لا لن يطمئن قلبى إلا إذا خرجت منى من غيبوبتها .

وليد : إطمئن إن الله لن يخذلنا هو سميع عليم ، أرجوك إذهب وتناول قسطا من الراحة ، غرفتي بجوار مكتبى وسوف أظل أنا بجوار منى .

نظر الحاج محمد له نظرة تعجب وخوف من أن يفعل وليد شيئا انتقاما منه .

وليد : بعد أن قرأ مايدور بعقل الحاج محمد ، إذهب واطمئن ، إن منى مثل أختي ، أنا سوف أحافظ عليها بعمري .

ذهب الحاج محمد إلى غرفة وليد .

دخل وليد إلى غرفة منى فوجدها طريحة الفراش ، لاحول لها ولا قوة ، نظر لها جيدا ، وجدها مختلفة إختلافا كليا وجزئيا عما وجدها عليه أول مرة ، قد صار وجهها المشرق لونه أصفر شاحب ، نضارة وجنتيها اللتين كانتا يستحي منهما التفاح أصبحتا باهتين ، عيناها اللامعتان المضيئتان بألوان كثيرة إنطفأ بريقها ، وأصبحت مثل الشموع المطفأة ، وحضنت جفونها بعضها البعض ، وتشابكت أهدابها كما تتشابك أنامل الكفين ، وسُجن بين الهالات السوداء التى التفت حول العينين ، وقف ولم يستوعب مايحدث ، قال لنفسه هل هذا الوجه هو الذي كاد أن يؤدي بي إلى التهلكة ؟ ثم نظر لها نظرة عطف وشفقة على حالها ، لكنه لايعرف هل كان شعوره وإحساسه حب وعشق ، أم عطف وشفقة لوجه جميل ، كان يرسمه طوال حياته ، لم يستغرق وقتا طويلا في تفكيره ، تعامل مع منى على أنها مريضة مثل أي مريضة تحتاج لطبيب .

لعب الشيطان بعقل والد منى وصور له أن وليد سيفعل بها مكروها ، قام مسرعا من على السرير ، ذهب مهرولا إلى غرفة العناية ، نظر من خلف الزجاج ، وجد وليد جالسا على الكرسي المجاور لسرير المريضة ، فقد صارت مريضة الآن مثل أي مريضة ، دخل عليه الغرفة ، وجده واضعا يده تحت وجنته ونائما من شدة التعب في العمل طوال اليوم .

دق باب الغرفة بصوت خافت ، فتحت له الممرضة التي بداخل العنايه ببطئ ، دخل إلى الغرفة ، أيقظ وليد من نومه .

الحاج محمد : إذهب وإسترح قليلا أنا سوف أظل بجوارها حتى الصباح .

وليد : لا يجدر بك البقاء في غرفة العناية ، ممنوع من أجل باقي المرضى ، أنا سوف أخصص لها غرفة مجهزة كي أنقلها بها في الصباح ، على حسابي الخاص حتى تستطيع الجلوس معها كيفما شئت ، وسوف أمنع عنها الزيارة مطلقا

الحاج محمد : إفعل ما تراه صائبا أنا معك.

وليد : إذهب أنت ياعمي إلى غرفتي وإسترح حتى الصباح ، لأنى في الصباح سوف أذهب إلى عملي ، احتمال أنشغل طوال اليوم ، لكن لا تخف سأعود لك من وقت إلى الآخر لأطمئن عليكما .

ذهب الحاج محمد إلى غرفة وليد ، وهو مطمئن البال والقلب وعرف أن منى بين أيادي الله أولا ، ثم أيد أمينة سوف تحافظ عليها ، وكلما يرى أفعال وليد يحتقر نفسه على الأفعال الذى صدرت منه في الماضى ، ونبت في قلبه حب وليد .

عند سماعه شعائر صلاة الفجر استيقظ من نومه ثم ذهب ليتوضأ ويصلي الفجر ثم عاد إلى غرفته وشرع بالصلاة ، بعد صلاته جلس يتضرع إلى الله بالبكاء والدعاء ويطلب من الله ان يشفي ابنته .

دخل وليد على الحاج محمد وهو ساجد ، سمعه وهو يتضرع إلى الله بالدعاء ، سمع أنينه وبكاءه فبكى لبكائه ، هو لم يبك إشفاقا على الأب ، بل لأن قلبه يحترق من شدة النار التي بداخله ، وهو يرى أن أوهامه وخيالاته تناثرت مع الجسد الذي ظل يحلم به ، ويعيش معه في أحلام يقظته مع طريحة الفراش التى فى المشفى لا حول لها ولا قوة ، فجفف دموعه من على وجنتيه وذهب إليه ، جلس أمامه ونظر له نظرة حزن وشجن ، وكادت عيناه تنطقان : أريدك أن تأخذنى بين ذراعيك ، وتحتضننى مثلما كنت تحتضن منى حتى تهدأ نيران قلبى .

نظر له الحاج محمد ورأى فى عينيه دمعة واقفة بين أهدابه ، قرأ ما يوجد بها من رجاء بأن يحتضنه ، قام مسرعا بدون تردد وبسط ذراعيه وأخذه بين أحضانه ، كأنه يحتضن ابنته بين ذراعيه ، بعد أن هدأت نيران كل منهما ، نهضوا من فوق سجادة الصلاة وجلسا معا على حافة السرير الذي بالغرفة .

طلب وليد الإفطار له وللحاج محمد ، وبعد أن جاء الإفطار وضعه فوق المنضدة المجاورة للسرير ، ظلا ينظران لبعضهما ولا أحد يريد أن يتقدم للإفطار أويضع لقمة بفمه .

الحاج محمد : هيا ياولدي حاول أن تتناول شيئا حتى تستطيع أن تمارس عملك فهذا اليوم طويل .

الدكتور وليد : لا أستطيع أن أضع شيئا فى معدتى فأنا لا أشعر بالجوع ، حاول أنت ياعمى أن تتناول شيئا من الطعام حتي تستطيع أن ترافق منى ، وظلا يُرَغبان بعضهما لتناول الطعام ، لكن وقف كلاهما دون أن يضع شيئا من الطعام في فمه !! .

الحاج محمد : سوف أذهب لأتفقد أحوال منى .

وليد : إذهب وسوف أحضر خلفك لنقوم بنقلها إلى الغرفة الأخرى .

وذهب الحاج محمد إلى غرفة العناية ، وقف خلف الزجاج كالعادة ، ينظر إلى منى وهي هائمة بين يدي الله ، وشعرها يتهدل من فوق وسادتها ، ينزلق من طرف السرير ، تذكر أنه لم يأت لها بملابس ولا أى شئ ترتديه ،

قال لنفسه سأذهب إلى أى محل ملابس قريب وأشتري لها كل مستلزماتها ،

وبعد الإنتهاء من التفكير نظر خلفه وهو واقف يترقب ابنته ، وجد الشيخ حسن قد حضر ومعه ابنه أشرف ، ذهب إليهما وأوقفهما في الطريق حتى لاينظر أشرف إلى منى وهي هكذا فهو يعلم أن أشرف يحبها ، أخذهما وذهب معهما إلى الإستراحة ، جلسوا بالإستراحة بعيدا عن غرفة العناية .

سأله الشيخ حسن عن وضع منى ؟

الحاج محمد : مازالت كما هى ، لاجديد بل حالتها تزداد سوءا في كل لحظة ،

ترجَّى الحاج محمد صديقه أن يقوم بالدعاء لها في جميع صلواته وأن يجعل المصلين يدعون لها ، لعل الله يتقبل دعاء أحد منهم .

وصل وليد بعد لحظات إلى الإستراحة لينادي على الحاج محمد ، حتى ينقل منى من العناية إلى الغرفة المجهزة .

نهض أشرف من مكانه ،

أشرف :سوف أحضر معك ياعمي لأنقلها معك .

نظر وليد إلى أشرف وسأل من هذا الفتى ياعمي ؟

صمت الحاج محمد قليلا وبعد صمت ثوانى نظر إلى أشرف وإلى وليد ،

الحاج محمد : إنه أشرف إبن الشيخ حسن طالب بكلية الهندسه ولم يتخرج بعد .

خفق قلب وليد خفقة شديدة كأنه يشعر بالغيرة ، لكنه لايعلم شيئا عن حب أشرف لمنى .

وليد : دون تفكير لا الطبيب المعالج منع عنها الزيارة .

الحاج محمد : أتركها يا ولدى حتى أذهب لأشترى لها ثيابا ، فثيابها التي ترتديها مبللة بدمائها

وليد : أنا قمت بالإتصال بأختي مَلك لتشتري لمنى كل ماتريده من ثياب ، فهي فتاة مثلها ، تعلم مالا نعلمه ، وسوف تحضر حالا ، فهى الآن فى طريقها .

نظر الحاج محمد للدكتور وليد باستغراب ، قال لنفسه هل وليد يحبها لهذه الدرجة ؟ ، أم يشفق عليها وعلى حالها ؟ ، أم يريد أن يخبرني أنه أكرم منى خلقآ ؟ ، وليد لايفوته شيئا يخص منى ، يسعى أن تشفى برغم كل ماحدث ، هل أنا كنت مخطئا لهذه الدرجه فى حق هذا الشاب؟

استأذن الحاج محمد من صديقه الشيخ حسن وابنه أشرف وذهب مع وليد إلى غرفة العناية ، عندما وصل إلى الغرفة وجد وليد أخته ملك ومعها حقيبه يوجد بها كل ماطلبه منها من ثياب .

ملك : لمن هذه الثياب يا أخى ؟

وليد : لأخت صديق لي ، هي تقيم هنا يا أختي ، هي مريضة وفي غيبوبة ، أنت أقرب لي من أي أحد ، ألست أختي وحبيبتي ؟

ملك : نعم يا أخي ، هل تريد مني شيئا آخر .

الدكتور وليد : لا .. بل انتظري قليلا حتى تساعدي عمك الحاج محمد في تغيير ثياب إبنته .

ملك : حاضر سوف أنتظر ، وذهب معها إلى الغرفة المجهزة ،

واليد : إنتظري هنا حتى نأتي بالمريضة .

ملك : حاضر يا أخي سوف أنتظر،

تركها وذهب إلى منى ، لكنه تركها في حيرة من أمرها ، تحدث نفسها ، تقول من هذه الفتاة التي يهتم بها أخي إلى هذا الحد ؟ هو لم يهتم بأي فتاة طيلة حياته ! ، ظلت تحدث نفسها إلى أن لمحتهم قادمين ومعهم منى نائمة على التروللي . بعد وصولهم إلى الغرفة ، إستأذن وليد من الحاج محمد أن يسمح لأخته ملك أن تساعده في إرتداء ملابس منى فنظر له نظرة شكر وعرفان بالجميل وهز رأسه بالموافقة.

تركهم وليد وذهب خارج الغرفة ينتظرهم ، بعد مرور ساعة ، فتح الأب الباب وطلب منه أن يدخل ، دخل وليد ، نظر إلى أخته فوجدها دامعة العينين ، لم يسألها ما يبكيها ولم يكترث لها مطلقا ، فقد شغلت منى كل تفكيره واستحوذت علي كل جوارحه وكيانه ، نظر إلى ملك وتذكر منى لأنها تقاربها في القوام .

كانت ملك مثل الملاك إسم على مسمى ، كان شعرها أسودا ، وعيناها سوداوين ، وبشرتها بيضاء ، ومتوسطة الطول ، كانت ترتدي فستان أزرق ، وفوقه جاكت أسود .

الدكتور وليد : هل ترغبين في الذهاب ياملك ؟ .

ملك : لا ، أتركني هنا مع منى حتى تخرج من المشفى

الدكتور وليد : لا ياحبيبتي هي مريضة ، لا يستطيع أحد البقاء معها ، سوف أجعلك تأتين كل يومين حتى تطمئنين عليها ، إجلسى هنا حتى أضع لمنى الأجهزة كي لايحدث لها مضاعفات ، وأوصلك

ملك : لا يا أخي أنا أعرف طريقي جيدا سوف أذهب بمفردي .

وليد : إنتظري كى أذهب معك إلى خارج المشفى ، قام بوضع منى على أجهزة قياس القلب وعلق لها المحاليل وإربة الدم وبسط عليها الغطاء ، وقف أمامها ينظر لها بعيون كلها لهفة وشوق .

رأت ملك أخيها وهو ينظر لمنى بهذه النظرات ، فإزدادت حيرتها وتساؤلاتها ، لكنها ترى أن الوقت غير مناسب لأي سؤال ، فهي تعرف أخيها جيدا وتعرف أنه عصبي ولن يبوح بكلمة طالما لم يرغب في ذلك.

فنظر الحاج محمد إلى وليد وهو ينظر لإبنته فلمح نفس النظرة التي كانت في عينيه لمنى أثناء عملية الزائدة ، قال لنفسه هل يحبها إلى هذا الحد ، وأين كان قلبي وقتها ؟! وأين كانت مقلتي ؟! ، وأين كان عقلي ؟! ، لماذا لم أشعر بأحاسيسه ؟! ، ألست رجلا مثله ؟! ، وعاود الحديث واللوم على نفسه ،

قال حتي يبرر لنفسه خطأه ،

الحاج محمد : أنا مجرد أب رأى شابا يتحرش بإبنته فماذا عساه أن يفعل ؟! سكت قليلا ، قال لنفسه لو أي أب مكاني كان فعل ذلك وأكثر من ذلك ،

وبعد دقائق أفاق من شروده ، فوجد ملك تنظر لأخيها وهو ينظر إلى منى ،

فقال مسرعا : هيا يابني لنوصل ملك ، حتي يفيق من شروده هو الآخر ، فأفاق وليد فجأة ولكنه كان منهكا ومتعبا كأنه عائد من سفر بعيد بخياله.

وليد : ملك هيا ياحبيبتي أوصلك

فذهبت ملك معه ولكنها لم تذهب مثلما جاءت ، بل ذهبت ومعها أسئلة لا تحصى ولا تعد ، وخرجا من باب غرفة منى ، ووليد يمشي ولا يستطيع المشي فقدماه لم تستطع تحمل جسد ممزق فتنظر له ملك تارة ، وتعاود النظر أمامها تارة أخرى ، والأسئلة علي حافة شفاهها وطرف لسانها ولكنها تشعر أنها أصبحت بكماء لا تستطيع الحديث .

عند وصولهما إلى باب المشفى ، خرج وليد وأوقف تاكسي لها ، لكنها لم ترغب في مغادرة أخيها وهي تراه في هذه الحاله ، لكنها مجبرة علي الرحيل فقبلته .

ملك : سوف أتركك في رعاية الله ،

نظر لها نظره حزينة وابتسم بسمة باهتة ، فشعرت أن هذه البسمة ماهي إلا صراخ قلب ينزف حسرة ، ولكنها لم تعلم لماذا أخوها يتألم كل هذا الألم .

وليد : إذهبي ياصغيرتي في رعاية الله ، لن أوصيك ألا تذكري شيئا لأحد عما رأيتيه هنا ولا تذكري إسم منى أمام أحد ، بل أرجوكِ أن تنسي كل ما فعلتيه هنا .

ملك : سوف أنسى مؤقتا ، وسأنتظرك لتعطيني الإجابة علي جميع أسئلتي .

وليد : سوف أفعل لكن بعد تحسن الظروف .

ذهبت ملك ورجع وليد بظهره إلى الخلف ليذهب إلى غرفة منى وفي طريقه قابلته نوال الممرضة فوقفت حتى تحدثه في أمر يخص بيانات مني ، لكنه واصل السير كأنه لم ير أحدا ولم يسمع أحد ،

ذهبت الممرضة نوال مسرعة خلفه فقد كانت تسير ببطء إذ أنها مصابة بشلل أطفال من صغرها وكان عمرها يناهز الخمسين عاما ، قصيرة القوام ، ممتلئة ، فهرولت خلفه وهي لاتستطيع السير مسافات طويلة وهي مسرعة ، وظلت تسرع في خطواتها وتنادي عليه وهو لا يسمع نداءاتها .

قابله زميله دكتور أمجد : فأوقفه عنوة ،

الدكتور أمجد : ألا تسمع ميس نوال وهي تنادي عليك وتهرول خلفك ، توقف ، ماذا بك ؟ هل أنت متعب ؟! أو مرهق من العمل ؟! إن كان هذا إذهب إلى المدير وأطلب منه أجازة حتى تتعافى ثم تواصل عملك .

ينظر وليد ولم ينطق بكلمه واحده .

أثناء الحديث وصلت الممرضة نوال إليهما .

نوال : مابك يادكتور وليد ؟ هل أنت متعب ؟ قالت نفس الكلام الذي قاله الدكتور أمجد .

نظر الدكتور وليد لهما ، قال : لا أنا بخير ، سوف أستريح قليلا في غرفتي وبعدها أذهب لأواصل عملي ، ثم قال لنوال ماذا كنتِ تريدين مني ؟

نوال : كنت أريد بعض البيانات للمريضة التي كانت في العناية التي أتي بها دكتور مازن .

الدكتور وليد : حاضر إذهبي أنت وأنا سوف أذهب وأسجل كل البيانات المطلوبة ولا تشغلي بالك بهذه المسألة .

نظرت الممرضة نوال له متعجبة وقالت مثلما تريد

وهي ترفع كتفيها وتهز رأسها من فرط التعجب!، تركته وذهبت إلى عملها .

تركها الدكتور وليد تحدث نفسها ، ظل هو واقفا مع الدكتور أمجد دكتور القلب والأوعية الدموية بالمشفى ، ثم طلب منه أن يذهب معه لفحص منى .

الدكتور أمجد : هل هذه المريضه تخصك ؟

وليد : نعم تخصني جدا مثل أختي وأكثر وأريدك أن تهتم بها أنت أيضا ، فأنا أريدها أن تعود إلى الحياه في أقرب وقت .

أمجد : أين هي ؟ هل هى في العناية ؟

وليد : لا لقد خصصت لها غرفة بمفردها .

أمجد : هي تريد مراتب هوائيه وجهاز الضغط ورسم القلب وجهاز التنفس .

وليد : لقد أعددتها ، وفي إمكانك النظر إليها .

أمجد : لماذا لم تدعها في العنايه مع باقي المرضي ؟

نظر وليد له وفي عينيه دمعة حائرة .

عندما وجد أمجد هذه الدمعة في عين وليد شعر أن هذه المريضة تمس قلب وليد .

أمجد : هلموا بنا لنرى مريضتك المميزة هذه ، يقول هذا الكلام ليخرجه من جو الحزن الذى وجده به

ذهب وليد مع أمجد إلى غرفة منى ، دق الباب

فرد والدها : من بالخارج ؟

وليد : أنا ياعمي ومعي طبيب القلب جاء ليفحص منى .

الحاج محمد : أدخل يابني ،

دخل وليد ومعه أمجد ، فوجد الحاج محمد جالسا علي سجادة الصلاة وفي يده المصحف يقرأ فيه ، قام الحاج محمد من علي السجادة ورحب بالدكتور أمجد وسلم عليه وقبله بكل لطف علي غير عادته ، فتعجب وليد علي حال الحاج محمد فقد تغير مائة وثمانون درجه وذهب تكبره ، غروره ، قسوته ، لم يتبق منه غير الأب المكسور الحزين مفطور القلب ، فوجده وهو يتحدث مع أمجد مثل الغريق الذي يتعلق بقشة ، ويسرع بالأسئلة المتتالية

هل ستفيق ؟ هل سوف تتحسن ؟ هل تموت منى ؟ أرجوك يادكتور جاوبني ، انا لا أحتمل نومها هذا .

ينظر أمجد للحاج محمد ويقول له هدئ من روعك ياعمي ، اتركني أفحص المريضة أولا ثم أخبرك بحالتها ،

يدعه الأب وهو بداخله أمل ان إبنته سوف تقاوم الموت .

يذهب أمجد إلى سرير منى وهي نائمة كالملاك وشعرها الطويل ينساب علي وسادتها وعينيها مغلقتين ورموشها الطويلة تحتضن بعضها البعض وقد تبقي علي وجهه بعض من النضارة وعلي شفاهها بعض من الحياه .

ينظر لها الدكتور أمجد ويتعجب ويسأل نفسه من أوصل هذا الملاك إلى هذا الفناء ؟ ولكنه قام بفحصها جيدا وفحص نبضات قلبها ونظر إلى الأجهزة المعلقة لها وجهاز التنفس وجهاز رسم القلب والتحاليل والخرطوم الذي يدخل من أنفها إلى معدتها ، نظر إلى كل شئ .

الدكتور أمجد : أن جسدها ضعيف وحالتها سيئة لأنها فقدت دماء كثيرة من جسدها ، لكنها هي الآن بين يدي الله ، لا أحد يقدر علي أن يفعل لها شيئا غير الله أولا ، ثم إرادتها ثانيا في مقاومة الموت.

ثم تركها وذهب وأخذ معه وليد خارج الغرفه ليتحدث معه ويعرف منه السبب الذي أدى بها إلى هذه الحالة ،.

وليد ، أنا مثلي مثلك لا أعرف شيئا حتى وقتنا هذا

سأله أمجد هل تعرفها جيدا ؟

وليد : نعم ولكني لأعلم ما أصابها غير الذي وجدته أنت من جروح وكدمات بجسدها .

أمجد : لكن هذا ياصديقي إغتصاب وشروع في قتل .

وليد : لا ليس إغتصابا بالمعنى المعروف .

أمجد : إذن اخبرني من فعل بها هذا ؟

وليد : إنها متزوجة ، فتعجب الدكتور أمجد ولم يصدق مايسمعه !.

أمجد : كيف ؟ ولماذا ؟ هي مازالت صغيرة جدا علي الزواج! .

وليد : هذا ماحدث ، أنا لا أعلم تفاصيل أكثر من ذلك .

أمجد : أين ذلك الزوج المجرم الوحش الذي ليس بقلبه ذرة من العطف ولا الشفقة .

وليد : لا أعلم ، لم أرى وجهه حتي الآن ، ولكن ياصديقي أدعو الله أن لاأرى وجهه حتى لا أقتله .

أمجد : ألهذا الحد تكن لها كل هذه المعزة .

نظر وليد إلي أمجد وصمت ولم يتحدث بشئ .

نظر له أمجد ورأى أنه لا يريد أن يتحدث ، فقال له سوف أذهب ياصديقي إلى عملي وإذا إحتجتني بإمكانك أن تناديني في أي وقت أنا تحت أمرك .

ذهب أمجد وترك وليد ، دخل مرة ثانية إلى غرفة منى فوجد الأب جالسا بجوارها ويحتضن يدها وكأنه يحتضن قلبه بين يديه ،

نظر له وليد وقال له سوف أذهب للمدير لأتقدم له بإجازة مفتوحة ،

سمع الحاج محمد هذا الكلام فاشحب وجهه

وقال له لماذا يابني ؟ هل تتركنا هنا وتذهب؟ .

وليد : لا تخاف ياعمي أنا لن أترك المشفى حتي تفيق منى وتخرج هي قبلي من هنا ، كل مافي الأمر أني أريد أن أتفرغ لحالة منى ، فهي في إحتياج لطبيب يباشر حالتها ، مثل غرفة العناية ، نحن لا نعلم مدى تطور حالتها الصحية .

الحاج محمد : أنا لا أعرف ماذا أقول لك يابني غير أن أعتذر منك دائما ،

نظر له وليد وابتسم ابتسامة حزينة وتنهد تنهيدة طويلة وكأنه يستنشق الزفير الذي يخرج من صدر منى ، ويخرجه من صدره حِمَمًا بركانيه ، وتركه وذهب وأغلق الغرفة خلفه وترك قلبه

بعد خروجه من الغرفة وهو يسير على قدمين منهكتين من الألم فكل مايؤرقه هو آلام قلبه وجوارحه ، وأفكار وأسئلة بداخله ويريد نفسه تجيب على نفسه هل ما يشعر به حب حقيقي أم أوهام وخيالات مثل التي كانت تراوده من وقت لآخر لحبيبته ؟ وصل عند باب المدير فدق الباب فأذن له بالدخول ، وجد الدكتور أمجد عنده يتحدثان عن حالة منى

أمجد : تعال يا وليد أنا كنت أتحدث مع الدكتور ماجد عن حالة منى .

وليد : أنا جئت لأطلب أجازه مفتوحة بدون راتب

نظر له الدكتور أمجد ومدير المشفي وقالا معا لماذا أجازة .

وليد : حتى أباشر حالة منى جيدا وأظل معها طوال الوقت فهي في إحتياج طبيب في غرفتها ، لإن حالتها تزداد سوءا كل لحظة ، فسكت أمجد .

المدير : أليست منى حالة مرضية مثل باقي حالات المشفى

وليد : نعم ولكن منى ... ،

سكت دون أن يكمل حديثه ، نظر أمجد إلى مدير المشفى وظلا يتبادلان النظرات لبعضهما تارة وينظران لوليد تارة أخرى .

المدير : بعد صمت دام دقائقا .. لا لن أوافق على الأجازة بل تظل في عملك وتباشر أيضا مني ونحن لن نزعجك غير في الحالات الطارئة .

نظر وليد إلى مدير المشفى وشكره وذهب من عنده إلى غرفة منى مباشرة وترك المدير وأمجد يتحدثان معا ولم يكترث لما يقولانه بعد خروجه .

أمجد : سيادة المدير إن وليد حالته سيئة جدا فهو شارد طول الوقت .

مدير المشفى : أتركه حتى يهدأ ثم استدعه لأعرف منه ماذا أصابه بعد وصول هذه المريضة إلى المشفى .

إستأذن أمجد من المدير وخرج إلى عمله .

في صباح اليوم الثاني ذهب أمجد ليفحص منى ويطمئن عليها وعلى صديقه ، دق الباب فأذن له وليد بالدخول ، وجده جالسا بجوار السرير واضعا كرسيا أمامه حتى يفرد عليه قدميه ، نظر له وعلم أنه بات ليلته وهو جالس على الكرسي ، ووجد الأب نائما على السرير المجاور لسرير منى ، لم يتفوه بكلمة .

أمجد : أريد أن أفحص مريضتك وأقيس نبضها ومدى إستجابة القلب .

وليد : تفضل ياأخي وأفسح له الطريق وقام يساعده أيضا ، بعد فحصها .

أمجد : إن حالتها مستقرة ، الحمد لله ، لكن ليس أمامنا غير الدعاء .

الحاج محمد : هل هذا الطبيب مصري؟! .

وليد : نعم ، لماذا تقول هذا الكلام ؟

الحاج محمد : لأن ملامحه وشكله مثل الأجانب فهو يتصف بطوله ، ونحافته ، وشعره الأصفر ، وعيونه الزرقاء ، ووجه الأحمر .

بعد خروج أمجد من غرفة منى ، ذهب وليد إلى الحمام ليأخذ شاور ويغير ملابسه ، خرج من الحمام وطلب إفطارا للحاج محمد ، لكن مثلما يوضع الإفطار لهما يرفع عن الطاولة مثلما وضع دون أن يقترب أحد من لقمة منه ، ويبقى الحال كما هو عليه في الغداء والعشاء ، كأن كل منهما جميع أجهزته الداخلية تعطلت مع منى .

مع مرور الأيام وحالة منى تزداد سوءا .

وليد : يا حاج محمد يجب أن تعود لمنزلك لتستريح قليلا وترى أولادك وتتسبح وتغير ملابسك وتأتي بعد ذلك .

الحاج محمد : لا يا ولدي لن أذهب بل أريدك أنت أن تذهب لأهلك أنت هنا من أسابيع ولم تذهب إليهم .

وليد : هذا عملي وهم قد تعوَّدوا علي غيابي في العمل ، إذهب أنت واطمئن أنا لن أترك منى وحدها .

الحاج محمد : سوف أذهب يابني لأن ملابسي أصبحت سوداء من التراب والعرق ، سأستبدل ملابسي وأحضر ملابس جديده لمنى ، لن أتأخرغير بضعة ساعات .

ذهب الحاج محمد وترك وليد مع منى في الغرفة ، ولم يكن معهم غير الله ، أتاح لوليد الفرصة أن يتحدث مع منى ، وهو معتقد أن والدها قد غادر المشفى لبعض الوقت ، فأتي بالكرسي بجوار منى وجلس وأمسك يدها وقبلها فهو الآن ليس بطبيب ، بل عاشق يعيش الوهم والخيال مع معشوقته ولا يدرك أنها بين يدي الله ، وفتح كفها ووضع وجهه بين أناملها وكأنه يدفن وجعه في قبر ،

ظل يبكي بكاءا شديدا وكأن قلبه هو الذي يبكي بين يديها ويتوسل إليها أن تعود للحياة ، حتي يتأكد أن مايوجد بداخله هو حب ليس بوهم أو خيال ، وأن وجود حبيبته حقيقة ملموسة لا محسوسة ، يعلم جيدا أنها تسمعه وتشعر به ، لكنها لاتستطيع الحركة ولا الكلام ، كأنها في عالم الأموات داخل القبور يسمعون ويشعرون بكل من حولهم ولكن من حولهم لايشعرون بهم .

شعر الحاج محمد بقلق شديد وهو واقف علي باب المشفى فرجع مهرولا إلى غرفة مني ، فتح باب الغرفة بقوه ولكن وليد لم يشعر بدخوله فهو هائم مع حبيبته بين الخيال والواقع ، وقف لينظر ماذا يحدث من وليد ودخل الشك إلى قلبه ، لكنه هذه المرة تماسك ولم يسمع كلام الشيطان ، وقف فسمعه وهو يبكي ويتحدث معها بقلب مفطور .

وليد : أفيقي يامنية النفس كم حلمت بك طوال حياتي يامن عشت مع طيفك أفراحا وأحزانا ، أفيقي ياحبيبتي أنت ذهبت وأخذت قلبي ، وأحاسيسي ، ومشاعري معك أرجوك أن تعودي وتعيدي لي قلبي وروحي التي ذهبت معك ،

وظل يبكي وضع ووجهه داخل كفها ،

ويقول: هل أنت حقيقة أم خيال ؟ هل هذا حلم أم كابوس ؟ إن كنت حقيقة سوف أضحي بحياتي من أجل أن تعودين للحياة ، وتعيشين فيها سعيدة حتي إن لم يقدر لك أن تكونين ملكا لي ، بل يكفيني أنك ملك لقلبي وروحي ، أنا أعلم ياحبيبتي أنك لاتعلمين أنني أعشقك ، فاطمئني ياحبيبتي وعودي للحياة فأنا لن أتركك تذهبين من أمام عيني ، سوف أحافظ عليك بكل قطرة من دمي .

سمع الحاج محمد هذا الكلام وبكى بكاء شديد ، تحسر وندم كثيرا علي مافعله بوليد وبابنته ، ثم عاد من حيث أتى دون أن يشعر به وليد ، تركه يناجي هواه بين يدى منى ، لعل نبضات قلبه المشتعلة توقظ نبضات قلبها الفاترة المتجمدة كالجليد ، لعل بركان مشاعره يذيب جليد مشاعرها، فتشعر بالحياة من جديد ، ذهب وهو مطمئن على منى أنها بين يدي الله وبين يدى الرجل الذي يحبها أكثر منه هو شخصيا ، فهو أضاعها من الحياة ، ولكن وليد يريدها أن تعود للحياة ، وتركهما وذهب إلى المنزل .

كانت الساعة الحادية عشرة ظهرا ، نزل من سيارته أمام المنزل ، شاهد أم علاء جالسة مع زوجته في الحديقة ، جالستين بدم بارد ، كأن شيئا لم يكن ، وكأن البنت التي تصارع الموت ليست بإبنتها ، دخل دون أن يتفوه بكلمة واحدة فهو يفهم في الأصول ، قال لنفسه أنها في منزله ولكنه نظر إلى زوجته نظرة أحرقت كيانها فقامت مسرعة خلفه لتطمئن على ابنتها الوحيدة ، أو بمعني أبسط تمثل أنها تريد الإطمئنان عليها .

صفاء والدتها : كيف حال منى ؟

لم يرد عليها مطلقا فأعادت السؤال مرارا ، وهو ينظر إليها في صمت

سألت أخر مرة بصوت عالي فنظر لها .

الحاج محمد : هل تعدين نفسك أمًّا مثل باقي الأمهات ؟ أنت لاتصلحين أن تكونين أما لها فأصمتي ولا تتحدثي.

نظرت صفاء له فقد مس كلامه قلبها وبكت .

صفاء : أنت من فعل بنا هذا ، منذ طفولتها وأنت لم تر غيرها ، إستغنيت بحبها عنا جميعا ، أنا والولدين أكرم وياسين ، حتى عند وصولك لم تسأل عنهما ولا عن حالهما .

الحاج محمد : كفاية عليهما حبك لهما ، ألا يأكلان وينامان ، يضحكان ويعيشان حياتهما بشكل عادي ، كأن التي في المشفى ليست بأختهما الوحيدة

صفاء : لا .. ياسين من يوم أن ذهبت بها إلى المشفى وهو لا يأكل ودائم البكاء ويريد أن يرى أخته

لها ياسين فقط ؟! وأنت ألا تشعرين بإبنتك الوحيدة ؟! ، ألست مثلها أنثى على الأقل ، تجلسين مع من كانوا سبب في ضياع ابنتك منك ، وكأن شيئا لم يكن .

صفاء : هي جاءت لتطمئن على منى .

الحاج محمد : وهل إطمأنت مثلما أنت مطمئنة عليها ، إذهبي وأعدي لي حقيبة ملابسى ، وأعدي حقيبة أخرى لمنى ، وجهزي لي الحمام أريد أن أتسبح قبل أن أذهب إلى المشفى .

صفاء : هل تأخذني معك لأراها .

الحاج محمد : لو أني شعرت منذ دخولي أنك فعلا تريدين رؤيتها لأخذتك معي ، لكن الطبيب يمنع عنها الزيارة ، إجلسي هنا مع صديقتك التي كانت سببا فيما تعانيه ابنتك ، ولو تبقى في قلبك لها ذرة من حنان الأمومة وعطفها على ضناها وهى بين يدي الله ، إجلسي علي سجادة الصلاة ولاتقومي وتضرعي لله أن يسامحنا أنا وأنت علي ما أخطأنا في حق ابنتنا .

نظرت صفاء له ولم تنطق بكلمة واحدة ، تركته وذهبت وهي تبكي من حرقة الكلام ، لا من حزنها على ابنتها، ولكنها معذورة في شعورها هذا ، هي إمرأة قبل أن تكون أما ، وتفكيرها لم يستوعب الفرق بين حب الأبوة ، وحب الزوجة ، هي أمية لاتقرأ ولا تكتب ، وخبرتها في الحياة قليلة ، لم تتعلم الفرق بين حب محمد لها كزوجة ، وحبه لإبنته كأب ، وهو لا يفكر أن يمحو مابداخلها من الأفكار التي تحرق أمومتها ، ولا يساعدها علي إستيعابها لمشاعره تجاه إبنته ومشاعره تجاهه ، بل تركها تأكل الغيرة قلبها ، حتي أفقدتها الشعور بأنها أم لهذه الفتاة ، وشعورها بالغيرة من ابنتها ،

جعل عندها يقين أن إبنتها منذ مجيئها للحياة ، قد أخذت زوجها منها ، فهو لم يسأل نفسه لماذا هذا الجفاء والفتور بين الأم وابنتها ، ولا بين الإبنة وأمها ، بل ترك النار تأكل كل منهما دون إرادتهن ، لو أنه سأل نفسه مرة واحدة عن السبب لعرف أنه كان السبب في هذا كله ، فحبه الشديد لابنته أفقدته الحكمة في وزن الأمور ، ولكن هل ينفع الندم بعد فوات الأوان ؟! .

ذهبت صفاء لتعد له الحقائب ، وهي في طريقها بالصاله ، وجدها ياسين إبنها الأصغر تبكي .

فسأل ياسين : ماذا يبكيك يا أمي ؟

صفاء : والدك أتى من عند أختك .

ذهب ياسين مسرعا قبل أن تكمل أمه حديثها معه وهو يصرخ بأعلى صوته وينادي على والده .

ياسين : يا أبي هل منى بخير ؟ كل هذا الصراخ والمناجاه وهو خارج الغرفة .

سمع والده صوته ففتح الباب له وأخذه بين ذراعيه وحضنه فوجده مفطور القلب ، يريد أن يرى أخته .

الحاج محمد : اذهب وجهز نفسك سوف آخذك معي لترى أختك منى .

ذهب ياسين مسرعا إلى غرفته ليجهز نفسه ويرتدي ملابسه ، بعد ذهاب ياسين ، قام الأب ليتسبح ويغير ملابسه .

جاءت صفاء بعد أن أعدت له الحقائب ، ووضعتها على السرير ، وذهبت هي إلى المطبخ لتعد له الطعام ، فخرج من الحمام ، وجدها في المطبخ .

الحاج محمد : ماذا تفعلين ؟

صفاء : سوف أعد لك الطعام .

الحاج محمد : لن آكل هنا ، ضعيه في السيارة ، سوف آخذه معي وأعدِّ الطعام لثلاثة أفراد ، سوف آخذ ياسين معي ، عندما يحضر أكرم من كليته ، قولي له يأتي في الليل ليأخذ أخيه .

صفاء : خذني معك ، سوف أعود مع أكرم أنا وياسين .

الحاج محمد : لا لن أخذك الآن ، ربما آخذك بعد ما تفيق منى من غيبوبتها ،

وقام لصلاة العصر ثم نادي علي ياسين وأخذه في يده وذهبا معا ، تركها بين أحضان إمرأة مكسورة وأم ممزقة ، ذهب إلى المشفى مسرعا ، بعد وصوله إلى غرفة منى ، وجد وليد لا يزال مكانه جالسا وواضعا وجهه في أحضان كفيها ، وغلبه النوم فنام ، هو مطمئن أن حبيبته تحتضنه ، لم يشعر بدخول الحاج محمد للمرة الثانية

دخل الحاج محمد أيقظه من نومه ولم ينظر أنه نائم وكف إبنته يحتضن وجهه ، فزع وليد من نومه وهو غارق في عرقه في عز البرد ، خاف من أن يعتقد الحاج محمد به سوءا ، حاول ان يفسر للحاج محمد ما شاهده .

الحاج محمد : أصمت يابني ، هيا بنا لنتناول الطعام أنا أحضرت معي طعاما من المنزل ،

نظر له وليد ولم ينطق ، بل أصابته الدهشة .

وليد : لا أرغب في الطعام ، سوف أقوم لأصلي العصر قبل أن يضيع مني .

الحاج محمد : إذن إنهي الصلى وتقدم لنتناول الطعام معا ، أنا لم أتناول أي طعام منذ أن مرضت منى ، وأريد أن يجمعنا طعام واحد ، ويكون بيننا لقمة العيش والملح

نظر وليد : قال حاضر ياعمي سوف أصلي أولا ثم أعود إليك ، والتفت من حوله فوجد ياسين واقفا خلف سرير منى وفي عينيه دموع وأنين .

وليد : من هذا الطفل الجميل ، ذهب له وأمسك به وقبله ومسح دموعه ومسح علي شعره بأنامله .

الحاج محمد : هذا ياسين ولدي أخو منى الأصغر ،

قبله الدكتور وليد وتركه وذهب ليصلي ، وهو يهم بالخروج نظر نظرة عابرة إلى جهاز رسم القلب ، وجد أن نبضات منى تتحسن عما سبق ، نظر لياسين وطلب منه أن يأتي بجوار منى ويمسك يدها جيدا ، نظر ثانية إلى الجهاز فوجد نبضاتها تزداد رويدا رويدا ، ففرح وإزداد تأكيده أن منى تشعر بمن حولها ، ووجود أخيها بجوارها وهبها السعاده لأنها تحبه كثيرا ، لم يتحدث في شئ مع أبيها ، تركهما وذهب حتى يصلي العصر

، وفي قلبه بزوغ أمل أن منى سوف تشعر به أيضا في يوم من الأيام ، ذهب وتوضأ ثم بسط سجادة الصلاة وقام بالصلاة ، بعد إنتهائه من الصلاة ، قام بالتضرع إلى الله بالدعاء لمنى ، حتي تعود من الموت المؤقت إلى الحياة ، ودخل بعد ذلك غرفة منى ، وجد والدها يضع الطعام علي المنضدة ، جلس بجواره هو وياسين وتناولوا معا أول طعام بينهم ، بعد الانتهاء من الطعام قام وليد وطلب من الكانتين شايا لهما ، وجلسا يتبادلان الحديث كأي أب وإبنه ، شعر وليد أن والد منى قد أحبه مثل إبنه ، أصبح يثق فيه كثيرا ، فقال لنفسه لن أكسر هذه الثقه طول حياتي ، بل أثقلها وأعمل على أن أزيد ثقته أكثر من ذلك .

ظلا جالسين وأخذهما الوقت ولم يشعرا أن الليل قد أتي ، فوجدا من يطرق الباب ، قام وليد ليفتح الباب ، وجد شابا متوسط الطول ، ممتلئ القوام ، لون بشرته بيضاء ، شعره أسود ناعم ، يرتدي جاكت أسود ، وقميص رمادي ، بنطلون رمادي ، سأله وليد من أنت ؟ ماذا تريد ؟

رد عليه الشاب وقال له أنا أكرم ، أليست هذه غرفة منى أختي .

نظر له وليد وقال : هل أنت أخو منى الأكبر .

أكرم : نعم أنا .

وليد : تفضل وأدخل .

نظر أكرم إلى أخته فلم يتمالك نفسه فتحركت بداخله مشاعر الأخوة ، وحن قلبه علي أخته التي لم يشعر مطلقا بوجودها في المنزل ، فالأم والأب فعلوا كل شئ يفرق شمل الإخوة ، فالأب إتبع منهج سيدنا يعقوب عندما أفرط في حبه لسيدنا يوسف ، والأم اتبعت منهجا آخر ، منهج المسكينة المقهورة ، وزرعت بداخل إبنها أن والده لم يحبه ، وأنه يحب إبنته أكثر منه هو وأخيه ، ولكن غريزة الإخوة كانت أكبر من كيدهن ، تعاطف مع أخته وتعصب عندما رأى أخته تقاوم الموت ، قرر أن ينتقم من زوجها ، ظل يصرخ ولم يستطع أحد على تهدئته ، أخذه أبوه وخرج من الغرفة وصفعه على وجهه حتى يعيده إلى رشده ، الحاج محمد : خذ أخيك ولا تأتي إلى المشفى ثانية .

نظر أكرم لأبيه وقال : أتريد أن تحرمني منها ثانية ، ألا يكفيك أن حرمتنا منها وهي على قيد الحياة ، أتريد أن نتخلي عنها وهي بين يدي الله ؟ لا لن أفعل ما تأمرني به لطالما سمعت كلامك ونفذت أوامرك بدون تردد ، لكن اليوم لن أتخلى عن أختي مطلقا ، سوف أنتقم لها ، حتى ولو دخلت السجن بعد أن أقتله ، سوف أدفعه ثمن كل قطرة دم نزفت من أختي .

الأب : لا يابني أنا الذي جنيت عليها ، إذا أردت أن تنتقم من أحد فانتقم مني أنا .

نظر أكرم لوالده وهو يقول هذا الكلام فوجده يبكي ، فألقى بنفسه بين أحضان أبيه لأول مرة في حياته ، وقبل رأسه و يديه وطلب منه أن يسامحه على تطاوله عليه في الكلام .

نظر وليد للأب ولأكرم وقال لنفسه هل خروج منى من الحياة ، كان سببا لإعادة لم شمل هذه الأسرة المفككة ؟

وأخذ أكرم من يده وقال له تعال معي لنذهب إلى الكانتين ، نشرب ليمون ، وهما يسيران معا كان بداخله فضول أن يعرف منه كيف كانت تعيش منى في هذا المنزل المفكك .

سأله وليد أكرم هل تحب أختك إلى هذه الدرجه ؟ لدرجة أن تضحي بمستقبلك من أجل أن تنتقم لها ؟

نظر له أكرم وإنفجر في البكاء وكأنه ينبوع ماء انفجر من باطن جبل يوجد في صحراء جرداء لازرع بها ولا ماء ، لأن حياتهم كانت مثل الصحراء لايوجد بها الدفء الأسري ، فالأم تزرع الحقد داخل أولادها الذكور من ناحية أبيهم وأختهم ، والأب لم يشعر مطلقا أن له أبناء يريدون حبه وعطفه .

ظل أكرم جالسا مع وليد يروي له كل مايعرفه عن حياة منى ، عن طباعها ، أخلاقها ، عندها ، تشبثها برأيها حكي له كل شئ عنها ، بعد أن أفاق من هستيريته في الحديث اللاإرادي

نظر أكرم إلى وليد وسأل من تكون ؟

وليد : أنا الطبيب المعالج لمنى .

سأله أكرم عن حال أخته وهل ستفيق وترجع للحياة أم ستموت ويفقدها للأبد ؟

وليد : هي بين يدي الله هو يعلم مالا نعلمه ، نحن لانقدر علي فعل شئ غير أن نتضرع إلى الله بالدعاء ، هيا لنذهب حتى لاتتأخر في السفر ، أنت معك أخوك الأصغر، أرجوك الا تتدخل في شئ ودع الأمر كله لوالدك ، هو يعلم ماذا يفعل وأرجو أن تعتبرني صديق لك وأخوك الأكبر .

نظر أكرم لوليد وشعر بحنان وعطف لم يشعر بهما مطلقا مع أحد .

أخذه وليد في حضنه ولف يده على رقبته وكتفيه وذهبا معا ، وكأنهما أخوان شقيقان ، ذهب إلى غرفة أخته فوجد أبيه جالسا بجوارأخته فقبل يده ورأسه ، ثم اقترب من أخته وقبل جبينها ، أخذ أخيه ياسين وذهب .

قام الحاج محمد خلفه مسرعا وقال له خذ مفتاح السياره واذهب بها أنت لن تجد مواصلات في هذا الوقت .

نظر أكرم لوالده نظرة تعجب وإستغراب ! فطالما كان يطلب السيارة من أبيه وهو يرفض إعطائها له ، مع إنه هو الذي علمه القيادة .

قرأ الأب في عيون أكرم هذا اللوم والعتاب ، فجاوبه دون أي سؤال ،

قال له كنت أرفض في الماضي إعطائك السيارة لإني كنت أخاف عليك يابني ،

شعر أكرم بعد هذا الكلام كم كان أبوه يحبه ويخاف أن يفقده ، أخذ المفتاح من يد أبيه وقام بتقبيلها عدة مرات ، وأخذ أخوه وذهب الى المنزل .

بعد وصولهم إلى المنزل وجدوا أمهم واقفة في الحديقة أمام المنزل ، بعد أن وجدت السيارة أسرعت عليهم وهي كلها خوف ورعب وقلق علي أكرم وياسين .

الأم : مالذي أخركم إلى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ من أعطاك هذه السيارة ؟ طبعا أبوك ألا يخاف عليك من قيادة السيارة في هذه الساعة ؟! .

نظر لها ياسين وتركها وذهب إلى غرفته ، نظر لها أكرم هو الآخر

أكرم : أليست البنت التي تقيم في المشفى وتقاوم الموت هذه ابنتك ؟ كيف يستطيع النوم أن يتملك منكِ ، ويغمض لك جفن وابنتك بين يدى الله ؟ ربما نفقدها إلى الأبد .

الأم : أتتهرني لأني أخاف عليكما ؟

أكرم : لم لا تخافي عليها ؟

الأم : هي معها أبوها حبيبها .

أكرم : ألست أنت أمها ؟ وأحق الناس برعايتها ، أتنسين أنها بنت ؟ إنها تحتاجك لتكونين بجوارها في مثل هذه الظروف .

نظرت له وقالت : أبوك رفض أن يأخذني معه .

أكرم : هل كنت تنتظرين أحدا ليأخذك لابنتك ؟

الأم : أنا لا أعرف المشفى .

قال أكرم لها : إذن استعدِ وسوف آخذك في الصباح لتقيمين معها في المشفي .

الأم : وأنتم من سوف يرعاكما .

أكرم : نحن سوف نرعى أنفسنا بأنفسنا فنحن علي قيد الحياه نأكل ونشرب ونتحرك ، أما هي أحق بك ، ثم تركها وذهب إلى غرفته .

في الصباح قام أكرم من نومه فوجدها تنظف المنزل .

أكرم : هيا يا أمي لنذهب إلى المشفى .

الأم : إنتظر حتي أنظف المنزل وأعد لك الطعام أنت وأخيك .

أكرم : لا نريد أن تنظفي المنزل ولا نريد طعاما ، هيا لأوصلك للمشفى قبل ذهابي إلى الجامعة ، أتركي مابيدك وأدخلي جهزي نفسك ،

لكنه يسأل نفسه سؤالا ، هل منى حقا أختا شقيقة لنا ؟! وإن كانت أختنا وأن أمي هي أمها لماذا هذا الفتور الذي بداخلهما هما الإثنتين ، وبعد برهة وجد أمه جاهزة ، أخذها وذهب بها إلى المشفى ومعهم ياسين أخوه الصغير ، عند وصولهم إلى المشفى دخل أكرم أمامها هو وياسين حتى يوصلها لمكان غرفة منى .

دقت الأم الباب فقام الحاج محمد بفتح الباب ليجد زوجته أمامه ..!! فقال لها من أتى بك إلى هنا ؟

صفاء : إبنك أكرم هو الذي أتى بي .

الحاج محمد : ألا ترغبين في رؤية إبنتك ؟

صفاء: نعم أرغب .

الحاج محمد : إذا أدخلي ،

فدخلت وجلست على الفراش بكل دم بارد وفتور، فنظر لها أكرم ووليد ولم يتفوه أحدهم بكلمة، لقد صدما من هول المنظر ، لكن كل منهما بداخله كلام كثير ، يسألان نفسيهما ، أليست هذه السيدة أمها ؟ كيف تستطيع أن تتماسك وهي تري إبنتها في مثل هذه الحالة ؟ لكنها لم تسأل عن أحد وظلت تتساءل هل ستظل هكذا بالأجهزة ؟.

وليد : نعم سوف تظل هكذا إلى أن يشاء الله ، وتشفي من مرضها .

الأم : وهل ستفيق ثانية بعد كل هذه الدماء التي نزفتها ؟.

وليد : قولي إن شاء الله ، إدعي لها أن تفيق من غيبوبتها .

ذهب وليد إلى الحاج محمد وسأله هل هذه السيده حقا أم منى ؟، هل هي التي أنجبتها ؟

الحاج محمد : نعم يابني ، هي أمها التي أنجبتها

نظر وليد متعجبا !

الحاج محمد : صفاء هل إطمأننتي على منى ؟

صفاء : نعم .

الحاج محمد : إذن إذهبي ولا تعودي إلى هنا مطلقا .

أكرم : أتركها يا أبي .. منى تحتاج لها .

الحاج محمد : لا يابني منى تحتاج إلى أم ، وأمها نُزع من قلبها الإحساس بابنتها .

نظرت صفاء له وهي تتعجب من كلامه ، وكأنه يغلط في حقها ، نظرت له وسكتت .

أكرم : أتركها يا أبي وعند عودتي من الجامعه سوف آتي وأخذها معي .

الحاج محمد : لا تتركها خذها معك ، استأجر لها تاكسي يوصلها إلى باب المنزل .

ذهبت الأم وتركت ابنتها بين الحياة والموت ، نظر لها أكرم وكل أسئلة العالم بداخله .

أكرم : هل منى أختنا الشقيقة أم أنها لقيطة وأنت لم تنجبيها ؟

نظرت الأم لأكرم وقالت له حتى أنت يا أكرم ؟

أكرم : نعم أريد أن أعلم الحقيقة يا أمي ، أنا أعرفك جيدا وأعرف أنك أم حنونه عليّ أنا وأخي ولم تقصري معنا مطلقا ، بالعكس كنت تخافين علينا أكثر من نفسك !، فلماذا هذا الفتور الذي بقلبك لمنى .

الأم : سوف أقص عليك كل شئ من يوم ولادتها وحتى الآن ،

إذن هيا نجلس هنا سوف أعزمك على شئ ، ونجلس لنتحدث

ظنا منه أنها سوف تخرج غضبها ، وتهدأ ، ثم يعود بها مرة ثانية لأخته .

جلست الأم مع أكرم في الحديقة المجاورة للمشفى ، ثم بدأت تقص عليه ما بداخلها من يوم ولادة منى ، ذكرت له أنها كانت سعيدة بقدوم ابنتها ، لأن والده كان يرغب بإنجاب البنات ولم تنس أن تضع بذور الملح على جرح أكرم تجاه أبيه !! .

صفاء : عند ولادتك غضب أبوك وخاصمني وكأني أنا التي أصنف نوع المولود الذي في بطني .

أكرم : سمعت كل هذا الحديث كثيرا ، أنت كنت ترغبين بصبي وهو يرغب بفتاة ، وكلا منكما أخذ مايتمناه من الثاني ، أنت تركتيه وهو تركك ، يا أمي أريد الذي لأعرفه .

الأم : مرضت أختك وهي صغيرة بثقب بالقلب ، فأخذها للطبيب ، وتركني أبكي وقلبي يتمزق من القلق عليها ، فقد تعذبت بعد موت أختك منى الكبرى التي أنجبتها قبلها ، لأني كنت أحبها كثيرا مثلك أنت وأخوك ، فقد ظن والدك أني السبب في موتها ، لأنها مرضت ووالدك في سفر ، فطلبت من جدتك نقود ، لأن النقود التي تركها لنا قد انتهت ، فرفضت جدتك أن تعطينا نقودا ، ولم أرغب في بيع قطعة من ذهبي لخوفي من والدك ، لأنه كان يرفض أن يأخذ مني شيئا ، فأصيبت منى بالحمى ، لم يهدأ جسدها وإنتشر به بقع حمراء كثيرة ، فقالت جدتك أنها حصبة وأنه مرض عادي ، يصاب به كل الأطفال ، سرعان مايتم الشفاء منه ، فاطمئن قلبي ، وظننت أنها سوف تشفي ، وخفت عليك فبعثتك عند أمي حتى لاتصاب بنفس المرض لأنه معدي ، وجاء والدك من السفر

فوجد منى مريضة جدا فتعصب على أمه وعلى أخوته ، لأنهم لم يسألوا علينا في غيابه ، أخذ أختك وذهب مسرعا إلى الطبيب ، ماتت على يديه في الطريق ، وظن أنها نائمة ، بعد وصوله عند الطبيب ، قال له الطبيب أنها توفيت بمرض الحصبة ،لأنه أهمل علاجها ، فعاد بها وهي على يديه ووضعها على السرير ، جلس بجوارها يبكي ، وعند دخولي الغرفة ظل يضربني بكل قوته ، كأني أنا السبب في موتها ، دخلت أمه علينا فطردها هي وأخوته ، لم يسمح لأحد بالدخول غير الشيخ حسن ، قام على غسلها هو وعمته فاطمة ، فقد كان يحبها أكتر من أمه ، وهي كانت تحبه جدا ، وترجيتهم أن أقبلها قبل دفنها فلم يوافق ، أخذها وذهب دون أن أضمها لحضني ضمة أخيرة ، قبل أن تذهب وترحل إلى الأبد ، بعد موت أختك زهد والدك الدنيا وزهدني وزهد أمه وزهد كل شئ ، وعاش على ذكرى أختك ، لدرجة أنه كان يتحدث مع نفسه وهو يظن أنها أمامه ، ومكث في المنزل ولم يذهب إلى عمله ، وجدت نفسي أفقده فسعيت على أن أحمل مرة أخرى ، لعل الله يعوضنا عن أختك ، عندما سمع خبر حملي ، دق قلبه من جديد بعد أن فقده مع أختك ، وأحب الحياة ، وعادت حياتنا مثل سابقها ، فكان يحلم بميعاد وضعي ، ظل يعد لي الأيام والأسابيع والشهور ، بعدما وضعت منى الثانية ، قلت أن والدك سوف يقترب منى أكثر وأكثر ، لكنه لم ينس أختك الأولى وخاف على أختك منى منِّي ، بعد عودته من عند الطبيب ، أخذها ودخل بها إلى غرفته ومكث فيها ولم يُرِدْ أي اقتراب أى أحد منا من منى ، أخذ أجازة من عمله شهرا كاملا وجلس معها ، كان لايسمح حتى لأمه أن تراها ، فجاءت أمه ودخلت الغرفة عنوة ، أخذتني من يدي حتى نرى أختك ،

نظر لي بغضب ، لكنه لم يقدر أن يرفع صوته على أمه ، فقد كان يحترمها ويبرها جدا ، برغم حبها الشديد لإخوته ، وأنها وافقت علي أن يسرقوا حقه بالميراث ، من هذا اليوم دخل في قلبي أن منى سوف تموت هي الأخرى ، خفت أقترب منها حتى لايحملني مسئولية موتها ، تركتها له ولأمه حتى يقوموا برعايتها ،

نظر لها أكرم وقال : و بعد أن شفيت لم تحن لها مطلقا ؟ ،

صفاء : بل كنت أحن لضحكاتها وهي تنظر لي وهي علي كتف جدتك أو والدك ، كنت أذهب إليها حتى أخذها منهما ، أحملها ولكنها كانت عندما تأتي إلي تبكي بشدة فيسرع أبوك بأخذها مني سريعا ويأخذها ويذهب على ضفاف النهر حتى تنام ثم يجئ بها على غرفته ، ظل كل منا بعيدا عن الأخر ، كانت تكبر كل يوم في حضن جدتها وأبيها ، كانت تنام مع جدتها ولم ترغب أن تنام في سريري ، عندما مرضت جدتك ، كان عُمْر منى خمس سنوات ، أخذتها لتبقى معي في غرفتي فبكت بكاءا شديد ، كانت عنيدة منذ طفولتها ، صفعتها على وجهها لتسكت فوقعت على الأرض ، جرحت رقبتها من زجاجة اهتزت ووقعت من فوق المنضدة فجاءت أختك عليها فنزفت دماء كثيرة من رقبتها ، خفت من والدك فأخذتها مسرعة إلى الدكتور مازن فقام بخياطتها وربط رقبتها ،

أخذتها وذهبت إلى بيت أبي خوفا من والدك ، علم والدك بما حدث لمنى بعد عودته من السفر من جدتك وزوجة أخيه التي كانت تمكث عندها جدتك وهي مريضة ، ظننا أنها سوف تموت جدتك وعادة البلد يجب أن يخرج الجثمان من بيت ابنها الأكبر ، جاء إلى منزل أمي ولم يتفوه بكلمة واحدة معي ، بل جلس مع جدتك وعندما أعددت الشاي له ، خرجت فلم أجده ، أخذ أختك وذهب دون أن يأخذنا معه أنا وأنت ، كنت في أول شهور حملي بأخيك ياسين ، بعد أيام ماتت جدتك فأخذتني أمي ورجعت بي إلى منزل عمك من أجل العزاء وبعد أن فرغ العزاء أخذتني إلى منزلي ، عند باب الحديقة تركتني وذهبت هي ولم ترغب في الدخول ، تمسكت بها حتى تدخل معي خوفا من والدك فرفضت .

أمي : إذهبي بمفردك وإعتذري من زوجك ، هو في أمس الحاجة لك بعد وفاة أمه ، إهتمي بابنتك وتركتني وذهبت ، بعدها دخلت إلى المنزل مسرعة ، ذهبت إلى غرفتي فلم أجد أحدا بالمنزل ، حمدت الله أن والدك لم يكن بالمنزل ، عندما عاد من الخارج هو ومنى وجدني في المنزل وقد قمت بتنظيف المنزل وأعددت الطعام ، عند دخوله لم ينطق بكلمة واحدة ، أخذ مني وذهب إلى غرفته ، دخلت خلفه واعتذرت منه وسامحني ، لكنه إشترط علي أني لا أضع يدي على منى مرة ثانية ، وافقت منعا للمشاكل فكان هو كل حياة منى و هي كل حياته .

أكرم : وانت تقصين حكايتك مع أبي يا أمي لم أر دمعة في عينيك توحي بأنك تتألمين بفقدانك لابنتك منذ صغرها ، لم أجد أن قلبك ينبض بأمومتك فكل ماقصصتيه لن يعطيك الحق في ترك ابنتك لأحد حتي ولو كان هذا الشخص هو أبوها ، انت ظلمتيها في الماضي والحاضر يا أمي ، وتركتيها للمجهول ثانية ، أنا لم أصدق أنك أم ، فكيف تكونين أما ولم تتحرك بداخلك غريزة الأمومة ، تركت إبنتك للمرة الثانية مثلما تركتيها بعد ولادتها لأبيها ليقوم على تربيتها ، والآن تركتيها لأبيها وللممرضات يقومون على رعايتها ، ونسيت أن ابنتك لا تحب أن تنكشف على أحد غريب ، حتي ولو كانت فتاة مثلها ، تركتيها ذبيحة ، طريحة الفراش ، ملقاة في مشفى ولم تفعلِ شيئا لها ، كأن الذي بين أضلاعك هو حجر صوان ليس بمضغة ،هي مركز العاطفة والحب في جسد الإنسان .

أكرم : هيا لنذهب إلى المنزل فأنا أدعو الله أن يزرع حب ابنتك في قلبك وأخذها وذهب .

وليد : محدثا نفسه هل حقيقي ما أري ؟! هل هذه فعلا والدة منى ؟! أم أنهم يقولون هذا فقط ؟! ، أكيد هناك سر لم أعرفه ، لكني سوف أعرفه مع الوقت ، لأن هذا ليس بحقيقي ، أنا لا أصدق أن هذه السيدة هي والدة منى وإن كانت أمها حقا ، كيف طاوعها قلبها أن تتركها وتذهب هكذا ؟ ألم يقولوا أن القطة تخطو بأطفالها السبعة أسطح حتى تحميهم من أن يصيبهم سوء ؟ هل قلب الحيوان أرق وأقوى من قلب الإنسان ؟ أم أن الغيرة والحقد أعمى عينيها وجعلها لاترى ابنتها في هذه الحالة ، أسئلة كثيرة محتاجة لأجوبة ، لكن من سيجيب على هذه الأسئلة .

وليد : محدثا نفسه المهم أن يكون الحوار الذي دار بالغرفة لم يؤثر على حالة منى ، ذهب ليفحص منى ، وجد نبضاتها تضعف وحالتها تسوء ، بدا على وجهه القلق

فنظر إليه الأب : مابك ياولدي ؟! .

وليد : إذهب إلى الدكتور أمجد مسرعا ، فمنى حالتها تسوء ياعمي .

ذهب الأب مسرعا وكأنه يسابق الزمان ودخل غرفة الأطباء ، وجد الأب الدكتور أمجد جالسا على مكتبه ، عندما رآه يلهث من التعب قام مسرعا .

الحاج محمد وهو يلهث : أن منى تسوء حالتها ، ذهب معه وهو يهرول وكأنهما يتسابقان من منهم يصل أولا .

دخل أمجد غرفة منى فتنحى وليد وتركه يفحص منى ، وجد نبضات قلبها تنخفض بطريقة ملحوظة .

أمجد : مالذي فعل بها هذا ؟ حالتها كانت مستقرة في الصباح

الأب : لاشئ ، لم يأت أحد بجوار الأجهزة .

وليد : ياعمي منى تشعر بكل مايدور في الغرفة وتسمعه ، لكنها مثل الأموات الذين يشعرون بنا دون أن نشعر بهم ، وقف الأب مصدوما من سماع هذا الكلام ثم

قال هل سمعت كل ما دار هنا الآن ؟

وليد : نعم ، وأنا لم أقدر أن أقول لك أن تأخذ الحاجه صفاء وتخرج تتحدث بالخارج هذه غلطتي .

أمجد : أنا مصدوم فيك ياوليد ، كيف تسمح بما حدث أمام المريضة ، لكن لن أحاسبك الآن ، ننقذ حياتها أولا وبعد ذلك سوف نتحدث ، لابد من عمل صدمات للقلب وإعطائها حقنه لتنشيط القلب ثانية ، لكن مع كل هذه المحاولات لإنقاذ حياتها لم تستجب ، ظل قلبها يتوقف رويدا رويدا .

سمع الدكتور أمجد صراخ والدها وبكائه على فقدانه لإبنته فأخرجه من الغرفة بسرعة وأغلق الباب ، ظل هو ووليد بالغرفة يقومان بمحاولات لإنقاذ حياتها ، لكن وليد ترك أمجد وذهب يبكي بين جدران الغرفة وقلبه يتوقف هو الآخر من الخوف على منى .

نظر الدكتور أمجد وقال له هل هذا وقت البكاء ألست بطبيب هيا تعال إلى هنا ، قف أمامي ، سنعمل لها صدمات ثانية للقلب ، ذهب وليد ووقف أمامه في الجهة الأخرى من السرير وأمسك يد منى واحتضنها جيدا ، جعل أنامله تتخلل أناملها ، ظل يحدثها بقلبه وبإحساسه ، وكل كيانه وكل جوارحه ، شعر وليد بنبضات قلبها ، كأن قلبه أعطاها دفعة لتعود للحياة ، بالفعل عاد قلب منى ينبض من جديد، لكنها لم تفق من غيبوبتها .

الدكتور أمجد : دكتور وليد ممنوع عنها الزيارة ، وإن لم تفعل ذلك سأنقلها معي إلى غرفة العناية ، وسأحرمك أنت أيضا من زيارتها ، لا تسمح لوالدها أيضا إلا إذا استقرت حالتها ، وممنوع زيارتها إلا بإذن مني أنا شخصيا ، ممنوع أيضا أي حديث بجوار غرفتها ، لا أريد أن تسمع أي شئ يسئ لها نفسيا

وليد : سوف أفعل كل ما تأمرني به ، ثم خرج من الغرفة بعد أن اطمئن على حالتها ، وجد أبيها واقفا وقلبه ينفطر من الخوف .

الحاج محمد : دكتور وليد هل استقرت حالتها ؟

الدكتور وليد : نعم .

حاول الحاج محمد أن يدخل غرفة منى ليطمئن عليها

الدكتور أمجد : ممنوع الدخول لغير الأطباء .

الحاج محمد : كيف أنا أريد أن أطمئن على ابنتي

الدكتور وليد : سوف تراها عندما تستقر حالتها نهائيا .

وقف الحاج محمد مكانه وحمد الله على أنها أصبحت بخير ، ورجع بظهره إلى الحائط ليستند عليه ، ثم جلس على ركبتيه أمام باب الغرفة

أمجد : وليد كنت أرغب في معاقبتك على إهمالك ، لكن عقابك هو الألم الذي شعرت به أنا من قلبك ووجدانك ، لأنك الآن سوف تفعل الصواب حتي لا تمر بمثل هذا الألم مجددا ، فنظر وليد إلى والد منى فوجده شاحب الوجه ، وجسده يرتعد من شدة الألم الذي بداخله ذهب وليد إلى الحاج محمد مسرعا وركع أمامه وأمسك بكتفيه ورفعه من على الأرض .

وليد : تعال معي ياعمي لنرى منى سويا ، أخذه ودخل إلى غرفة منى فذهب مسرعا ورفع الغطاء عن قدميها واحتضنها ، ظل يبكي بكاء حنونا دون صوت ، لكن منى كانت تشعر به ، وتشعر بحبات المطر التي تنهمر من عينيه علي كفوف أقدامها ، ذهب وليد ورفعه ،

وليد : إن لم تتماسك سوف أخرجك من الغرفة ، نظر له الأب المنكوب وهز رأسه مرات متتالية ، ثم وضع يده علي فمه ومسح دموعه بيديه ، ليعبر لوليد أنه سوف يصمت ولا يبكي ، سوف يتماسك ويترجاه بنظرات عينيه أن يبقيه بجوار ابنته ولا يخرجه من الغرفه.

وليد : لاتخاف ياعمي لن تخرج من الغرفة ولكن لابد من الإلتزام بكلام الدكتور أمجد ، ونمنع دخول أي أحد على منى حتى لايحدث لها أي مضاعفات ، أنت رأيت ياعمي أننا كدنا نفقدها في ثانية واحدة .

الحاج محمد : نعم يابني لن يدخل أحد عليها مرة ثانية .

وليد : أنا اتصلت بملك أختي لتأتي حتى تقوم أنت وهي بتبديل ملابس منى .

الحاج محمد : لا أعرف بماذا أشكرك ، إعلم يابني أني سوف أعطيك هديه ثمينة جدا ، لكن بعد سلامة منى وخروجها من المشفى .

وليد : ياعمي هديتي هي سلامة مني .

نظر له الحاج محمد وإبتسم بسمة خفيفة ،

له إنتظر يابني لا تسبق الأحداث ، الهدية التي سأعطيها لك لايستحقها غيرك أنت ، فاصبر ولا تستعجل الكلام .

زرع الحاج محمد بداخل وليد أفكار كثيرة متضاربة وهواجس تلاحقه وأحلام تراوده ، وزرع بذرة أمل بداخل قلب كاد أن ينفطر من الألم والوجع .

وقال لنفسه بعد ان أفاق لا أريد أن أحلم حلما جميلا وأفيق منه على كابوس جديد ، أو أزرع ورودا وأزهارا في حديقة قلبي وبعدها أجدها أشجار الصبار ، تنهد تنهيدة عميقة وقام ووقف أمام منى وشرد شرودا طويلا كعادته ، نظر له الأب وذهب إليه وهو ممسك كرسيا بيديه ووضعه خلفه ثم قال له إجلس يابنى لقد تورمت قدماك من الوقوف أمام منى ، نظر له ببسمة خفيفة ليعبر له عن موافقته لحبه لمنى .

نسي الحاج محمد أن منى مازالت متزوجة أم كيانه يتناسى هذا الحدث وروحه تشتاق إلى أن يعود به الزمان إلى الخلف وكأن شيئا لم يكن .

بعد عدة دقائق دق الباب ، قام وليد وفتح الباب فوجدها ملك جاءت لتطمئن على منى وتساعد والدها على تبديل ملابسها ، فسمح لها بالدخول .

وليد : بصوت منخفض لا تتحدثي لأنها متعبة جدا ،

فخفضت صوتها وأسرعت إلى والد منى لتسلم عليه ، ثم جلست علي طرف السرير المجاور لسرير منى ، نظرت إلى أخيها فنظر لها وتمتم بصوت منخفض هيا قومي وجهزي لمنى ملابسها ،

ملك : أين ملابسها ياعمي .

الحاج محمد : في الحقيبة التى فى الخزانة يابنيتى .

قامت ملك مسرعة وأخرجت الملابس .

وليد : سوف أذهب إلى الدكتور أمجد قليلا لأستفسر منه عن شئ ،.

الحاج محمد : إذهب يابني واطمئن على حالتها ، خرج من الغرفة مسرعا ، قامت ملك ووالد منى بتغيير ملابسها وتمشيط شعرها ، بعد الإنتهاء جاء الأب بزجاجة عطر .

الحاج محمد : إنها تعشق العطور ، خذي يابنيتى هذه الزجاجة وضعي قطرات علي ملابسها هي تحب ذلك النوع من العطور ،

نظرت ملك له بنظرة كلها أسئلة وأخذتها منه ووضعت بعض منها على كفيها ورقبتها وخلف أذنيها وعلي ملابسها وأغلقت الزجاجة وأعطتها له ، ثم بسطت عليها الغطاء لتنعم بنوم هادئ في ملكوت الله ، وأخذت ملك الملابس الأخرى ووضعتها في حقيبتها لتأخذهم معها لتغسلها ، فرآها والد منى .

الحاج محمد : لماذا تأخذين الملابس يابنيتى .

ملك : سوف أقوم بغسلهم وكيهم ثم أحضرهم معى في المرة المقبلة .

الحاج محمد : لا يابنيتى أتركيهم أنا سوف أبعثهم إلى المنزل مع أخيها وهم يقومون باللازم ،

أصرت ملك ، فرفض رفضا قطعيا ، فتركتهم ملك هذه المرة ، حزنت في نفسها منه .

ملك : أنا أحببت منى واعتبرتها مثل أختي .

الحاج محمد : أنا أحببتك مثل منى ، لكن يابنيتى قد طوقتم عنقي بمجاملاتكما أنت وأخيك ، واقترب منها بخطوات وقبل رأسها وجبينها مثل منى، وقال لها لاتغضبي ياصغيرتي فأنا ماعدت أعلم كيف أسدد دينكم؟ وأوفى جميلكم .

ملك : لاتقل هذا ياعمي ، منى أختى ، سوف أذهب لأرى أخي قبل رحيلي ،

خرجت من الغرفه وذهبت إلى مكتب الأطباء ، لكنها لم تصل حيث أخيها يقف في الطرقة مع أمجد فوقفت خلفه فسمعت كلامه مع أمجد وهو يعاتبه على مافعله ، وسمعت أمجد وهو يقول له هل تحبها إلى هذه الدرجه .

وليد : منذ شهور أشعر بحنين جارف يخرج من بين ضلوعي ، ويراودني طيفها في يقظتي وفي منامي ، ويهمس بصوت كروان يغرد ، يملأ الكون بكلمات كنت أعشق نغماته ، كنت أستنشق رحيقها وعبيرها يملأ غرفتي عندما يطوف بي خيالها ، وروحها كانت تؤنس وحدتي ، أتحدث معها بدون نبرات ولا حروف ولا كلمات أعشقها من قبل ولادتها ، فكيف ياصديقي بعد أن وجدتها أمامي كيانا وإنسانا من لحم ودم أقدر علي فقدها .

نظر أمجد أمامه فوجد ملك تبكي بدموع تحرق وجنتيها ، فأشار إلى وليد أن ملك خلفه فالتفت للخلف ليجد أخته تبكي ، فذهب لها مسرعا وأخذها في أحضانه

و لها : مايبكيك ياصغيرتي .

ملك : أبكي من شدة فرحتي يا أخي أنك أصبحت تحب وستتزوج .

وليد : أتزوج ؟! وابتسم ابتسامة سخرية على ماهو به ، قال لها لا ياحبيبتي ربما لايكتب لى أن أتزوج .

ملك : كيف لاتتزوج وأنت تحبها إلى هذه الدرجه ؟

وليد : انا لا أتزوج لأن التي أحبها ليست من عالم البشر ، فأنت صغيرة وعقلك لن يستوعب كلامي

ملك : أنا لست بصغيرة ، إن أصحابي مخطوبين وسوف يتزوجون بعد تخرجهم ،، يا أخي نحن نرغب أن نفرح بك ونزوجك ، من هذه البنت التي تحبها سوف نذهب لها أنا وأمي ونطلبها لك .

ضحك وليد بقلب ينزف دماء، ثم قال هي في العالم الآخر ، عندما تعود ويقدر لي زواجها سوف تكونين أول من أخبرها ، هيا إذهبي وكفاك حديثا وأسئلة .

ملك : حاضر سوف أذهب ، أقبل منى ، وأسلم على عمي وأذهب ، نظر لها نظرات تحذير .

ملك : لا تخف لن أتفوه بكلمة ولكنك وعدتني أن تتحدث معي حين عودتك إلى المنزل ،

حاضر ياصغيرتي ، هيا اذهبي وبطلي غلبة ، ابتسمت ملك وذهبت .

استأذن وليد من أمجد وذهب خلفها بخطوات وهي في طريقها إلى الغرفة ، وجدت شيخ ومعه إبنه شاب وسيم فتخاطفت نظراتها إلى هذا الشاب وسمعت الشيخ يسأل الممرضة على غرفة منى ، فتقدمت هي لترشدهما عليها فنظرت بجوارها فوجدت أخيها ، فوقفت ولم تتحدث ، وقف دكتور وليد ليسلم علي الشيخ حسن فقد تقابلا مرتين قبل ذلك الوقت ، سلم على أشرف ، انقبض قلبه مثل السابق حين رآه أول مرة ، نظر الشيخ حسن لملك فوجدها فتاة جميلة ورشيقة ومهذبة .

الشيخ حسن : دكتور وليد من هذه الفتاة ؟

الدكتور وليد : أختي ملك .

الشيخ حسن : هل هي مخطوبة أو أحد تكلم عليها بالزواج ؟

الدكتور وليد : لا ياعمي هي مازالت صغيرة .

ابتسم وليد ونظر لأشرف فوجده ينظر في الأرض ولايرغب في رؤية أي أحد غير منى .

الشيخ حسن : أنظر يا أشرف ، إنها تشبه أختك كريمة نظر لها نظرة عابرة ورجع بنظره إلى الأرض

استاء الشيخ حسن من تصرف أشرف ، كان يرغب أن تعجبه ملك حتي لايفكر في منى ، لكن كيف وهو واقف على أعصابه يريد أن يملأ عينيه بالنظر إليها ، وإن كانت طريحة الفراش .

الشيخ حسن : دكتور وليد نريد أن نطمئن على منى .

وليد : لا ياعمي لايستطيع أحد زيارتها ، الطبيب المعالج مانع زيارتها ، إذهب إلى الإستراحه وأنا سوف أرسل لك عمى محمد إلى هناك .

أشرف بصوت عال : كيف لانستطيع زيارتها .

وليد : حضرتك متعصب ليه كده هي ؟! مريضة ، والطبيب يعلم أن زيارة أي أحد سوف تؤذي حياتها

أشرف :سوف ننظر لها من بعيد ولن نتحدث أرجوك ، أريد أن أراها مرة واحدة أرجوك .

نظر إليه وليد بنظرة عطف ووضع نفسه مكانه ، نظر الشيخ حسن لوليد ونظر لأشرف .

الشيخ حسن : إنه يحبها مثل أخته ، أنت تعلم مدى علاقتنا ببعض ، الحاج محمد ليس صديقا فقط بل أكثر من أخ .

الدكتور وليد : تعال يا أشرف بشرط ألا تتكلم وسأجعلك تراها من بعيد ، هيا ياعمي الشيخ حسن ، وذهبوا معا ، عند وصولهم إلى الغرفة دق الباب ، فتح والدها ، دخلوا جميعا دون أن يتفوه أحد بكلمة

نظر وليد إلى أشرف فوجده ينظر إلى منى بنظرات كلها حب وحنين لمحبوبته لا إلى أخته ، فتأكد أنه يحبها جدا .

وليد : ملك هيا يا صغيرتى حتى لا تتأخري ،

وليد : عند ما يحدث ملك وينظر لها وجدها تنظر لأشرف بإعجاب شديد ، فأمسك بيدها ليشعرها بوجوده ،

وليد : أرجو أن تذهبوا إلى الإستراحة حتى لا تنزعج منى .

الشيخ حسن : هيا يا أخي لنذهب إلى الإستراحة ، انا أريدك في شئ هام جدا ، أريد أن أتحدث معك بمفردنا ،

الحاج محمد : هيا يأخي ،

الشيخ حسن : يا أشرف إذهب أنت إلي مشوارك ، أنا سوف أذهب بعد أن أنتهي من الحديث مع عمك .

ذهب أشرف وهو ينظر إلى منى ، حتى كاد أن يقع عند اصطدامه بملك فأفاق لنفسه وإعتذر وذهب وترك والده.

خرجت ملك مسرعة خلفه حتى تخطف منه بعض نظرات .

ملك : أنا ذاهبه يا أخي حتى لا أتأخر فتركها تذهب .

ذهبت ملك خلف أشرف مباشرة ، بعد وصولهم وقفت بجواره تنتظر تاكسي ، وهي تتمني أن ينظر لها أو يتحدث معها ، ظلت تحدث نفسها وتتمني أن يتحدث معها قبل وصول التاكسى ، ظلت تنظر له لعله ينظر لها ، لكنه لم يفعل فهو يفكر في منى وحالها وهل ستفيق وترجع للحياة ؟ أم أنها سوف تفارق الحياه ؟ فوجدته يبكي .

ملك : أنت تعرف منى منذ طفولتكما ، لم يسمعها فهو منهمك بالتفكير ، لكنها أعادت السؤال بصوت أعلى .

نظر لها أشرف وقال نعم أعرفها جيدا .

ملك : حدثني عنها .

أشرف : كيف ؟! نحن في الطريق العام ، لايصح أن نتحدث معا هكذا ،

ثم استأذن منها ، قال سوف أذهب حتى لا أتأخر عن موعدى ، ربما نتحدث في وقت لاحق ، ثم تركها وذهب .

بعد دقائق جاء تاكسي ، استقلته وذهبت ، لكنها لم تذهب كما جاءت ، بل ذهبت وبداخلها بذرة حب لأشرف ، وتتمنى أن تنبت هذه البذرة بداخله هو أيضا ، ذهبت وبداخلها أحلام الفتيات ، أن هذا الشاب هو فارس أحلامها ، سوف يأتى يوم ما ويأتيها على حصانه الأبيض ويخطفها مثلما خطف قلبها وعقلها .

بعد انصراف الجميع من غرفة منى فرح وليد أنه سوف يتحدث مع منى بمفرده ، ليس كطبيب بل كعاشق ، حتى منى أصبحت تحس أنفاسه ، نبضات قلبه ، همساته ، لمساته ، دفء يديه عندما يمسك يدها ، أصبحت تشعر بخطوات قدميه وتشم رائحة عطره وتميزها ، تسعد روحها لحديثه معها ولكنها لم تقدر على أن تقاوم الجسد المحطم ، فجسدها أصبح رافضا للحياة ، لكنه هو الآخر يشعر ويحس أنها تشعر به وبكل نفس يخرج من صدره ، أصبحت روحها تحوم حوله في كل مكان يذهب إليه ، إن روحها الآن تسبح بين السماء والأرض ، ظل يتحدث معها في كل شئ ويحكي لها عن طفولته ، شبابه ، حبه الشديد لها طول حياته حتى من قبل ولادتها ، لأنه كان يعشق طيفها ، تمنى أن يظل والدها جالسا مع الشيخ حسن ، حتى يشبع قلبه بالحديث إليها ، كان جالسا أمامها على كرسي يبتعد عن سريرها بنصف متر ، حتى لايطاوع قلبه بلمس يديها ، فهي أصبحت أمانة عنده ، لكنه برغم بعده عنها ، يشعر بها بكل كيانه وجوارحه تحتضنها ، يسأل نفسه هل شعوري هذا ناتج لأن أرواحنا أصبحت متشبسة ببعضها ؟ أصبحت نبضاته تزيد ، أصبحت أحاسيسه تتغير ، يسأل نفسه هل هذه الأحاسيس ناتجة عن شدة حبه لها ؟ ، بعد مكوثه معها أياما وأسابيعا في غرفة واحدة ؟ أم نتاج لأمنياته وأحلامه بها ؟ .

ظل هكذا إلى أن جاء الحاج محمد ، كان الحاج محمد يتمتم بكلمات سب وقذف ، لكنه لا يعرف من صاحب هذه الشتائم ، كان الحاج محمد متعبا ووجهه أحمر وأعصابه تالفة ، ظل يحدث نفسه بعصبيه ، يقول لو جاء إلى هنا سوف أقتله ، فقتل الفضول قلب وليد فهو خائف منه وعليه في آن واحد فهو ضغطه سوف يرتفع كالعادة .

الدكتور وليد : هدئ من روعك وأعطاه كوبا من الماء ، بعد إحتساء الحاج محمد كوب الماء ، نظر إلى وجه وليد .

الحاج محمد : أنه يريد أن يأتي لرؤية منى .

وليد : من هو ؟!

سوف أجيب على نفسي ،هذا الرجل الذي قمت بإعطائه منى جسدا وروح فردها لي جسدا بلا روح ؟

علم وليد أن الشيخ حسن كان يريد الحاج محمد في هذا الموضوع ، صمت قليلا .

وليد : يا حاج محمد أنت تعرف أن الزيارة ممنوعة عنها .

الحاج محمد : لا تخاف ياولدي هل أنا جننت لألقى بها في التهلكة مرة أخرى؟ لا تخاف وإطمئن .

وليد : ياحاج محمد ماذا قلت للشيخ حسن وماذا قال لك ؟، سكت بعد إعتذاره ظنا أنه تجاوز حدوده .

الحاج محمد : لماذا تعتذر ؟

وليد : أظن أني تجاوزت حدودي .

الحاج محمد : لا يا ولدي فأنا صرت أحبك مثل أكرم إبني ،

ثم أخبره أن زوجها ذهب إلى الشيخ حسن ليطلب منه أن يكلمني في موضوع منى ، وأنه يريد أن يأتي هو وأمه لرؤيتها وزيارتها وعمل الواجب ، ونسى أنه عمل أكثر من الواجب عندما قام بذبح أنوثتها ، نظر له وليد باستغراب لأنه يتحدث معه في موضوع منى بتلقائية وبدون أي حواجز بينهم ، نظر وليد بصمت ، لأنه يريد أن يعرف ماذا أصاب منى ، وما هي ملابسات الموضوع ، ظل صامتا ، لأن بداخله فضول قاتل لمعرفة الحقيقة ، بعد إنتهاء الحاج محمد من حديثه ، نظر إليه نظرة كلها حزن وتركه ، ذهب دون أن يتفوه بكلمة واحدة ،



خرج مسرعا من الغرفة ، فنادي عليه الحاج محمد ، لم يلب الدكتور وليد نداءه خوفا من أن يقول شيئا وهو في قمة عصبيته وغضبه أو يخطئ بكلمة فتوجد خلافا جديدا بينهما ، تحمل طعنات السكين التي طعنه بها عند رواية الموضوع ، وغرس سكينته في قلبه وذهب بعيدا حتى يهدأ ، بعد سماع هذا الحديث ، ظل يحدث نفسه ويتخيل منى وهي بين يدي هذا الوحش ، تأججت بداخله نارا قوية حينها تذكر إنفعال أكرم ،

قائلا أنه كان على حق في إنفعاله فهذا الرجل يستحق القتل ، لكنه سرعان ما تذكر الله ، قال لنفسه أن الله سوف ينتقم لها ، وبعد برهة من الوقت بعدما هدأ من روعه ، عاد إلى الغرفة فوجده نائما على الكرسي وهو جالس فخاف عليه ، وذهب إليه مسرعا وأيقظه وسقاه ماء ، وبعد أن إطمئن عليه .

وليد : إذهب ياعمي لتستريح على الفراش قليلا ، وأنا سوف أظل مستيقظا بجوار منى فقد كان هذا اليوم يوما عصيبا جدا .

نظر له الحاج محمد وذهب إلى السرير ليرتاح قليلا دون أن يتفوه بكلمة .

جلس وليد على الكرسي وجاء بكرسي ثاني أمامه حتى يرخي عليه قدميه ، جلس بجوار منى ، ظل ينظر إليها ، تحدث روحه روحها وتواسيها علي ما أصابها ، يوعدها إن عادت إلى الحياة سوف يعوضها عن كل ماقاسته سعاده وفرحا وهناء ، واغمض عينيه وظل يحلم أنهما صارا زوجين ، يحلم ببيتهما وعشهما الذي يجمعهما ، ظلت الأحلام تراوده وهو مستمتع بأحلامه ، إلى ان غلبه النوم

، فرأى في منامه أن منى تقف أمامه وترتدي ثوبا أبيضا ، استيقظ من نومه فقام منفعلا ظن أن منى أصابها مكروه فذهب مسرعا وتحسس أنفاسها بأصابعه وجس النبض وجهاز القلب فوجدها بخير ، جلس ثانية ،

وليد : لو كان أصابك مكروها لكنت مت خلفك ياحبيبتي ، فقد أتيت لهذه الحياة من أجل حبك أنت فقط ، ثم عاد لنومه ثانية حتي الصباح ، بعد أن إطمئن قلبه أنها بخير.

في الصباح قام والدها ونظر أمامه فوجد وليد خالدا للنوم على الكرسي ، خاف أن يصدر عنه صوت يوقظ وليد ، فظل مسترخيا على السرير وهوينظر له بعين وقلب الأب ، وجد لحيته وشاربه قد كبرا ، فهو لم يحلقهما من وقت ولوج منى إلى المشفى ، وجهه مجهد ، قد صار حول عينيه هالات سوداء من قلة النوم ، قال لنفسه عندما يستيقظ سوف أجعله يذهب إلى منزله ليرتاح قليلا بعيدا عن جو المشفى ، يقص شعره ، ويحلق لحيته ، فهو منهمك .

قام وليد بفتح عينيه ظنا منه أنه لم ينم وأنه قد تخاطفت عيناه بعضا من الراحة فقط ، نظر إلى والد منى وصبح عليه

الحاج محمد : أريد منك طلبا ياولدي .

وليد : طلبك مجاب ياعمي ، ماذا تريد ؟

الحاج محمد : إذهب إلى منزلك اليوم ثم احضر غدا ، أطلب من الدكتور أمجد أن يباشر حالة منى في غيابك ،

الدكتور وليد : لماذا هل فعلت شيئا أزعجك منى ؟

الحاج محمد : لا ياولدي ، بل أنا أريدك أن تستريح من هذا العناء الطويل .

وليد : هذا عملي وأنا معتاد على هذا وأستمتع بوجودي معكم .

الحاج محمد : إذهب وقص شعرك واحلق لحيتك وتسبح وغير ملابسك ، ثم عد ثانية ، إذا لم ترغب في المبيت هناك وأحضر لنا معك بعضا من الطلبات ، لأن أكرم لن يحضر الأيام القادمة لأنه مريض .

وليد : سوف أفعل إن شاء الله ، سأذهب أولا لدكتور أمجد حتى أعرف ظروفه اليوم ، هل عنده عمل أو أي ظرف سيمنعه من المكوث معكم في الغرفة ومباشرة حالة منى .

الحاج محمد : تفضل ياولدي إذهب له ، سوف أقوم أنا أتوضأ وأصلي الضحى .

ذهب وليد إلى زميله أمجد ، دق الباب فأذن له بالدخول ، نظر له أمجد وهو وجهه شاحب ومرهق من شدة التوتر والأرق .

أمجد : مابك ؟ هل أنت مريض ؟

وليد : لا .. لست مريضا ، أريدك أن تباشر حالة منى اليوم ، حتى أعود من المنزل ، سأرحل قليلا لأتسبح واهذب شعري وأغير ملابس وأعود مباشرة

أمجد : سوف أفعل ذلك إن شاء الله .

ذهب وليد ليغير ملابسه في غرفته ويستأذن ويذهب ، قام أمجد وذهب خلفه إلى غرفة منى ، دق الباب ففتح والدها الباب وقام بالسلام على أمجد ، دخل أمجد الغرفة وقام بفحصها والنظر إلى الأجهزة ، وجد كل شئ على مايرام وحالتها مستقرة جدا ، جاء وليد واستأذن من صديقه ومن والد منى وذهب .

بعد خروج وليد من المشفى ، وجد أمجد شفتى منى يكسوها اللون الأزرق ووجهها لونه يتغير ، قام مسرعا من مكانه وذهب نحوها يتحسس أنفاسها ونبضها فوجد أن نبضها بطيء ونفسها يضيق وحالتها الصحية ليست مستقرة ، خرج مسرعا واستدعى الأطباء .. طبيب الجهاز التنفسي ، وطبيب التخدير ، وأمجد طبيب القلب ، والتفوا جميعا حول منى ليقوموا بالإسعافات اللازمة ، رأى أمجد أن حالتها تسوء وجميع الأطباء بجوارها

أخرج أمجد والد منى من الغرفة ، ظل أمجد هكذا يبحث عن سبب لسوء حالتها الصحيه المفاجأة ، وبعد عدة محاولات فاشلة وبعد بضعة سويعات ، عاد وليد فوجد والد منى خارج الغرفة يبكى ، فألقي مابيده على الأرض ، دخل الغرفة مسرعا ، دون أن يسأل أبيها ماذا يجري داخل الغرفة ؟، فوجد جميع الأطباء يلتفون حول منى لإنقاذ حياتها وبعد دقائق من دخول وليد الغرفة ، بدأت حالة منى في التحسن ، وبدأ القلب يستجيب ، وبدأ ضغطها ينضبط ، والتنفس أصبح مستقرا ، فتعجب أمجد لهذا الأمر ، لكنه تيقن أن منى ساءت حالتها عندما ذهب وليد ، وعندما عاد إليها إستقرت حالتها مره أخرى .

نظر أمجد لوليد وابتسم ابتسامة خفيفة .

أمجد : لباقي الأطباء هيا بنا نحن لانقدر على فعل شئ لها

وترك وليد معها ، ثم خرج من الغرفة ، أخذ والدها معه ليتحدث معه ويخبره ماحدث لإبنته ، ويعرف منه حقيقة أمرها ، ذهب معه والدها وهو عنده شغف أن يعرف حالة إبنته ، لماذا لم تستقر ؟

أمجد : منى تشعر بكل من حولها وهي تأثرت تأثرا شديدا بوليد ، لدرجة أنها تشعر به في كل لحظة ، تشعر بأنفاسه وهمساته ولمساته وتشبثت روحها بوجوده حولها ، حتى وهو خارج الغرفة ولكن عندما ذهب من المشفى ، إعتقدت روحها أنه سوف يرحل ولن يعود ، فرح والدها أنه أحس أن إبنته تشعر وتحس بكل ماسيحدث حولها ، وتيقن أن إبنته سوف تشفى قريبا ،

نظر أمجد وقال : أقول لك أن منى روحها تعلقت بوليد .

الحاج محمد : أنا أعرف أنه يحبها أكثر من نفسه ، عندما تفيق سأطلقها من زوجها ، وأزوجها لوليد بعد موافقته هو وأهله .

ابتسم أمجد وفرح فرحا شديدا من أجل صديقه .

أمجد : سوف نفعل كل ما بوسعنا حتى تعود للحياة ، ولكن هذا كله بعد مشيئة الله .

عاد الحاج محمد إلى غرفة منى ، وجد وليد يتحدث معها كعادته وحالتها مستقرة ، كأن جسدها مستسلم للفناء ولكن روحها تسعى للبقاء ، وتركه يحدثها ، ذهب الحاج محمد ليتصل بالشيخ حسن حتى يذهب إلى علاء ويتفق معه على طلاق منى .

لكنه لم يخبر وليد بالأحداث التي تدور في خاطره بل فوض أمره إلى الله ، وذهب دون أن يقول لوليد إلى أين هو ذاهب ، غاب فترة من الزمن ثم عاد مبتسما ، كأنه أزاح جبلا من على عاتقه .

نظر وليد بدهشة وهو يقول له خير ياعمي مابك ؟ أراك مبتسم الوجه ضاحك العينين .

الحاج محمد : غدا ستعرف كل شئ ،

ظل يرسم الأحداث كعادته ولايأخذ رأي أحد بما يفعله ، كأنه الحاكم الآمر ، يتحكم في مصير البشر ، لم يتعلم شيئا من الذي حدث لإبنته بسببه ، نظر له وليد وصمت قليلا ، فوجده ذاهبا إلى دورة المياه ، تذكر وليد الحقيبة التي كانت بيده ،

وليد : قال لنفسه أين الحقيبة التي كانت في يدي عند عودتي فقد تركتها بالخارج ؟! سوف أذهب لإحضارها لأن بها طعام ،

خرج فوجدها أمام الغرفة مثلما وضعها فحملها ودخل الغرفة ، وقام بإخراج محتوياتها ، وأخرج الطعام منها ، ووضعه على المنضدة ، جلس ينتظر والد منى ليأتي من دورة المياه ليتناول معه الطعام ، خرج والد منى من دورة المياه ، وجد الطعام على المنضدة ، فجلس وأكل مع وليد ، ثم قام وتوضأ وصلى العشاء ثم شربا الشاي معا وجلسا يتحدثان في مواضيع عدة بكل حب وود ، مثل أي أب وابنه ، ظلت منى كما هي جسد بلا روح .

بعد مرور أيام جاء الشيخ حسن ليطمئن على منى وصديقه ومعه أشرف .

أخذهم الحاج محمد وذهب معه إلى الإستراحة ليعرف منه ماحدث بينه وبين علاء ، ترك أشرف مع وليد ، فأخذه وليد معه إلى غرفة الأطباء ، بعد أن أحضر ممرضه لتجلس مع منى ، فترة غيابه هو ووالدها .

جلس أشرف مع وليد في غرفة الأطباء ، نظر وليد فوجده شارد الفكر ، يريد أن يتحدث ، لكنه لا يعرف من أين يبدأ الحديث ، فبدأ وليد الحديث معه ، سأله عن دراسته وهواياته ، أراد أن يفتح له قلبه ، يروي له قصة حبه لمنى

وليد : هل تكين فى ثنايه قلبك الحب لمنى، نحن شباب ونفهم بعضنا البعض،

أشرف : أحبها مثل أختي ، هي متزوجة ، لايصح أن نتحدث عنها وهى مريضة ،

غضب أشرف من تلميحات وليد له ، وهو لايعلم أن نيران الغيره تشتعل داخل وليد كلما رآه ، صمت وليد ولم يتحدث ، طلب لهما ، شايا وأرسل شايا للحاج محمد وللشيخ حسن في الإستراحة .

أشرف : لماذا تهتم هكذا بمنى ؟ ومن أين تعرفهم

وليد : هي زوجه ولا يصح أن نتحدث عنها ، وهي مريضة .

أشرف : هل ترد لي كلامي ؟

وليد : نعم ، كنت أرغب أن نكون صديقين ، لكنك ترفض صداقتي .

أشرف : لم أقصد ، لكن منى مثل أختى ، وأنا لا أحب أن يتحدث عنها أحد ، فأعجب وليد بأشرف وبتفكيره

وليد : عندك حق ، ثم جلسا معا يتحدثان في مواضيع عادية لتضييع الوقت ،

فجأة نهض وليد وأسرع بالقول : قد تأخر عمي محمد ووالدك ، سوف أذهب إلى منى ، لأطمئن أن الممرضة لم تتركها وحدها ، المكتب مكتبك سوف أعود مسرعا لا تقلق ،

خرج من المكتب متجها إلى غرفة منى ، سمع صوتا عاليا في الإستراحة ، والناس تقف بالطرقه تستمع ، كان الحاج محمد يتحدث بصوت عال ويهدد ويتوعد ، يقول إن لم يطلقها سوف أدمر مستقبله ، كيف يرفض طلاقها بعد ما فعله بها ، والشيخ حسن يحاول تهدئته ، وهو لايهدأ .

وليد : ياحاج محمد إن المرضى وزووهم انزعجوا من صوتكم لايصح هذا ، وقال للشيخ حسن أتركه حتى يهدأ وبعدها نتحدث معه .

ترك الحاج محمد وليد والشيخ داخل الإستراحة ، وخرج مسرعا إلي خارج المشفى ، خرج خلفه الشيخ حسن ووليد مسرعان خوفا عليه ، لكنهما لم يعثرا عليه خارج المشفى ، أو حولها ، كأن الأرض انشقت وابتلعته ، فعادا هما الإثنان وجلسا معا في المكتب مع أشرف يتحدثان فى الموضوع .

وليد : أنا خائف على الحاج محمد .

الشيخ حسن : لا تخف هذه عادته عندما يتعصب يخرج إلى نفس المكان ، منذ أن كنا صغارا ، عندما كان يتعصب يذهب إلى شاطئ النهر ، بعد أن يهدأ سوف يعود لاتقلق ياولدي، إذهب أنت إلى منى ، نحن سوف نذهب إلى القرية حتى لانتأخر ، سوف أعود هنا في الصباح الباكر ، حتى أطمئن عليه ، خذ ياابني رقم هاتفي حتي تطمئنني عليه عند وصوله من الخارج ، أنا سوف أنتظر بجوار الهاتف لاتنسى ياولدي .

وليد : كيف أنسى ياعمي ؟ إطمئن عند وصوله سأتصل بك أكيد .

خرجوا جميعا من المكتب ، وليد إلى غرفة منى ، والشيخ وأشرف إلى خارج المشفى ليذهبوا إلى بيتهم .

الشيخ حسن : أشرف اذهب أنت يا ولدي لتطمئن أمك وأختك ، أنا سأظل هنا حتى يعود عمك محمد .

ذهب أشرف وترك والده على باب المشفى يبحث عن صديقه ، بحث يسارا ويمينا حول المشفى وفي الحدائق المجاورة للمشفى ، لم يعثر له على أثر ، فعاد إلى باب المشفى ثانية وهو قلق ويحدث نفسه ويفكر في صديقه أين ذهب ، بعد وصوله إلى باب المشفى طرق في مخيلته وراوده الشيطان بأفكار سيئة وقال لنفسه ربما عاد إلى البلد ، أوقف تاكسي وصعد فيه مسرعا ، كأنه يسابق الزمن ، عند وصوله إلى منزل صديقه ، نزل من التاكسي ، دفع له الحساب ، وقف ينظر ويستمع ، لكنه وجد الحديقة مظلمة ، والمنزل في سكون وهدوء ، كأنه سكون القبور ، لا أحد يصدرعنه أي صوت ، فهدأ قليلا ، لكن الحيرة تأكل عقله وقلبه ، يقول لنفسه أين ذهب في مثل هذا الوقت من الليل ، سارت قدماه بخطي بطيئة نحو النهر الذي أمام المنزل ، إلتفت يسارا ويمينا ، وجد نورا خافتا من بعيد على ضفاف النهر ، أسرع إليه مهرولا فهو لايشك لحظة أنه ليس بصديقه ، وجده يجلس في نفس المكان الذى اعتاد الجلوس به عند ضيق حاله ، أو عند اتخاذ قرار ما ، عند سعادته ، هو يحب أن يتحدث مع الماء ويناجي ربه في هذا المكان دون البشر ، يعشق العزلة عندما يمر بأزمة نفسية ، وقف خلفه لدقائق وهو لا يشعر به ، ثم جلس على يمينه مثلما اعتاد الجلوس بجواره دون أن ينطق لسانه بكلمة واحدة ، نظر إليه فوجده يبكي فلم يتحدث وظل الصمت يعشش على من حولهم ويشتكي الصمت من صمت الصمت ، لكن صرخات أنين قلبه تدوى في المكان ، يسمعه من يعلم نبرات صوت قلبه ، جاء من بعيد كروان يشدو ويسمع الكون صوته وتسابيحه أن الكون له إله هو الذي يدبر كل شئ فيه وكل شئ يحدث في الكون هو من تدبير الله ، بعد سماعهم تغريد الكروان نظر إلى صديقه .

الشيخ حسن : هل رأيت ياصديقي لقد بعث الله لك بهذا الكروان ليذكرك بربك وبقضائه ورحمته فاقت كل شئ ، قام بذكر الله قائلا (لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع) .

ألقى الحاج محمد بنفسه بين أحضان صديقه وكأنه يلقي بهمومه في جعبة سهامه ، ظل يبكي بين أحضان صديقه بدموع مثل حمم البراكين ، بعد أن هدأ من روع صديقه .

الشيخ حسن : هيا ياصديقي نذهب إلى منزلي لتنام معى اليوم وفى الصباح إذهب لإبنتك ، لا تستعجل الأحداث وانتظر حتى تفيق منى من غيبوبتها ، ويشفيها الله من جروح نفسها ، سوف يفعل الله مايشاء .

الحاج محمد : كيف يا أخي أنام بعيدا عن منى وأتركها وحدها ؟ سوف أذهب إليها لأن وليد سوف يقلق على .

الشيخ حسن : نعم يا أخي إنه رجل إبن حلال ، بعد رحيلك بحثنا عنك في كل مكان ولم نعثر عليك ، فهو ظل واقفا أمام المشفى لا يرغب بالدخول حتي يطمئن عليك.

الحاج محمد : نعم ياصديقي أنا أعلم فالشدائد تبين معادن الناس ، وهذا الشاب معدنه كريم ، هيا ياصديقي حتى أذهب وأطمئنه ، اعتذر منك لأني سهرتك طويلا ، فأنت تحب أن تنام بعد صلاة العشاء حتى تستيقظ لقيام الليل وصلاة الفجر .

نظر له الشيخ حسن وقال ماذا تقول ؟! ألسنا أخوة وأصدقاء طول العمر .

الحاج محمد : بل أكثر من أشقاء فأنا عندي أربع أشقاء لكن ليس لهم وجود في حياتي ، أنت عندي بجميع أشقائي ، لولا خوفي من قطع صلة الأرحام لقاطعتهم ماتبقي من حياتي ، لولا وصية أمي لي لكان لي معهم شأنا آخر ، ولكن يكفيني أنت فوق رأسى .

بكي الشيخ حسن وبسط ذراعيه وأخذه في حضنه وذهب به إلى باب سيارته وصعد فيها وأغلق الباب .

الشيخ حسن : أستودعك الذي لا تضيع ودائعه ، إذهب يا أخي في سلامة الله وعلى بركته ، ولا تفكر في شئ غير صحة منى .

نظر له الحاج محمد وقاد سيارته وذهب متجها إلى المشفى ، ذهب الشيخ حسن إلى منزله وبعد وصوله إلى منزله فتح الباب فوجد أشرف يقابله على باب الشقة وفي عيونه أسئلة كثيرة يريد لها أجوبة ، نظر له والده وقرأ مايدور بخاطره .

الشيخ حسن : تعال معي يابني أريد أن أتحدث معك في أمر مهم جدا يخص مستقبلك .

اشرف : لكنك مجهد يا أبي .

الشيخ حسن : نعم مجهد ، لكن يتبقي ساعة على صلاة الفجر سوف أجلس وأتحدث معك فيها ، بعد صلاة القيام لأني لم أصلها فقد كان يوما صعبا وعصيبا .

أشرف : تفضل يا أبي سوف أنتظرك في غرفة المكتب أو في غرفتي .

الشيخ حسن : سوف أحضر إلى غرفتك فاسبقني وسوف أحضر خلفك .

فدخل أشرف وزادت بداخله الحيرة والأسئلة التي يريد لها أجوبة ، ذهب والده بعد إنتهائه من الصلاة ودخل الغرفة ، جلس بجوار أشرف على السرير ، نظرفي عين إبنه

ثم قال كل ماتريد أن تسأل عنه لا يخصنا بشئ ، كل هذه الأمور تخص عمك محمد ، هذه أسراره ولا يصح لأحد الإطلاع عليها دون علمه .

أشرف : منى تخصني .

الشيخ حسن : منى تخص أبيها وزوجها فقط ، أنت ليس لك وجود في حياتها ، كان حب من طرفك أنت فقط ، وأنت تعلم هذا هي كانت صغيرة ، كانت تحبك مثل أخيها ، هي حتى الآن لاتعلم مامعنى الحب ، ما أصابها كان قدرها يا ولدي ، سامحني يا ولدي أنا أحبك ، وأخاف عليك ، لا أريدك أن تبني قصورا علي الرمال ، تأتي موجة تهدمها وتهدمك معها ، تقبل الوضع يا بني ، أمح منى من ذاكرتك .

أشرف : عمي يريد أن يطلقها .

الشيخ حسن : إن كتب لها عمرا جديدا ، وخرجت من أزمتها فهناك من يستحقها أكثرمن أي أحد ، الدكتور وليد .

أشرف : من قال لك هل هو حدثكم في شئ ؟! .

الشيخ حسن : لا، بل قرأتها في عينه وفي نبرة صوته حينما يتكلم عنها ، هو أحق بها فادع لها أن تعود للحياة مرة أخرى ، ليفعل الله مايريد ، أما ماجئت أحدثك فيه ، أن تفكر في خطبة بنت أخرى ، وأريدك أن تفكر في الأمر .

أشرف : هل اخترتها ؟ ومن هي ؟

الشيخ حسن : ملك أخت الدكتور وليد هي بنت أصل وجميلة ومهذبة ، لاتقل عن أختك منى وكريمة في شئ .

نظر له أشرف وصمت ولم ينطق بكلمة ، تركه الشيخ حسن وقام لصلاة الفجر ، قائلا له فكر في كلامي ، وقام من جواره وذهب إلى المسجد لصلاة الفجر ، بعد الإنتهاء من الصلاة عاد للمنزل ، دخل غرفته ليخلد للنوم .

بعد وصول الحاج محمد إلى المشفى ركن سيارته أمام المشفى ، وجد وليد واقفا أمام المشفى ، يلتفت يمينا ويسارا يبحث عنه ، ينتظر قدومه ، ذهب له .

الحاج محمد : ما الذي جعلك تقف هنا ياولدي ؟

وليد : كنت قلقا عليك ، أين ذهبت ياعمي وتركتنا هكذا ؟

الحاج محمد : كنت في القرية .

وليد : هل قابلت الشيخ حسن ؟

الحاج محمد : نعم ، كان معي إطمئن يابني ، هيا لندخل ، كيف حال منى ؟

وليد : بخير ، حالتها كما هي مستقرة ، لكن ماذا حدث ؟

الحاج محمد : لا تشغل بالك فكل شئ سوف يصلحه الله ، هيا لأني متعب جدا سأصلي الفجر وأستريح بعض الوقت لأن عقلي سوف ينفجر ، أريد منك يا بني دواء مسكنا للصداع ،

وليد : بعد صلاتك أجهز لك الدواء والإفطار وكوب شاي ، بعدها أتركك تخلد للنوم .

الحاج محمد : لا أرغب في الطعام بل أريد الدواء فقط .

وليد : اشرب كوب اللبن وبعدها أعطيك الدواء .

نظر الحاج محمد له نظرة كلها حب وحنان الأب الذي يرى إبنه يخاف عليه وعلى صحته ، وابتسم ووافق على شروط وليد ، بعد صلاته جاء له بكوب من اللبن فشربه ، أعطاه المسكن ، وتركه يذهب إلى السرير ليخلد للنوم ، جلس وليد كعادته بجوار منى على الكرسي الذي بجوارها ينظر إليها وتخاطب روحاهما بعضها البعض ، يتحدث معها بنظراته وهمساته ولمساته وتنهيداته التي تكاد تشق صدر والدها عند سماعه إياها .

بعد بضعة ساعات دق باب الغرفة ، قام وفتح الباب ، وجد أخته قد جاءت دون أن يطلب منها أن تأتي .

وليد : مالذي أتى بك اليوم هل والدتك ووالدك وأخوك بخير .

ملك : نعم هما بخير ، لكني جئت لأطمئن على منى وعليك .



وليد : حسنا أدخلي واجلسي قليلا دون أن تتحدثي ، لأن حالة منى غير مستقرة ، عمك محمد نائم فلا توقظيه .

ملك : سوف أجلس صامتة يا أخي ،

جلست ملك على الكرسي الذي بجوار منى ، ولم تنظر حتى إليها ، لأنها لم تأت لتري منى بل جاءت لتملأ عينيها وقلبها بالنظر إلى أشرف ، فهي تتمنى أن ترى حبها في المكان التي رأته فيه أول مرة ، كلما يدق الباب يدق قلبها معه ، نظر أخوها لها فوجدها مرتبكة ومتوترة وعينيها زائغتين ، أمسك بيديها ليسألها مابها ، وجد يديها باردتين كالثلج .

وليد : مابك يا أختي ؟

ملك : لاشئ .

وليد : إنك لست طبيعية ، هذه ليست عادتك ، لماذا عيونك زائغة ، ونبضاتك سريعة ، نفسك يضيق ؟ هل أنت مريضة ؟

ملك : نعم ، حتي تخبئ مابداخلها .

وليد : تعالي معي إلى الدكتور أمجد يفحصك ، من أجل الإطمئنان عليك .

ملك : لا يا أخي أنا سوف أتحسن الأن .

وليد : لا هيا بنا أكشف عليك ، وأعمل لك بعض الفحوصات ، قامت معه ، ذهبت إلى الدكتور أمجد وفحصها .

أمجد : إنها بخير ، ولكي نطمئن أكثر إعمل لها بعض التحاليل ، إعمل رسم قلب لأن ضربات قلبها سريعة ،

فقلق وليد قلقا شديدا على أخته وأخذها وعمل لها كل التحاليل والإشاعات ورسم القلب ، وجد أن كل شئ بخير ، فاطمأن أن ليس عندها مرض عضوي ، قلق أكثر لأنه تأكد أن أخته تفكر في شئ كبير يسبب لها الأرق .

وليد : هيا لتسلمي على عمي وتطمئنى على منى وتذهبي حتى لاتقلق والدتك عليك .

ملك : هيا يا أخي .

ذهب وليد وهو يحتضن أخته بذراعه ، وضع يده على كتفها وسارا معا في الطرقة المؤدية إلى غرفة منى .

نظرت ملك أمامها فوجدت الشيخ حسن ومعه أشرف وهم قادمين في أول الطرقة فإحمرت وجنتيها ، نظرت إلى أخيها

ملك : أتركني بعضا من الوقت مع منى ثم أذهب مباشرة يا أخي ، نظر لها وجد وجهها ضحوكا وعينيها لامعتين ، فتعجب !

وليد : لنفسه ماذا أصاب ملك ؟ ثم اقترب من الشيخ حسن .

نظر الشيخ حسن فوجد ملك مع أخيها ، قال لأشرف هذه ملك يابني أنظر إليها جيدا وفكر في الأمر الذي قلته لك فنظر له أشرف وهز رأسه هزة خفيفة ، وبعد إقترابهما من بعض تسمرت قدم منى في مكانها ، سلم عليها الشيخ وسلم على وليد وفتح الشيخ مع ملك مواضيع ، حتى يتمكن إبنه من النظر إليها ، ظل يسألها أسئلة كثيرة ، لاحظ وليد أن أخته معجبة بالحديث مع الشيخ ، نظر لها وجدها تسرق نظرات من أشرف ، أشرف يسرق نظرات منها .

وليد : اذهبي وأبلغي عمك محمد أن الشيخ حسن وإبنه هنا ،

نظرت لأخيها وذهبت وهي غاضبة ، كانت تتمنى الوقت ، يطول ، لتظل واقفة أمام أشرف حتى تنبهه بوجودها ، وقف الشيخ مع وليد هو وإبنه يتحدثون معه ليطمئنهم على منى .

ذهبت ملك إلي غرفة منى ، دقت الباب ، قام والد منى بفتح الباب .

ملك : عمي الشيخ حسن وإبنه ينتظرونك بالخارج مع أخي .

الحاج محمد : إبق هنا يابنيتي وسوف أرسل لك الدكتور وليد ، سأذهب لأراهم و أجلس معهم قليلا ،

ذهب وتركها مع منى ، جلست بجوارها ، نظرت لها وكأنها أختها أو صديقة مقربة لها وحدثتها بصوت خافت

تقول لو أنك كنتي مستيقظة لأخرجت مابداخلي بين أحضانك ، فليس لي أخت وأنت ليس لك أخت ، قد أحببتك من أول يوم رأيتك به وكأني أعرفك من زمن بعيد ، لكني سوف أتحدث معك وأخرج ما بداخلي لعلي أستريح من الألم الذي بصدري ، أنا أحب أشرف قريبك من وقت ما رأته عيني فقد همس بإسمه قلبي ، اشعر أني خلقت له وهو خلق لي ، ولكنه لم ينظر لي ولا مرة واحدة ، لا أعرف كيف ينفطر قلبي عندما أشعر بوجوده في نفس المكان الذي أتواجد به ، وظلت تتحدث .

فتح وليد باب الغرفة ولم يحدث صوتا ، فلم تشعر بدخوله ملك فظلت تتحدث مع منى ، وهي لا تعلم أن أخيها يسمع كلامها ، فعلم وليد أن سبب توتر ملك هو أنها بدأت تشعر بالحب تجاه أشرف ، خرج مثلما دخل ولم يشعرها بوجوده حتى لا يحرجها ويجعلها تخاف منه .

وليد : سوف أنتظرها فهي سوف يجئ اليوم الذي تروي لي كل الحقيقة ،

وبعد خروجه من الغرفة ، دق الباب فتنبهت ملك لنفسها ، قامت وفتحت الباب فوجدته وليد .

وليد : ألم يئن الأوان لرحيلك ياصغيرتي .

ملك : تتمنى أن يبقيها بعضا من الوقت حتى تأتي فرصة أخرى لتملأ عينيها من أشرف ، ويمتلئ صدرها برحيق زفيره ، يهمس قلبها بنبضاته ، ليروي جفاف مهجتها : دعنى قليلا

وليد : لا .. هيا لأوصلك إلى باب المشفى وتركبي تاكسي حتي أطمئن عليك ، وتصلين للمنزل قبل الليل وقبل الظلام ،

ظلت تتوسل له أن يبقيها بضعة دقائق ، لم يسمع كلامها وتمسك برحيلها قبل الليل ، نادي على ممرضة لتجلس مع منى حتى يعود ، ثم أخذ أخته في يده ليوصلها ويطمئن عليها ، وهما في طريقهما إلى باب المشفي سارا في صمت كل منهم يفكر في ماهو بداخله ، لأنه يشعر أن أشرف يحب منى ، فكيف يحب ملك ؟ ظل يحدث نفسه ولم يشعر بوصوله إلى باب المشفى ، بعد أن إستعاد وعيه أوقف تاكسي وقبل صعودها إلي التاكسي قبلها بكل حب وحنان وتمنى لها السلامة وأغلق باب التاكسي .

ذهبت ملك وتركت وليد في حيرة ، أولا بمرض منى وحبه الشديد لها ، وثانيا أخته التي سوف تذوق عذاب الحب من طرف واحد ، ويحترق قلبها مثلما إحترق قلبه قبل سابق ، بعد وصوله إلى غرفة منى دخل

ثم قال للممرضة : في إمكانك الذهاب ، فأنا سوف أجلس معها

فذهبت ، وتركته شاردا مثل عصفور جريح ترفرف روحه من شدة الألم ، جلس بجوار منى .

وليد : هل سمعت ماقالته ملك ؟ هل كتب علينا أنا وأختي أن نتذوق مرارة الحب وعذابه ؟ ألن تفيقين ياحبيبتي وتعودين إلى الحياة ؟ أنا احتاجك معي وبجواري حتى أقدر على تحمل الصعاب أكثر من ذلك ، أعلم أنك لست مقدرة لي ، لكن يكفيني أنك على قيد الحياة ، يكفيني أني أستنشق الزفير الذي يخرج من صدرك حتى ولو كنت في بلد غير البلد ، لأحيا من جديد وتعود روحي إلى الجسد الذي تركته ، روحي ذهبت مع روحك يسبحان بين السماء والأرض ،

ظل يتوسل لها أن تعود للحياة ، وكأن الأمر بيدها لم يعلم أن روحها تتمنى أن تخلد للجسد الذي فارقته ، حتى يضمها جسده وتضع رأسها علي صدره وتغمض عينيها وتنسى نفسها داخل هذا الحضن ، هي تشعر بكل همسة يهمسها وتسمع كل كلمة ، وتستنشق زفيره وتحس بكل لمسة ، لكن جسدها رافض أن يعود إلى الحياة خوفا من عذاب الغيب الذي ينتظره ، ظل يتحدث معها وهو متأكد أنها تشعر به .

وصل الحاج محمد ودخل الغرفة وهوفي حيرة ، نظر له وليد ووجد في عينيه كلاما .

وليد : مابك ؟ وهل يوجد شئ يؤرقك .

الحاج محمد : تعال بجواري أريد أن أتحدث معك في أمر مهم جدا .

وليد : أمر ماذا ؟ هل يوجد مشاكل أو هناك شيئا خطيرا ؟

الحاج محمد : لا ، بل إقترب بجواري لتسمع وتعرف كل شئ .

وليد : قل لقد زرعت بداخلي الشك والأرق والتوتر ، ماذا بك ؟

الحاج محمد : بعد أن ذهبت وتركتني أنا والشيخ حسن ذهبنا معا إلى الإستراحة لنتحدث معا بعيدا عن منى ، ومعنا أشرف إبنه .

وليد : تكلم ياعمي مالأمر .

الحاج محمد : إن له رجاء عندك ويريدك أن تفكر فيه .

وليد : تكلم ياعمي ، ماذا يريد الشيخ حسن ؟

الحاج محمد : يريد أن يطلب يد ملك لأشرف إبنه ، صدم وليد من الحديث ، ظل صامتا بضعة دقائق.

الحاج محمد : مارأيك ياولدي.

وليد : كيف ياعمي وأنت تعرف أن أشرف قلبه مشغول بأخرى ؟

الحاج محمد : ماذا تقصد يابني ؟

وليد : أنا شاب وأشعر بالشاب الذي مثلي وأفهمه من نظرة عينيه ولهفته .

الحاج محمد : أتقصد منى .

وليد : نعم ياعمي .

الحاج محمد : نعم يابني هو يحب منى منذ أن كان طفلا ، لكنه القدر .. لم يرغب أن يتزوجها .

وليد : القدر هو الذي لم يرغب أم أنت ؟

الحاج محمد : لِمَ تذكرني يابني وتشعل ناري من جديد أتركها خامدة حتى تفيق منى ، وسوف يعينني الله على إصلاح ما أفسدته ، فكر يابني ، أشرف مثل ابني وملك مثل منى وربي يشهد بهذا ، أشرف مازال صغيرا وسوف ينسى حب منى بحبه لملك ، الإثنان يستحقان بعضهما البعض .

وليد : سوف أفكر بعد أن أجلس مع أشرف وأتحدث معه أولا ، ملك أختي الوحيدة ، أنا أريد سعادتها وراحتها مع الشخص الذي يحبها ويسعدها .

الحاج محمد : نعم الرأي ياولدي ، هو سوف يأتي غدا خذه واجلسا معا في مكان خارج المشفى وتحدث معه ، وسوف تعلم أني أصدقك القول ، أشرف تربيتي أنا ووالده الشيخ حسن ، يحفظ القرآن كاملا ، لايعرف بنات ، ملتزم في صلاته وملتزم في كل شئ ، لا يتخير عنك ياولدي .

وليد : سوف أجلس معه بعد أن تشفي منى وتعود للحياة .

الحاج محمد : لا ياولدي منى لا أحد يعلم إن كانت سوف تعود للحياة أم لا ، لاتؤجل الفرحة ياولدي لعل الله يكتب لكم الفرح جميعا .

تعجب وليد من حديث الحاج محمد ، نظر له ،

وليد : إن شاء الله ياعمي ، أتركني أفكر في الموضوع أولا ، ولكن ياعمي هذا كلام الشيخ حسن معك ، أين كلام أشرف ؟

الحاج محمد : أشرف كان جالسا معنا وإن كان كلامنا لم يعجبه لعارض والده ، فهو يحترم والده كثيرا ويعلم أننا نريد له الخير ، وملك عروسة مناسبة لأشرف فهما متقاربان في العمر ومتعلمان مثل بعض وملك بنت ذكية ، وسوف تعرف كيف تجعل أشرف يحبها ، سوف تكون هي أول وآخر حب له ، أنت تعلم يابني حب المراهقة هذا ليس بحب ، أشرف كان مبهورا بجمال منى فقط ، هو حتى لم يتحدث معها مرة واحدة ، أنا أعلم كل شئ من زمان ، لكن النصيب هو الذي فعل بنا ذلك وربنا يسبب الأسباب ياولدي ، لا نعلم الخير أين !! تفاءل خيرا ياوليد ، هيا قم لتنام وأترك حمولك على ربك ، سوف يرتب لك أمرك وأمرنا جميعا ، أنا سوف أسهر مع منى اليوم ، إن حدث شيئا سوف أخبرك فورا ، هيا يا ولدي أنت تعبت اليوم مع أختك ، لكن إنتظر نحن لم نتعش ولم نأكل شيئا في الغداء هيا نأكل أي طعام خفيف معا ونشرب شايا وبعدها قم ونم .

وليد : لا ياعمي لا أرغب في الطعام ، كل أنت وأنا سوف أصلي العشاء وأخلد للنوم .

الحاج محمد : لا لن أتركك قبل أن تأكل شيئا أو تشرب كوبا من اللبن سوف أضع لك كوبا من اللبن إشربه يابني ، سوف يهدئ أعصابك قم ونم ، قام وأعد له كوبا من اللبن وأحضره لوليد ، كأنه ابنه ، نظر وليد بحب وشغف الإبن لوالده وأخذ منه اللبن إنحنى على يده وقبلها وأخذ منه اللبن ، قام الأب بتقبيل جبينه وشرب اللبن ثم ذهب للسرير ونام بملابسه ، وكأن روحه لم تخلد للنوم منذ زمن بعيد ، وفي ثوان كان وليد قد ذهب مع الملائكة ونام نوما عميقا ، وكأنه يدفن همومه وآلامه وأوجاعه بين أحضان وسادته .

ظل الحاج محمد مستيقظا ينظر تارة لمنى وتارة أخرى لوليد ، هو يحلم ويرسم الأحلام ، تراوده أحلام اليقظة أن منى أفاقت وشفيت من مرضها وخرجت من أزمتها ، حلم بيوم زفافها هي ووليد وظل يتوعد أنه سوف يقيم لها فرحا سبع ليالي ، سوف يذبح العجول ، يطعم المساكين ، أهل السبيل ، يطعم أهل البلدة جميعا ، ظل يحلم ويداعب النوم عينيه رويدا رويدا ثم خلد للنوم وهو جالس على الكرسي المجاور لمنى مثلما كان يجلس عليه وليد .

في الصباح إستيقظ وليد على دق باب الغرفة ، وجده الدكتور أمجد ومعه دكتورة لون بشرتها قمحي وشعرها أسود ، متوسطة الطول ، نحيفة ، ولون عينيها أخضر .

وليد : من هذه السيدة ؟

أمجد : زوجتي دكتورة سماء ، أنت تعرف أن زوجتي طبيبة أمراض نساء وتوليد جئت بها لتفحص منى ووتطمئننا عليها ، لأنها من يوم أن فكت السلك وهي تنزف ولا نعلم من أين هذه الدماء ، وأنا أخاف أن يكون أصاب رحمها مكروه ، فتحدثت مع سماء لفحصها ، قبل أن تذهب إلى المشفى التي تعمل بها .

قامت الدكتورة سماء بفحص منى وساعدها والدها ، فوجدت أن الرحم به شئ ، لكن لاتعرف ماهو سببه ، فكتبت لها على مقويات وحقن وفيتامينات ، نظر لها أمجد فوجدها متوترة وعصبية وتريد المشاجرة معهم .

أمجد : إهدئي .

الدكتورة سماء : كيف أهدأ ؟ أنت لم تر مارأيت ، أنا أنثى مثلها قبل أن أكون طبيبة وأشعر بما تشعر به الآن ، قامت بالتعدي بالقول ، قالت من هذا الحيوان الذي فعل بها هذا كله .

أمجد : هيا الآن إذهبي إلي عملك ،

أخذها في يده وترك الغرفة مسرعا قبل أن تخطئ في والد منى ، فهي لاتعرفه ولاتعرف طباعه ، إعتذر بالنيابة عنها ، وأخذها وذهب من الغرفة ، وبعد خروجهما نظر إليها ونظرت إليه فوجدته غاضبا جدا ، وتركها على باب الغرفة وذهب إلى مكتبه ، ذهبت خلفه لتتحدث معه وتعرف منه حكاية منى ، وقبل وصولها إلي مكتبه ، وقامت بأخذ أجازة من عملها ، فقد رقت نفسها لمنى وتعاطفت معها ، أو أن فضولها كأنثى أقوى من فضولها كطبيبة ، ذهبت ودقت الباب على زوجها خوفا منه ، فأذن لها بالدخول فدخلت الغرفة ، أغلقت الباب خلفها .

الدكتورة سماء : ما الأمر الذي أزعجك .

أمجد : ألم تقدري على أن تصمتي حتى نخرج من الغرفة ، ثم أجيبك على أسئلتك كطبيبة لا كزوجة ، لأن هذه أسرار مريضة ، ليست للتسلية ومحادثة السيدات .

قالت الدكتورة سماء : أعذرني عندما رأيت طفولتها نهكت وأنوثتها ذبحت ، أنت لاتعرف حقيقة ماوجدت عند فحصي لمنى .

أمجد فى ذهول : هل مني حامل؟

الدكتورة سماء : نعم ، هذا ما أفقدني السيطرة على أعصابي ، فوضعت نفسي مكانها ، فانهرت وفعلت مافعلت دون أن أتحكم بأعصابي ، سامحني أرجوك .

أمجد : أنا قلت لك أنها في غيبوبة من يوم إجراء العملية ، لم أقل لك عن ظروف مرضها ، فهذا ليس من حقي بل من حق والدها فقط.

الدكتورة سماء : يجب أن أعرف كل التفاصيل حتى أستطيع مساعدتها .

أمجد : إذهبي إلى أبيها وحاولي أن تمسكي أعصابك في حديثك معه، فهو الذي يعلم كل شئ عن أي موضوع .

الدكتورة سماء : تعال معي .

أمجد : لن أستطيع الذهاب معك ، عندي عمل كثير ، إذهبي أنت ، حتي لا أحرج عم محمد .

ذهبت الدكتورة سماء إلى غرفة منى ، دقت الباب ، فتح وليد فوجدها ، فاستأذنت بالدخول فأدخلها فدخلت وهي مكسوفة من نفسها واعتذرت منهم جميعا ، بررت عصبيتها –

بقول : سامحوني عندما رأيت جرحها لم أتمالك نفسي ، فهي مازلت طفلة على هذا العذاب كله ، وقد عدت مرة أخرى لمساعدتها ، إذا لم يكن لديكم مانع .

الحاج محمد : هل حالتها خطيرة يادكتورة ؟ هل أصيب رحمها بمكروه .

الدكتورة سماء : يجب عمل سونار على الرحم حتى نعرف ، لكن لابد من إعطاءها الحقن والفيتامينات التي كتبتها لكم .

وليد : ماهي الظروف التي تمر بها منى !؟ هل أغتصبت ؟

الحاج محمد : لا يادكتورة هي متزوجة .

الدكتورة سماء : كيف ؟ هذه مازالت طفلة ! لايجدر لأحد على زواجها في هذا السن .

الحاج محمد : أنها في سن الزواج ، هي معها بطاقة شخصية حتى يخلي مسئوليته .

وليد : أنها فتاة ليست بطفلة .

دكتورة سماء : لكني أراها طفلة ، سكت الإثنان ولم يتفوها بكلمة ،

نريد منك عمل اللازم للإطمئنان عليها .

الدكتورة سماء : سوف أفعل كل شئ ولكن ربنا يسترها ، ثم تركتهم وذهبت وهي في حيرة من أمرها.

خرج وليد خلفها ليطمئن قلبه بعد أن شعر أن كلامها له معنى أخر .

وليد : هل مني حامل ؟

الدكتورة سماء : نعم ، والحمل خطر عليها ، في مثل هذه الحال .

وليد : هل قلت لأمجد ؟

دكتورة سماء : نعم .

وليد : لي رجاء عندك لاتبلغي أحد بذلك الخبر حتى نجلس أنا وأمجد ونعثر على حل لهذا الموضوع

الدكتورة سماء : ألم تقل إنها متزوجة .

وليد : نعم ، لكن الحمل سوف يعجل بإنهاء حياتها .

دكتورة سماء : لن أقول لأحد ، سوف أتابعها بنفسي وتركته وذهبت ، فوقف مصدوما من سماع هذا الخبر .

بعد لحظات جاء أشرف فتمالك نفسه حتى لايشعر بشئ ، سلم عليه .

أشرف : قد أتيت لأتحدث معك في موضوع يخص ملك ويخصني

فأخذه إلى مكتبه ، خوفا من أن يشعر بشئ ، أو أحد يسمع حديثهم ، ذهب به إلى تراس الغرفة وجلسا بعيدا عن الناس ، نظر له وليد فوجده ينظر إلى الأرض .

وليد : مابك ؟ هل أجبرك أحد على الحضور والحديث معي، نظر له أشرف بصمت عدة دقائق .

وليد : هل جئت لتسمعني صمتك ؟ تكلم وإن لم ترغب بالحديث هيا نقوم .

أشرف : أنا أتيت لأطلب يد أختك .

وليد : كيف ؟! .. أنا أشعر أنك بداخلك عاطفة لفتاة أخرى .

أشرف : أتقصد منى ؟! .

وليد : نعم منى أنت تحبها .

أشرف : كلنا في المنزل نحب منى نحن في منزلنا لم يخل يوما من ذكر إسمها ، أبي كان سببا في ذلك

وليد : كيف كان سببا في ذلك ؟

أشرف : عندما كان يعود من عند والدها فلا حديث غير ذكر منى وتصرفاتها مع والدها ، لدرجة أن أختي كريمة كانت تتفنن في عمل كل شئ لأبي مثلما كانت تفعل منى مع والدها ، حتي ترضي أبي ، فكيف لايجدر بي أن أغلق أذني عن ما أسمع من والدي ، أعجبت بها وكنت أذهب لأراها من خلف الجميزة وهي تلعب مع كلبها في الحديقة ، تسقي الزرع ، تهتم بحديقة منزلها ، كانت شعلة نشاط ، جمالها وسحرها الملحوظ ،

ينظر له وليد والنار تتأجج منه غيرة على حبيبته ،

وأنا لم أتحدث مع فتاة مطلقا ، ولم أفكر غير بمنى لصلتها بنا ، وكنت مطمئنا أني سأتزوجها ، لكن النصيب حال بيني وبين هذه الأمنية ، لكن عندما تحدثت مع والدي فقام والدي بتحليل شعوري لمنى وأن ما أشعر به ربما ينبع من عاطفة سن المراهقة ، لأني لم أتعامل مع أي فتاة في حياتي ، حتى منى عمري ماتحدثت معها مطلقا بل كنت أخجل أن أنظر لها عن قرب ، كنت ألقي بعيني في الأرض في حضورها ، ولم أعلم حتى تفاصيل وجهها عن قرب ، بعد ذلك تأكدت أني كنت أحب منى مثل أختي ، فأفقت لأني تأكدت أكثر بعد سماع قصتك من عمي محمد ومدى حبك لها وكيف تحملت العذاب من عمي محمد فأدركت أن من يستحق منى هو أنت ، أنا وضعت نفسي مكانك وتأكدت أني لو وضعت نفسي مكانك ماكنت تحملت كل هذا الألم ، فتأكدت أكثر أن ليس مابداخلي لمنى هو حب بل كان مشاعر مراهقة ، لايمكن أن يكون حب ،

فإطمأن وليد قليلا .

وليد : وملك !

أشرف : لو قلت أني رأيتها أو أني أعجبت بها ، أكون قد كذبت عليك ولكن والدي وعمي محمد أقنعوني بالزواج منها ، أما الحب فسيأتي بعد معرفتي بها إن كان مقدرا لنا أن نكون معا ،

أعجب وليد بكلامه وصراحته .

وليد : أنا أثق فيك ولكن قبل أن أقول لك رأيي أريدك أن تجلس مع ملك وتتحدث معها أولا ، حتى تكون مقتنعا بطلبك ، لأن من يتزوجها هو أنت ليس عمي حسن ولا عمي محمد ، بعدها سوف أقول لك رأيي بعد معرفة رأيها ، إذهب الآن وسوف أحدد لك موعدا عندنا في المنزل لتجلس مع ملك ،

ثم قام كل منهما وتوجها إلى داخل الغرفة ، ذهب وليد مسرعا إلى مكتبه المتواجد بالغرفة فأخذ منه ورقة ، ثم توجه إلى أشرف وخرجا معا من الغرفة مبتسمين ، وهما في طريقهما مرا أمام غرفة منى ، نظر وليد لأشرف فوجده يلوح برقبته تجاه غرفة منى ،

نظر له وليد مبتسما فقال أشرف : إنها أختي ، فهل يعيب الأخ أن يشعر بألام أخته ؟

وليد : لا

دق وليد باب غرفة منى ، فتح والدها الباب فدخل وليد ، نظر له الحاج محمد بكل لهفة وتشوق لمعرفة ماحدث بينه وبين أشرف ويريد أن يطمئن نفسه .

وليد : تعالى معي نجلس أولا ثم أحدثك بكل شئ

وذهبا وجلسا إلى جوار بعضهما على السرير وحكي وليد له كل الحوار الذي دار بينه وبين أشرف ، بعد انتهاء وليد من الحديث لاح بعينين دامعتين تجاه منى ، نظر له الحاج محمد وهو فرح وحزين تبتسم شفتاه وينفطر قلبه بالبكاء ، لايستطيع أن يجمع أشلاء روحه المتناثرة ، ويحدث نفسه فيقول تتعاقب الأيام ويمضي قطار العمر ، فهل ستظل روح صغيرتي تهيم بالخلاء مابين السماء والأرض مثل عصفور صغير ، يطير مابين الأشجار يرفرف بجناحيه ليطير ويحط على شجرة أخرى ولاينظر أسفله ، ولو نظر لوجد علاء تحت الشجرة ينتظر سباته على فرع شجرة ليقوم بصيده مرة أخرى ، لكن لاتخافي ياصغيرتي وعودي لحياتي من جديد ، سوف أجعل علاء الذي إلتهم جسدك فريسة لكل حيوان ضال جائع ، سأجعله ينحني ويلهث الثرى من تحت قدميك ، تحدث روحه روحها ، لكن روحه ماعادت ترغب بسماع أقوال لاأفعال .

نظر وليد للحاج محمد فوجده شاردا هائما بخياله بأمانيه وأحلامه متمنيا أن يجدها واقفة على قدميها من جديد ، وتمارس حياتها بشكل طبيعي ، لكن كيف ؟! وقد ضاعت منى منه بين صراعات ، غرور رجل ، عناد أب ، عطف أخ ، فتور أم ، تخلف زوج ، حب وعشق وحنان حبيب ، لم يكن لها غير طيف طاف بخيالها ، كان لها نسمة في يوم شديد الحرارة ، حضن دافئ في يوم شتاء ملئ بالرعد والبرق والعواصف ، كان لمسة رقيقة من الهواء الذي يداعب أوراق الشجر ، لمسة أنامل تتراقص بينهم زهور الربيع بعبيرها ورحيقها ، تتصارع روح منى مع جسدها ، واحده تريد البقاء والأخرى تسعى جاهدة للفناء ، لكن من منهم سوف تنتصر علي الأخرى ، لاأحد يعرف فهذا شارد بابنته وذاك شارد بحبيبته وروحها شاردة بينهما ، لم تعرف على أي أنامل تقف ، على أنامل المحب أم على أنامل الأب تحط على كتف الأب أم تلقي نفسها بين أحضان المحب ، هذه معادلة صعبة بين أرواحهم الثلاثة ، لاأحد منهم قادر على فك طلاسم روح منى ، فأصبح كلا منهما حائرا ، لايعرف بما تخبئه الأيام القادمة ، قرر وليد أن يخبئ خبر حمل منى ، حتى لايصدم الحاج محمد ، الذى يعرف كيف سيتصرف هو والأطباء ، ظلت الأيام تلاعبهم وتحاورهم وتعطيهم الأمل ، ثم تعود لخطفه منهم مرة ثانية ، ظل حالهم على ذلك الحال أيام وليالي ، ليعلم مابداخلهم الثلاثة غير الله عز وجل ، من كثرة الهموم وتضارب الأحاسيس والمشاعر مع بعضها ، تضاربت مشاعر وليد مع مشاعر حبيبته ومشاعر أخوته ، نسى مشاعره تجاه موضوع أخته ، نتيجة تفكيره المستمر في مرض منى التي تزداد سوءا يوما بعد يوم .

عندما رأى الشيخ حسن تذكر موضوع أخته ملك ، ذهب مهرولا ناحية الشيخ حسن عندما وجده يسير في الطرقة متجها إلى غرفة منى ، أسرع له مهرولا ووقف معه أمام الغرفة ، سلم عليه وسأله على حال منى وصحتها

: والله ياعمي أنا كنت الآن في معمل التحاليل لأطمئن على التحاليل اليوم ، كل يوم حالتها تزداد سوءا عن اليوم السابق ، جهاز المناعة عندها متكاسل والحالة ليست مستقرة ، لكن لم أقدر على إبلاغ عمي محمد بذلك فجسدها لايقاوم ويسعى للفناء جاهدا ،

حزن الشيخ حسن لسماعه هذا الخبر وتساقطت الدموع من عينيه .

الشيخ حسن : أبلغ أخي أني أتيت وذهبت بعد أن إطمأننت على منى .

وليد : لا ياعمي تفضل لترى منى ، ربما لا تسعك الظروف لرؤيتها مرة أخرى ، دخل معه الغرفة فوجد صديقه جالسا على السرير وفي يده المصحف يقرأ فيه بصوت عال ليسمع منى القرأن فقلبه يحدثه أن إبنته على مشارف الموت يقرأ القرأن بقلبه وروحه وعقله ودموعه التي تنهمر كسيل جارف بدون شواطئ ولا حاجز يرد ماءه فقلب الأب يحدثه ، لكن أمله في الله كبير فهو يحي ويميت وهو علي كل شئ قدير .

نظر له الشيخ حسن وتذكر يوم وفاة أختها منى الأولى وكيف كانت حالته بعد وفاتها وكيف زهد الدنيا ، لم يقدر علي مشاهدة نظرات صديقه الحزينة ، تركه مسرعا متجها إلي الباب وخرج وأغلق الباب خلفه ، حتى لايرى صديقه دموع عينه وحزنه المرسوم على وجهه ، فخرج وليد خلفه مسرعا ليخفف عنه ويوصيه ألا يخبر أحدا بحالة منى الصحيه في القرية ، حتى الأهل والأقارب ، حتى لايحدث في المشفى بلبلة من الزائرين .

الشيخ حسن : إطمئن لن أخبر أحدا أني أتيت إلى هنا ، ذهب الشيخ من المشفى ونسى أن يذكر شيئا عن موضوع ملك ، كذلك وليد لم يقل شيئا للشيخ حسن عن كلام أشرف فوجد كل منهما الوقت ليس مناسبا للحديث في هذا الموضوع .

دخل وليد إلى الغرفة صامتا وجلس على المقعد ولم يتفوه بكلمة واحدة ، خيم الصمت على المكان مابين أبوه تحتضر وحب يهوي بصاحبه إلى الفناء ، وطفلة نائمة على سريرها مثل الملاك الذي يرفرف بروحه حولهم بجناحات مكسورة لايستطيع التحليق عاليا فهو يطير ويحط على كتفه بعض من الوقت ويرتفع مرة أخرى وينخفض ثم يلقي بنفسه في أحضان عاشق ولهان فيشعر كل منهما بوجودها تحوم حوله ولكن كلا منهما يري طيفها كما يرغب أن يرى ، بعد إفاقتهم من شرودهم تذكر وليد أم منى .

وليد : أريد أن أطلب منك طلبا .

الحاج محمد : ماذا تريد ؟

وليد : أريدك أن تتصل بأكرم وياسين والحاجة ،

نظر له الحاج محمد نظرة رعب وخوف .

الحاج محمد : هل مني سوف ترحل وتتركنا ؟

وليد : لماذا تقول هذا الكلام ؟

الحاج محمد : لاتخف ياولدي فأنا أعرف إبنتي جيدا هي لاتقبل الهزيمة ،

وتدفقت عيناه بسيل من الدموع ، بكى كل منهما على حاله ، وهي جالسة على كتف كل منهما تنظر لهما وتبتسم على مايفعلانه من أجلها ، تأتي لوليد وتقبله وتواسيه وتأتي لوالدها وتقف أمامه وتنظر له نظرات لوم وعتاب وتتركه ، وتذهب ثانية بين أحضان وليد ، يشعر بوجودها بين أحضانه وكأنها تضمه بذراعيها فهو يشعر بدفء أنفاسها ويشعر بلمسات أناملها على وجنتيه ، ولمسات أناملها تداعب شعره الناعم ، بعد بضعة من الوقت ، سمع وليد أحدا يدق باب الغرفة ، قام متألما من خروج روحه من جوار حبيبته فقام متوترا ، فتح الباب فوجدها ملك .

وليد : لماذا أتيت في مثل هذا الوقت ؟

فاحمر وجهها وذرفت عيناها الدموع ، هي تنظر لأخيها وهو ينهرها ، فأخذها في أحضانه بعد أن وجدها تبكي وقام بالإعتذار لها وتقبيل جبينها ، وأدخلها وخرج هو من الغرفة حتى لاتشعر بألامه ووجع قلبه ، حتى يتمالك أعصابه ثم يعود لها مرة أخرى ، وقف خارج الغرفة دقائق ، فوجئ بأشرف يقف أمامه في نفس الوقت التي جاءت به ملك ظن أنهما على موعد .

وليد : هل قابلت ملك ؟

أشرف : لا لم أقابلها أنا إنتظرتك تحدد لي موعدا مثلما حدثتني وحضرتك تأخرت علي بالجواب ، فأتيت لأعرف لماذا لم ترد علي ؟! .

وليد : تأخرت لأني إنشغلت في عملي ولم أقابل ملك غير الآن .

أشرف : متعجبا وهل ملك هنا ؟

وليد : نعم هي بالداخل إذهب إلى مكتبي وسوف أحضرها .

ذهب أشرف إلى مكتب وليد وانتابه القلق والتوتر فهو لا يعرف ماذا يقول لها ولا في أي موضوع سوف يتحدث معها.

دخل وليد الغرفة لينادي ملك حتى يتحدث معها فوجدها تمسح بمنديل على وجه منى فهي غارقة في عرقها ، فتشعر ملك أن منى على غير عادتها وسكونها فجسدها يتحدث بينابيع من الماء ويطلب المساعدة .

ملك : هل منى بخير؟ وهل حالتها مستقرة أم لا تقول ذلك بعقل وتفكير فتاة لا تدرك أن كلامها سوف يزيد قلق والدها ويزرع بداخله بذور الشك والقلق على ابنته .

وليد : لا تقلقي هي بخير وحالتها مستقرة ، أنا أريدك خارج الغرفة بعض الوقت ،

قامت معه وهي متوترة فهي لا تعلم ماذا يريد منها أخوها ، أخذها وذهب ، إلتزم وليد السكون ، وهي تحدث نفسها ، ماذا يريد مني أخي ؟ تنظر له وينظر لها في صمت ، إلى أن وصلا إلى غرفة مكتبه ، ثم دخلا فوجدت أشرف في الغرفة ، صعقت وأحمر وجهها وأعصابها تفككت من بعضها ، ظلت ترتعش وتنظر لأخيها خوفا أن يكون أشرف قرأها وقرأ مابداخلها ، أخذها أخوها من يديها وأجلسها أمام أشرف .

وليد : إجلسي ياملك ، وتحدثا سويا بصراحة ، أنا أجلس في تراس الغرفة معكما ولا تخافي من شئ وهمس في أذنها أشرف يريد أن يتزوجك وأنا أعلم ما بداخلك له ، فإجلسي وتكلمي معه ولا تخافي من شئ فأنا أوافق عليه فهو يستحق أن يكون زوج أميرتي الصغيرة ،

نظرت لأخيها والفرحة تتراقص في عينيها ، وأصابها الخجل أكثر فأكثر وجلست ولم تتفوه بكلمة وظلت تنظر في الأرض وكأنها تبحث عن شجاعتها وقوتها ، نظر لها أشرف بعد دخول وليد التراس وأغلق بابه خلفه ، هو الآن لايسمع شيئا ، فقام كل منهما بتبادل النظرات لبعضهما البعض ، وبعد أول نظرة نظرتها ملك له ، خفق قلبه خفقه قويه ، وكأن قلبه لم يخفق من قبل ، فشعر بارتياح نفسي لها ، وأن بداخله بسمة لم يبتسمها من وقت طويل ، شعر أنه سوف يعالج الداء بنفس الداء الذي أصابه ، فقال لنفسه وداوني بالتي كانت هي الداء ، ظلا يتبادلان النظرات ويحدث كل منهما الآخربعينيه ، فلغة العيون أصدق من لغة اللسان ، فمن توترها تهتز قدماها دون إرادتها ، ويدها مشبوكة باليد الاخرى ، ووجهها الأحمر وعرقها المتناثر علي وجهها ، فتارة تجفف عرقها ، وتارة تشبك يدها ، وليد في التراس جالس على كرسي وقد وضع قدميه علي سور التراس من تحت الحديد مسترخيا بجسده ، شارد التفكير، فانتابته نوبة أحلام اليقظة ، منى تداعب خياله ومشاعره وأحاسيسه وهرب بها مابين السماء والأرض فهو يشعر أنها تتحدث معه ويتبادلان النظرات والقبلات ويشعر أنها جالسة على فخذيه مثل طفلة يدللها ويمسح على شعرها بأنامله ويداعب وجنتيها بيديه ورفع شعرها الذي إنساب علي وجهها بأنامله ويده الأخرى ملفوفة على خصرها وظل هائما بخياله وأحلامه ، إلى أن أفاق على صوت عال خارج الغرفة فوقف مسرعا ، ظنا ان أخته حدث لها شيئا ولكنه فتح باب التراس مسرعا ، وجد أشرف وملك خارج الغرفة ، فقد صعقوا عندما سمعوا الأصوات التي بالخارج أيضا .

وليد : ماذا حدث ؟

ملك : الصوت يأتي من غرفة منى ،

ذهبوا جميعا مهرولين إلى غرفة منى ، فوجدوا الحاج محمد يتشاجر مع علاء في الغرفة ولم يقدرا ظروف طريحة الفراش ، فسرعان ماوصلوا إلى الغرفة ، بدون اي استفسارات حمل وليد وأشرف علاء وأخرجوه بالقوة إلى الطرقة وتركاه منزعجا وصوته يعلو ، طلب وليد الأمن له جاءوا وأخذوه خارج المشفى . ظل علاء يهدد ويتوعد أنه لن يطلقها وأنه سوف يطلبها في بيت الطاعة بكل بجاحه ودم بارد ، ونسي أنه من ذبحها ، هو يريد فريسته لينهش في جسدها وأحشائها ، إزدادت حالة منى سوءا فأصبحت تحتضر بعد ماحدث وكأنها فعلا تشعر بما يدور حولها ، وشعرت به روحها ، انها لن تنجو من هذا المتوحش مرة ثانية ، وجدت أن باب ربها أرحم بها من دنيا زائفة لم تشعر فيها يوم بسعادة الأطفال ، كل ماتتذكره في طفولتها ، هو تدليل والدها فقط ، لكنها لم تشعر بحنان الأم ولابراءة الأطفال في ألعابهم مع بعضهم البعض فهي لاتتذكر أنها لعبت مرة واحدة مع الأطفال الذين في سنها .

قام وليد بإستدعاء الأطباء وجاء كل أطباء المشفى مسرعين لإنقاذ حالة منى ، خرج وليد ملك وأشرف من الغرفة ، ورفض والدها الخروج من الغرفة ، لأنه خائف أن يخرج من الغرفه فيعود يجدها قد فارقته للأبد ، قام الأطباء بمحاولات عديدة لإسعافها ، لكن دون جدوى فيأسوا من أنها سوف تعود للحياة .

الدكتور أمجد : إن كل أجهزتها فقدت كفاءتها وحدث لها إرتخاء ، أن القلب لم يستطع التحمل فنبضاته كادت أن تفارق الحياة .

سمع الأب هذا الكلام فانزعج وصاح بصوت عال وراح يصرخ ويبكي مثل الأطفال ، لكن الأطباء حاولوا تهدئته دون جدوى فتركوا منى وذهبوا .

الطبيب : فوض أمرك لله وإستودعها عند الله هو أحن وأكرم من كل إنسان ، ثم خرجوا .

ظل أمجد بجوار صديقه فألقى الأب نفسه على قلبها وصدرها وظل يبكي

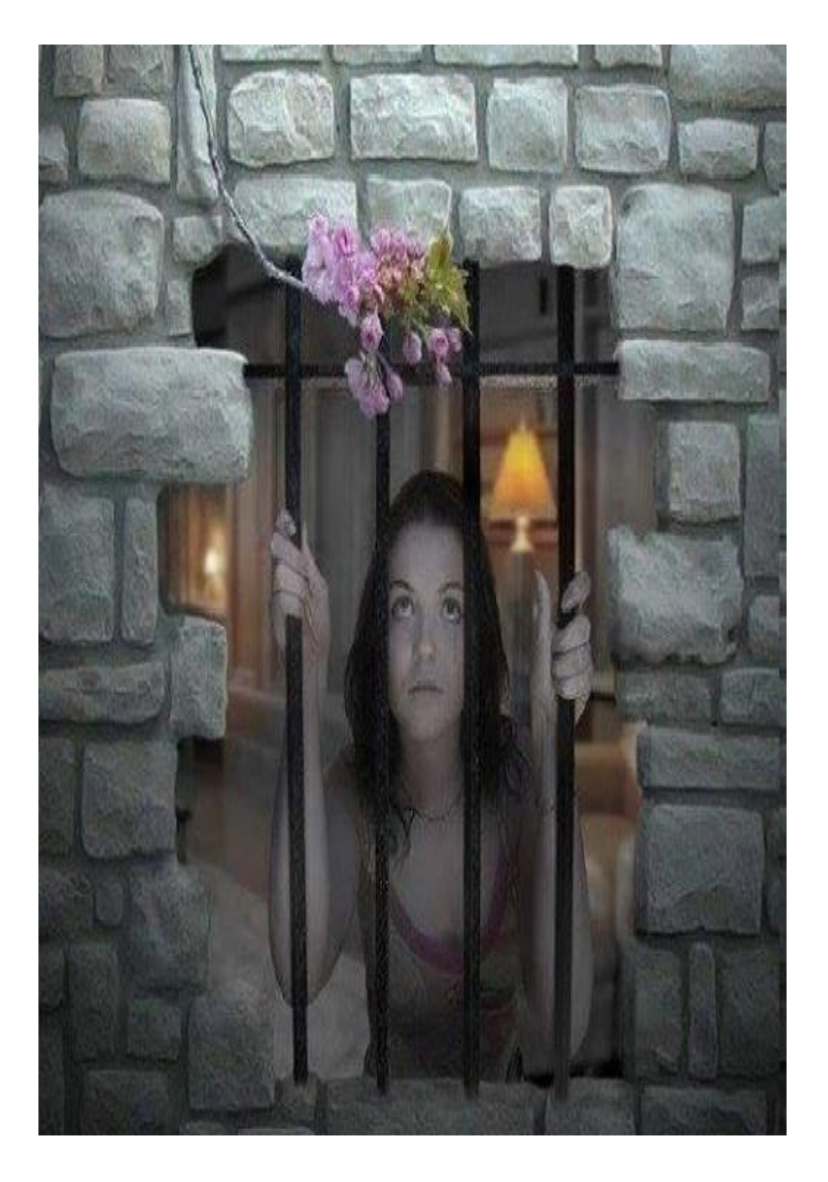
ويقول لها : سامحيني ياصغيرتي ، أنا من قتلك أنا من ضيعك بعناده وجبروته وقسوة قلبه ، لم أدرك أنك طفلة وأنك لن تستوعبي ماحدث لك فأنا ماكنت غير وحش ليس علاء أو صفاء ولا أحد سبب في قتلك غيري أنا ، أنا قتلتك ياصغيرتي ،

ظل يطلب من الله أن يعطيها له هدية ، يقول يارب أهديني إياها فأنا أتسولها منك مرة أخرى ،

يقول كل هذا وهو نائم على صدرها ، وليد يحضن قدميها وظل يقبلهما ويبكي بكاءا شديدا كاد قلبه أن يتوقف مع قلبها ،

يقول ياليتني لم أر هذا الوجه ياليتني لم أعشق هذه الروح ،

أثناء بكاء كل منهما ونواحه ونحيبه ، وصلت صفاء لقد أحست بإبنتها وهي تفارق الحياة فتحرق قلبها وأمومتها ، وتيقنت أنها قصرت في حقها عندما تركتها وهي طفلة ، وعندما تركتها وهي مريضة ، وقفت تبكي من خلف السرير وأخوتها جاءوا وأشرف والشيخ حسن وملك ، كل هؤلاء موجودين في الغرفة يبكون من أجل منى ، لكن هل منى سوف تخذلهم جميعا وترحل ؟ هل ستترك الحياة لهم بحلوها ومرها بفرحها وشجنها بحزنها وسعادتها بحبها



وكرهها ؟ لكن لايقدر لها أن تترك وليد بعد كل ما فعله لها وبعد كل هذا الحب ، قررت منى العودة للحياة ، ومقاومة الموت ، شعر والدها بنبضات قلبها تتزايد ، شعر وليد أن درجة حرارة الجسد تتصاعد ، شاهد أمجد شريط جهاز القلب يتحرك ،

صرخ أمجد قائلا إن منى ستعود للحياة ،

قام والدها من فوق صدرها ، وقام وليد ينادي على الأطباء ليسعفوها فأتو جميعا مهرولين ، وقاموا على إسعافها مرة أخرى ، استقرت حالتها واطمئن الأطباء ، ولكنهم قالوا إن لم تستعد وعيها في خلال الأيام القادمة سوف ينتهي كل شئ ، أخرجوا كل من في الغرفة وتبقى وليد ووالدها وكل منهما ممسكا يدا من يديها يقبل فيها .

الحاج محمد : سوف أذهب لصلاة ركعتين شكر لله ،

ولكنه قبل أن يترك يدها فوجىء كل منهما أن منى عيونها تتحرك وأناملها ترتعش ،

لوليد إنها تستعيد وعيها .

وليد : نعم أرى كل شئ ،

نظر لها وهي تفتح عينيها للمرة الأولى بعد الغيبوبة ، فكانت تشعر وقتها أنها قد ماتت وتسكن القبر وقد أتى لها الملكان فهي فعلا قد رأت رجلين على اليمين واليسار فظنت أنهما ملكان قد جاءا ليسألاها فابتسمت بسمة خافتة وأغلقت عينيها ثانية .

خرج وليد فوجد أخته ملك وأشرف وأمها وأخواتها واقفون خلف الباب .

وليد : أشرف إذهب بسرعة استدع دكتور أمجد

فجاء أمجد فقص وليد له مارأه هو ووالدها .

أمجد : ربما أنك تحلم فأنت معتاد على أحلام اليقظه

فحلف وأصر على كلامه ، قال والدها أنه رأى مثل وليد وبعد ثواني سمعوا منى تذكر اسم الله وتقوم بالتشهد وتذكر إسم سيدنا محمد (ص) وكأنها في القبر تسأل ولكنها كانت بين مرحلتى الوعي واللاوعي فقام أمجد مسرعا بإعطائها مقويات وعلقوا لها المحاليل ثانية وبعد برهة بدأت حالة منى تتحسن وأجهزتها أصبحت تعمل جميعها بشكل شبه منتظم ففرح وليد كثيرا وفرح والد منى وظلت منى تفيق من غيبوبتها رويدا رويدا ، وافاقت منى بعد شهور عديدة نائمة في الدنيا ولكنها لم تعلم عنها شيئا ، فأفاقت ظنا منها أنها نامت ساعات بل أيام ، وعندما نظرت إلى والدها بعد عودتها للحياة ، لاحت بوجهها إلى الجهة الأخرى حيث يقف وليد ، ولم تتكلم مع والدها بكلمة واحدة ، نظرت منى إلى وليد باستغراب فهي تتذكر شكله .

منى : من أتي بك إلى هنا ؟ ألا تخاف من الوحوش ليفعلوا بك مثلما فعلوا بك في الماضي ،

تقصد والدها فهي لاتعلم أي شئ حدث وهي في الغيبوبة ، إنحني والدها ليقبلها ويحتضنها فلم تقبل ، كادت أن تنزلق من على السرير حتى لايقبلها ، لولا أن سندها وليد .

منى : إذهب من هنا ولاتعد ثانية .

وليد : أني تصالحت مع عمي محمد وقد أصبحنا صديقين الآن .

منى : صرتما صديقين ؟! كيف لحمل وديع أن يصادق أسد ؟! ، وفي هذا الوقت الضئيل .

وليد : أنت معي منذ شهور ، وأنت في غيبوبة ، هل تعلمين مامر به والدك وأنت بين الحياة والموت ؟ ، لكنت سامحتيه مثلما سامحته أنا.

منى : أنا لا أسامح أحدا ولا أريد أحدا معي في الغرفة أخرجا أنتما الاثنين وإتركاني بمفردي في الغرفة .

وليد : يجب ان يمكث معك أحد أنا أو والدك .

منى : لاأريد أحدا معي ،

ظلت تبكي وتصرخ في وجههما أن يخرجا ويتركاها بمفردها ، خرجا الإثنان ووقفا خلف الباب خوفا أن تقوم بعمل شئ تضر به نفسها ، فهي لم تتذكر أنها ظلت شهورا في غيبوبتها ، هي الآن لم تتذكر غير يوم ذبح أنوثتها ويوم قتل طفولتها ، مر أمام عينيها شريط يوم إستسلامها للوحش ، ظلت تبكي بصوت عال وتصرخ وتمزق في شعرها ، دخلوا مهرولين عليها لتهدئتها .

قام وليد بإعطائها حقنة مهدئة ،

قال لنفسه كيف أبلغها أنها حامل وكيف أبلغ عمي ، فلابد أن يراها طبيب نفسي فهي في أمس الحاجة له

وليد : ياعمي إن منى تمر بأزمة نفسية قوية نتاج الحادث الذي مرت به ، لابد أن يتابعها طبيب أمراض نفسية .

الحاج محمد : إفعل ماتراه صوابا .

قام وليد بالإتصال بطبيب صديقه للأمراض النفسيه ، حضر الطبيب بسرعة ، دخل على منى فوجدها نائمة ، جلس مع وليد ليعرف منه الأمر كله .

الطبيب النفسي : يخبرك أبوها بكل شئ ، هو أعلم بما حدث لها ، سأترككم لبعض الوقت .

الحاج محمد : ياولدي من حقك معرفة كل شئ الآن ، منى تخصك مثلما تخصني ،

نظر له وليد نظرة كلها عطف وشفقة ، هو لايتمنى رؤية أب في مثل ظروفه ، فجلس وروى للطبيب كل ماحدث لمنى حتي يوم دخولها المشفى ، وينظر له الدكتور محمود

ويقول له هل ما أسمعه حقيقيا ، أتروي لي قصة ، هل يوجد في الدنيا أب مثلك .

وليد : لاداعي لهذ الكلام نحن بشر وكلنا أخطاء وخير الخطائين التوابون ، وهو اعترف بخطئه ويريد إصلاحه .

الدكتور محمود : إصلاحه هو أن تقوم بطلاقها من هذا الوحش ، بعدها ستظل مريضة نفسية لفترة طويلة ، هي مرت بظروف لايتحملها بشر .

الحاج محمد : سوف أطلقها في أقرب وقت .

الدكتور محمود : هذا قرار صائب ، ربما هذا العمل يعيد لها ثقتها بنفسها وبالعالم ، وكتب لها روشتة دواء منوم ومهدئات وانصرف ، واخبرهم اني سأتابعها في الفترة الأولى كل يوم ساعة حتى نعيد تأهيلها لتقبل الحياة من جديد ، أن تعود لها ثقتها في الناس ، ثم تركهم وذهب .

وليد : هل ستطلقها حقا ؟

الحاج محمد : نعم يا ولدي سوف أقوم بإصلاح ماأفسدته .

وليد : أريد أن أتزوجها بعد طلاقها حتى أعوضها عن العذاب الذي عاشته .

الحاج محمد : لو لم تطلب مني هذا الطلب لتوسلت أنا لك لتتزوجها ، لكن ياولدي لن أقوم بعمل أي شئ يخصها إلا بعد موافقتها ، لن أقوم بالخطأ في حقها ثانية .

وليد : أنا لن أتزوجها إلا إذا وافقت هي ، فإن رفضت هذا الزواج سأحترم رغبتها ، سأدفن حبي في قلبي وأبعد عن حياتها إلى الأبد ، أنا طبيب قبل أن أكون رجلا .

الحاج محمد : نعم يابني أنت طبيب ممتاز وخلوق ، ورجل أصيل من أصل طيب ، أنا أتشرف أن تكون إبني قبل أن تكون زوج ابنتي ، وإن لم تتزوج من منى ، لن أقطع علاقتي بك ماحييت ، سوف تكون إبني الأكبر ،

لم ينس الحاج محمد موضوع ملك ،

ثم سأله ماذا فعلت في موضوع ملك ؟

وليد : جلست مع أشرف يوم أن كان علاء هنا ، وحدث ماحدث ولم يسعني الوقت أن أسألها فقد طلبت من أشرف أن يوصلها بعد أن إطمئنت على منى ، لم أر أحدا منهما لآن ، لاأعلم بماذا إتفقا فأنا أترك لها القرار ، هذا أبسط حقوقها .

الحاج محمد : نعم ياولدي عندك حق ، لو كل أب فعل بإبنته مثل مافعلت أنا بإبنتي لضاعت منا كل البنات ، وعاد زمن الجاهلية من جديد فأحيانا غرورنا وتكبرنا يجعلنا ندهس على من نحب دون رحمه ،

جلس كل منهما بعد ذلك يفكر في ماذا يفعل غدا ونسيا كل منهما أن لا أحد يعلم الغيب غير الله ، وظلت منى نائمة تحت تأثير المهدئ إلى الصباح ، دق باب غرفتها فلاحت بعينيها يسارا وجدت والدها نائما على اليسار ، وعلى اليمين كان وليد نائما كعادته على الكرسي ، حاولت أن تقاوم وتحاول الإنزلاق من على السرير ، رفعت عنها الغطاء وقامت بإنزلاق قدم تلو الأخرى ، حاولت الوقوف ولكنها شعرت أن قدميها لايسعها أن تحمل جسدها الهزيل وشعرت بغشاوة على عينيها ودوخة وشعرت أن الأرض تتراقص من تحتها فوقعت على وليد ، قام مسرعا وحملها بين زراعيه ووضعها على السرير ، أفاق والدها وقام مسرعا من على سريره

الحاج محمد : ووجهه مصفرا من خوفه عليها : ماذا حدث لها ؟!

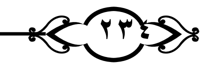
وليد : لاتخف فقد وقعت وهي تحاول النهوض ولكنها سوف تفيق حالا ،

دق الباب ثانية ، ففتح الحاج محمد ، ليجد الدكتور محمود الطبيب النفسي فساعدهما في إفاقتها وطلب منهما أن يتركهما وحدهما بعد أن أفاقت .

خرج وليد ومعه الحاج محمد وذهبا معا إلى غرفة المكتب عند وليد ، وتركا الطبيب مع منى ، جاء بالمقعد وجلس بجوارها وظل يتحدث وهي تنظر له ولا تتكلم وقام بتوجيه الأسئلة وهي لا تجيب ، فهي لاتستطيع الكلام مع أحد .

الدكتور محمود : هل ترغبين بمتابعتي لك كطبيب؟

منى : لماذا ؟



الدكتور محمود : حتى أساعدك أن تخرجين من أزمتك .

منى : هل بعد الموت حياة ؟ هل تشعر الذبيحة بسلخ جلدها وكشف لحمها ويقوم من ذبحها بتعليق لحمها ، أنا لا أريد مساعدة أحد غير الله .

الدكتور محمود : هل أنت الآن بخير ؟

منى : سوف أقص عليك قصة العصفورة الصغيرة التي لم ينبت ريشها فيقوم بستر جسدها ومساعدتها على التحليق ، تسقط من عشها على غصن شجرة ، فيلتقطها صياد ضال ، قام بالعزف علي أوتار جسدها ، انتزع ريشها ، كسر جناحها وألقى بها على الأرض ، فصارت عارية وجريحة ولم تقو على الحياة ، فماذا عساها أن تكون ؟ هذا ردي على كل أسئلتك التي لم تسألها .

الدكتور محمود : من علمك هذه الحكم ، من جعل عقلك أكبر من سنك ،

نظرت له وصمت فمها من جديد .

الدكتور محمود : هل أسألك سؤالا أخيرا ولك مطلق الحرية بالإجابة .. هل تحبين تربية العصافير والطيور والحيوانات ،

قال لها هذا الكلام من باب المزح حتى يجعلها تبتسم ، فهو قد فهم رسالة العصفورة جيدا ، لكنه لم يرغب بقول شيئا لها .

منى : نعم أعشق كل أنواع الطيور والحيوانات وكان لي كلب أعشقه ، كان اسمه رعد ،

جاءت سيرة رعد ولم تصمت فظلت تحكي مغامراتهم وكيف كان يحبها ويخلص لها وفي أخر الكلام عن رعد ، قالت له أنه وحشها كثيرا ، تريد أن تراه لعله يخفف عنها آلام روحها .

الدكتور محمود : سوف ترينه بعد خروجك فساعدي نفسك وساعديني أن تشفي سريعا .

منى : أن لا أرغب بطبيب نفسي فلن أتحدث معك ثانية أنا لا أريد شفقة ولا عطف من أحد .

الدكتور محمود : هذا واجبي كطبيب .

منى : أنا لست بمجنونة ، فلا تأتي ثانية .

خرج الطبيب وهو مبلل في عرقه من كلامها الناشف فقد تعلمت كيف تدافع وترد أي مخلوق يقوم بمضايقتها .

ذهب الدكتور محمود إلى مكتب وليد ليخبره أنه لن يأتي ثانية إليها فدق الباب ودخل وجلس ،

ثم قال لهم : إنها لاتريد أحدا يعالجها ولكني سوف أساعدها من بعيد ولكن من خلال العلاج مثل المهدئات والمنوم ، فهي في إحتياج لكل هذا العلاج ومضاد للإكتئاب ، لكن في حديثها معي ذكرت لي حكايتها مع الكلب فهي في حاجة إلى هذا الكلب .

الحاج محمد : رعد مات بعد زواجها بأسابيع من شدة الحزن عليها فلم يأكل ولم يشرب منذ أن تزوجت وخرجت من المنزل وأخذته للطبيب ولكن دون اي فائدة ، لم يقدر أحد على إبلاغها بهذا الخبر خوفا عليها وخوفا منها .

نظر له الطبيب نظرة تعجب على حظ هذه الفتاه التي خسرت كل شئ تحبه في هذا العالم الذي لايرحمها ، وتركهم وذهب دون سلام .

ذهب وليد ووالدها إلى غرفتها بعد ذهاب الدكتور محمود فوجدوا ملك عندها بعد دخولهم الغرفة .

وليد : أنت هنا !.

ملك : نعم .

وليد : متي أتيت ؟

ملك : حالا.

وليد : هل تعارفتما .

ملك : نعم ، منى لم تأذن لي بالدخول ، حتي قلت لها أني أخت الدكتور وليد .

وليد : من فتح لك الباب ؟

ملك : أنا فتحت ودخلت .

وليد : هيا ياعمي نذهب ثانية إلى حيث أتينا ونتركهما مع بعض ليتعارفا .

فقام الحاج محمد مع وليد وخرجا وأغلقا باب الغرفة خلفهما .

الحاج محمد : لما أخرجتنا ؟ كنت أحب أن أجلس مع ملك حتى آخذ موافقتها على الزواج من أشرف .

وليد : أنا أشعر أنها موافقه ، ولكن أريد منى تتعرف على ملك ، ربما تتحدث معها وتخرج مابداخلها لتستريح وتقول الذي لم ترغب بقوله للدكتور محمود .

الحاج محمد : ربما ولكني أعلم أن ابنتي مستمعة جيدة جدا ، فهي لا تمتلك القدرة لتتحدث مع أحد .

جلست ملك مع منى تتحدث معها ، فهي تحب الحديث ، قامت بتعريف نفسها وسنها وذكرت لها كل أهلها وأقاربها وزميلاتها في المدرسة والجامعة ، وظلت تتحدث دون توقف ، منى تنظر لها وهي صامتة لاتتفوه بكلمة واحدة .

نظرت لها ملك عندما وجدتها صامتة ،

ملك : ألست ترغبين في صداقتي ؟ أنا منذ رأيتك أول مرة أحببتك وتمنيت أن تكوني أختي وصديقتي لإنني لايوجد عندي أصدقاء وأنا إبنة وحيدة مثلك ليس لي غير أخوتي الشباب .

مني : أنت تقولين منذ أن رأيتيني هل رأيتيني قبل الآن .

ملك : نعم ، وأنت في الغيبوبة كنت دائما أحضر إلى هنا لأراك وأطمئن عليك طوال فترة مرضك ، كنت أجلس بجوارك وأتحدث معك ، وأحكي لك عن تفاصيل حياتي وكنت أتمني أن أجلس معك مثلما نحن الآن ونتبادل الحديث ، وأخبرتك عن شعوري بأشرف قريبك .

مني : أشرف من ؟

ملك : ابن الشيخ حسن .

منى : هل تعرفينه ؟ وتعرفين من أين ؟

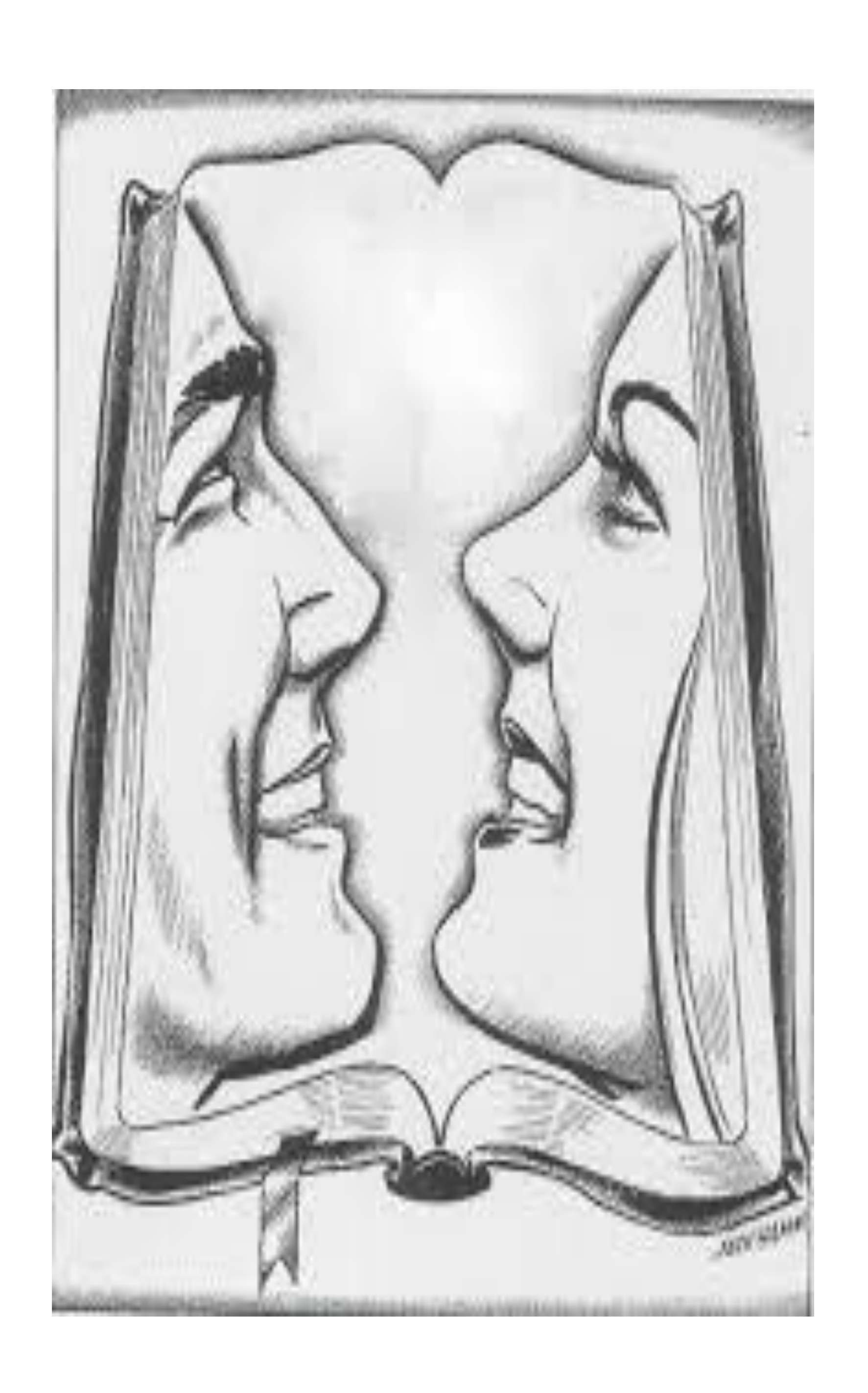
ملك : أعرفه عند زيارتك داخل امشفى ، رأيته هنا أول مره ، وخفق قلبي عندما رأيته ، فابتسمت منى .

منى : تخيلي ياملك أعرف أشرف منذ طفولتنا ولم أتحدث معه مطلقا ، هو كان خجولا ودائما يضع وجهه في الأرض ، ابتسمت منى بسمة حزينة ثم قالت لها حقا تحبينه .

ملك : نعم وهو كلم أخي وطلب يدي للزواج ، فسمعت مني كلمة زواج وانقلب وجهها مليون لون وبكت بكاء شديدا .

منى : لا لا لا لا لا تتزوجي ، الزواج موت وذبح قالت ملك : لكني أحبه .

منى : هل يختلف الزواج ، كونك تحبين من تتزوجينه ، أرجوك ممكن تتركيني وحدي أريد أن أجلس مع نفسي وأريد أن أنام ، تعالي في أي وقت فأنا مثل أختك ، فقبلتها ملك وذهبت ، جلست منى مع نفسها ولكن شبح زوجها يلاحق تفكيرها وخوفها من المستقبل .



دخل عليها والدها فجلس بجوارها يضحكها ويلاطفها وهي لا تتقبل منه أي كلام فصمت وبعد لحظات .

الحاج محمد : هل تعرفت على ملك إنها فتاة رائعة لم تتركك في مرضك كانت تأتي لتقوم بخلع ملابسك معي وتأخذ ملابسك لتغسلها وتكويها وتأتي كل يوم لترعاك معي أنا وأخوها .

منى : أخيها الذي كدت أن تضيع مستقبله وفضحته وسط عمله وقمت بجلده ، تخيل ! هو الأن له فضل عليك وهو أحسن منا ، لو رجل مثله ماكان فعل مثل مافعل معنا بل كان قام بقتلنا ، كل يفعل بأصله .

الحاج محمد : ماذا تقصدين ؟

نظرت له منى قائلة لا أقصد شيئا ،

نظر لها والدها فوجدها تتحدث كأنها امرأة كبيرة في السن ، فالعذاب الذي تذوقته كان كافيا ليجعلها تشيب قبل أوانها ، فدمعت عيناه وقام لجوارها متوسلا لها أن تنسى

ماحدث وتبدأ حياتها من جديد ، وسوف أقوم بإصلاح كل شئ ياحبيبتي صدقيني وثقي بي .

منى : لطالما وثقت بك ، كنت أقول أنك الرجل الذي لايخطىء ، فكنت أسمع حكمك ، أقوالك ، أفعالك ،وكنت مبهورة بك ، كنت أقلدك في كل شئ ، لأني كنت أعشقك ، لكن ماذا فعلت لك حتي تجني علي وتدمر حياتي وتقتل طفولتي ؟ ألا تعلم ماذا تعني كلمة زواج ؟ وتعرف مايدور بين الأزواج في الغرفة ، ألست متزوجا أنت وأمي ، لماذا لم يخبرني أحد أن الزواج بهذا الشكل وهذه الوحشية ؟ ألا تعلمون أني طفلة ، لم أقدر على فعل ذلك ، ألست ابنتك الوحيدة ؟

وظلت تبكي وهي تتحدث فقام حتي يأخذها في حضنه فأبعدته عنها ولم تقبل أن يلمسها مطلقا .

منى : أنت ربيتني على الصراحة وعدم الخوف من القول مادمت على صواب .

الأب : نعم ، أكملي .

نظرت له وخافت عليه من هول كلماتها التي تريد أن تقولها له ، هي تريد أن تقول له أنك أصبحت ميتا بداخلي من يوم خروجي من منزلك ، ولكن حبه لازال يشق قلبها نصفين فأشفقت عليه والتزمت الصمت

والدها : هل أصبحت تكرهيني ؟

منى : لوكرهتك لقلت لك كل مافي نفسي وأخرجت حمم بركاني في جعبتك .

نظر لها والدها وقام ليخرج من الغرفة ،

وليد: يداخل الغرفة ووجد الحاج محمد يبكي ، ووجد منى تبكي ،

قال الحاج محمد :حسنن أنك جأت كن أنت معها وأنا سوف أحضر بعد قليل ، إني ذاهب إلى المنزل أقضي بعض المصالح وسوف أعود هنا قبل العشاء وتركه وذهب ،

أصبحت ثقته في وليد ثقه عمياء وهو أيضا كان على قدر هذه الثقة ، هو بعد أن أفاقت منى دفن حبه لها بداخل الرجل الذي داخله ولم يظل لديه غير الطبيب والأخ والصديق ، إذا رغبت في ذلك ، هو يعلم أنها مازالت متزوجة ، دخل وليد ليتحدث مع منى ، نظرت له ونظر لها ولكنه إلتزم الصمت ، فهو لايعرف ماذا يقول لها ليقوم بتهدئتها ، هو يرغب أن يحتضنها بين ذراعيه ، يقوم بتقبيلها من جبينها ولكنه أخذ قرارا أن يتعامل معها على أنها أخت أو صديقة ، إلى أن تنفصل عن زوجها ، جلس بجوارها ، ظل يتكلم معها كلاما عاديا ويحنن قلبها على والدها ،

يقول لها إنه تغير وأصبح رجلا آخرا ، وكفاه ما أصابه في مرضك ، كان لاينام ودائم البكاء ،فلاتكوني قاسية القلب عليه .

منى : من الذي قسى قلبه على من ؟ هل تقبل أن تفعل ذلك بأختك ؟

وليد : هو أقر أنه سوف يصلح كل شئ .

منى : هل إذا انكسر زجاج البنور تقدر على إصلاحه مرة ثانية ؟

وليد : من علمك هذا الكلام ؟

منى : علمتني قسوة الليالي والأيام ، نظر لها وتعاطف معها أكثر وأكثر .

منى : ألست طبيبا هنا في المشفى .

وليد : نعم .

منى : أليس لك عملا سواي ؟

وليد : نعم فأنت شغلي الشاغل ألا يكفيك أني أخذت أجازة مفتوحة ، حتى أباشر حالتك الصحية ؟!.

منى : هذه مشفى خاصة ؟

قال وليد : نعم

منى : ماذا كان عملك في المشفى التي كنت تعمل بها ؟

وليد : تركتها بعد ماحدث فلم أقدر على تحمل نظرات زميلي لي فأنا كنت مظلوما ، أنت فهمت كل شئ غلط .

منى : أنا سمعت الممرضة وهي تقول لك وتحذرك من فعل شئ .

وليد : نعم ، لكني كنت لم أرغب بتقبيلك أنت ، فقد كنت مجرد صورة وجدتها بمحض المصادفة لفتاة كنت أرسم ملامحها كل يوم عندما أريد أن أهرب بخيالي معها ، لأني طول حياتي لم أتحدث غير مع هذه الفتاة ، التي ليس لها وجود غير في خيالي ، عندما وجدتك أدركت أن هذا الخيال تجسد في طيفك ، كنت أود تقبل جبينك فقط ، في ذلك الوقت غاب عني الطبيب للحظات عندما رأيتك ، كل ماحدث كان من محض الصدفة .

منى : عندما أصبت بالغيبوبة .

وليد : أقسم بالله أني ماكنت أرغب بتقبيلك في هذا الوقت ،

ظلت منى تحاوره وهو يبرر لها موقفه .

منى : لماذا سامحت والدي ؟

وليد : هل أمتلك أن أعاقب رجلا كان يدافع عن شرفه أنا لو مكانه وفهمت أن أحد يتحرش بأختي لقتلته ، نحن نعيش في المدينه حقا ، لكننا فلاحين ، الحمد لله على ماحدث ، أنا لا أندم على شئ مضى ، بل أنظر أمامي لا خلفي ، كل ماحدث جعلني أكون أكثر حكمة ، جعلني أتعامل مع الناس بظاهر الأمور لا بباطنها ، لا أحد يحكم عليك بما بداخلك الكل يحكم عليك بظاهرك ، ربنا فقط هو الذي عنده القدرة على أن يعرف ما بداخلك ويحاسبك عليه لا البشر ، فالبشر لها ماترى وتسمع ، هذا ظاهر الأمور ، هذا كان أول درس تعلمته منى من وليد ، نظرت له بإعجاب ، ظلت صامتة ولا تتحدث ، ثم أغمضت عينيها .

منى : سأنام قليلا ، إعتذرت منه على مابدر منها سابقا ، طلبت منه أن يسامحها .

قال وليد : هل يجدر بي غير أن أسامحك ؟ لكن بشرط .

منى : ماهو شرطك ؟! .

وليد : سامحي عمي محمد فهو عرف خطأه .

منى : نعم أسامحه وأتعامل معه بظاهر الأمور وأترك لله باطن الأمور.

وليد : أنا أفهم كلامك .

منى : لماذا لاتفهمه وهو في الأساس كلامك ؟

وليد : سوف أتركك لتنامي قليلا ،

لكن أي نوم سوف يأتي للعيون وللقلب الذي لايعرف أحدا لماذا يخفق بقوة عندما يشعر بوليد بجواره ، فهي أصلا لاتعرف ماذا يحدث لها ولابقلبها ولابروحها فتوقفت عيناها عند الباب الذي خرج منه ، وذهبت روحها معه ، ظل القلب حيرانا مابين روح تعشق وجسد ماتت به كل معاني الحياة ، فهو قد أصبح جسدا متبلدا لايشعر ولا يحس غير أوجاع نفسه ، هو لا يكترث إلى روح منى الهشة ولا بقلبها الذي نبتت به بذور حبه التي تناثرت في قلبها منذ أن أجرت عملية الزائدة ، روحها وقلبها يقاوما مايحدث فهي لا تريد أن يمتلكها رجل مرة ثانية ، تتمني أن تعود مثلما كانت عصفورة تحلق بخيالها الطفولي مابين الأشجار ومابين السماء والأرض ، داعب النوم جفونها وهي شاردة ونامت منى .

قام وليد بالإتصال بالحاج محمد في المنزل ليطمئن عليه .

الحاج محمد : أنا بخير إطمئن ،

وضع الحاج محمد السماعة من يده ، فقد وصل لتوه لباب المنزل ولم يجد أحدا به ، قام بالإتصال بالشيخ حسن وطلب منه الحضور حالا ومعه علاء للحديث معه .

الشيخ حسن : متى وصلت .

الحاج محمد : في الحال لم يستغرق وصولي دقائق .

الشيخ حسن : سوف أذهب له وأحضره .

الحاج محمد : ليأتي ومعه والده حتي يكون الحديث على مرأى ومسمع منه .

الشيخ حسن : ماذا تنوي فعله ؟

الحاج محمد : عندما تأتي سوف تري هيا بسرعه ولا تتأخر .

كان الشيخ حسن مرتديا ثيابه ، فقد كان في الخارج وولج البيت حالا ، فأخبر زوجته خارج ثانية لمشوار مهم جدا نسي أن يقوم به .

زوجته : والغداء .

الشيخ حسن : تناولوا أنتم الغداء ، سأتناوله عندما أعود ، لا تحملي همي أنا لست بجائع ،

يقول هذا الكلام وهو مسرع بخطواته وهي تلاحقه ، حتى وصل إلى الباب فخرج وأغلق الباب خلفه بقوة ، تركها في حيرة من أمرها وذهب .

وصل الشيخ حسن إلى منزل علاء ، طلب منه أن يأتي بوالده ، ويأتي معه إلي الحاج محمد ، رفض علاء .

علاء : من يريد أن يتحدث يأتي إلى هنا ، أنا لن أذهب مع أحد .

الشيخ حسن : صحيح من قال كل إناء ينضح بما فيه .

علاء : نعم وأعلى مافي خيلكم أركبوه أنا لن أطلقها ، أنا أريد زوجتي لقد علمت أنها أفاقت من غيبوبتها فأنا رفعت عليها دعوة طاعة .

الشيخ حسن : إذن سوف نرفع دعوه طلاق ، سوف أشهد عليك أنا وكل من في المشفى من أطباء أنك أخطأت مع زوجتك في أخذ حقك الشرعي ، وكدت أن تودي بحياتها إلى التهلكة والموت .

علاء : أنت تعلم كل شئ .

الشيخ حسن : بما اني أعلم كل شئ ، سوف أشهد بحق الله وسوف أتهم نفسي معك أني كنت شريكك في قتلها ، لأني أنا من سمع كلام والدها وجئت لأجعلها ترضى بك زوجا ، وتتقبل نصيبها ، لكنك كنت غير أمين على هذه الأمانة ، فاسمع الكلام وتعالى نحل الموضوع وديا ، أنتم في الأول والآخر جيران ، ولكم على حق الجار .

خرج والد علاء وأمه وسمعا كلام الشيخ لإبنهم .

الشيخ حسن : تحدثوا إلى إبنكم وتشاوروا مع بعض فأنا أنتظركم عند الحاج محمد ، حل ودي من دون محاكم وقضايا ستظل سنوات ، وعداء لاينتهي ، حكموا عقولكم ، أنا أعرف صديقي ، أتقوا غضبه فهو للآن يلتزم الصمت ، وإن هم لعمل شئ لايراجعه أحد ، فلا تجعلو الأمور تزداد تعقيدا .

علاء : إذهب له واخبره أني لن أترك منى ، أنا أحبها .

الشيخ حسن : تحبها ، لقد كدت أن تقتلها .

علاء : أنا لم أشعر بحالي عندما صفعتني على وجهي .

الشيخ حسن : نحن لانتحدث بما حدث ، فلا أحد يعرف ما حدث بينكما غيركما أنتما إلاثنين ، هل تأتي أم أذهب ؟

علاء : لن آتي ،

أخذ علاء الكبرياء والغرور ،

إذهب وأخبره أنه مثلما أخد زوجتي يعيدها ، وإلا أنا أعرف كيف أستعيدها .

الشيخ حسن : سوف أبلغ الرسالة ، تركهم وذهب بعد أن قال لنفسه الله يسامحك يا أخي أنت من فعلت بنا هذا ، قال لهم قبل أن يذهب صدق من قال (إن أنت أكرمت الكريم ملكته ، وإن أنت أكرمت اللئيم تمرد) ونظرلهم نظرة إحتقار وذهب لصديقه .

والد علاء : طلقها ياولدي أنت تعرف أبوها وتعرف شخصيته .

علاء : إن كان هو هو فأنا أنا ، ولاهو أحسن من أنا ، هو سوف يأتي راكعا معتذرا لي .

والده : لماذا يأتي هل أنت أكبر منه حسبا ونسبا

علاء : لابل أترك له إبنته مثل البيت الوقف هكذا ، لن أتركها غير مجنونه أو ميته ، لن أتركها لأحد يتزوجها ويستمتع بجمالها غيري .

والد علاء : هل تقبل أن يفعل أحد هذا بأختك ، يابني هي طفلة مايحدث لها كثير ، أنا أب وأشعر بما يشعر بها والدها .

علاء : لكني أحبها .

والده : سوف يعوضك الله بأحسن منها ، لكن إتق الله فيها ياولدي ، هي لن تنسى ماحدث لها طول حياتها ، سوف تتعذب معها ، إذا رجعت لك زوجة لن تغفر لك هذا أبدا ، أنا أبوك ياولدي وأريد مصلحتك ،.

أم علاء : إسمع كلام أبيك ياعلاء وإذهب معه وطلقها ، فأنا أنثي قبل أن أكون أمك ، أشعر بما تشعر به طفلة مثلها عندما تقتل طفولتها وتذبح أنوثتها هكذا ، ياولدي أنت غلطان فلا تستمر في إيذائها أكثر من ذلك .

علاء : لن أفعل لن يأخذها أحد مني ، تركهم وذهب خارج المنزل .

علاء : أنا خارج ولا يأتي خلفي أحد

فنادى عليه أبواه فتركهما ولم يلتفت لهما وذهب ، سمعوا بعد خروجه مباشرة صوت عال خارج المنزل ، خرجوا مسرعين ، وجدوا الحاج محمد يتحدث معه بصوت عال ، ثم أخذه عنوة ودخل به منزل الحاج محمد ثم أجلسه علي الكرسي داخل المنزل ، كانت توجد طبنجة في جيبه ، أخرجها مسرعا من جيبه وأمسك يد علاء

عنوة وأطلق النار على نفسه دون ردة فعل من علاء ، فقد كان في مرحلة المفاجأة ، قد أحرقه كلام علاء للشيخ حسن فهو سمع كل شيء وهو واقف في شرفة غرفة مني ، فشرفتها تطل من الشارع الثاني مباشره على منزل علاء .

الحاج محمد : لصديقه لا تتكلم وإذهب لقد سمعت كل شئ ولا تقلق علي .

الشيخ حسن : ماذا تفعل .

الحاج محمد : أفعل مايقدرني الله على فعله ، إذهب أنت الآن هيا يا أخي أخرج من هنا الآن .

خرج الشيخ حسن لأنه يعرف صديقه في غضبه ، فخاف علي صديقه من فعل شئ يضيعه ، ثم ذهب مسرعا إلى الشرطه وعندما جاءت الشرطة ، وجدت والد علاء وأمه في الحديقه يدقان الباب بقوة فقد كانا خائفين على علاء ، وكان من حسن الحظ أنه لايوجد أحد في الشارع في هذا الوقت فالكل في منزله من شدة الحرارة فهم كانوا في وقت القيلولة

قام علاء بفتح الباب مسرعا فظن الواقفون أنه هو من أطلق النار ، دخل الجميع وجدوا الحاج محمد ملقي على الأرض وغارقا في دمائه ، فطلبوا الإسعاف له ، وحضرت الشرطة واخذوا علاء بعد أن طلبوا له الشرطة العسكريه بعد علمهم أنه ضابط جيش .

علاء : أنا ضابط مثلك .

ضابط الشرطة : لاأحد فوق القانون حتى أنا ، أنت قتلت .

: أنا برئ .

الضابط الشرطه : هذا ماتثبته النيابة ، نحن وجدناك في ساحة الجريمة ، ولا يوجد معك شهود على ما تقول .

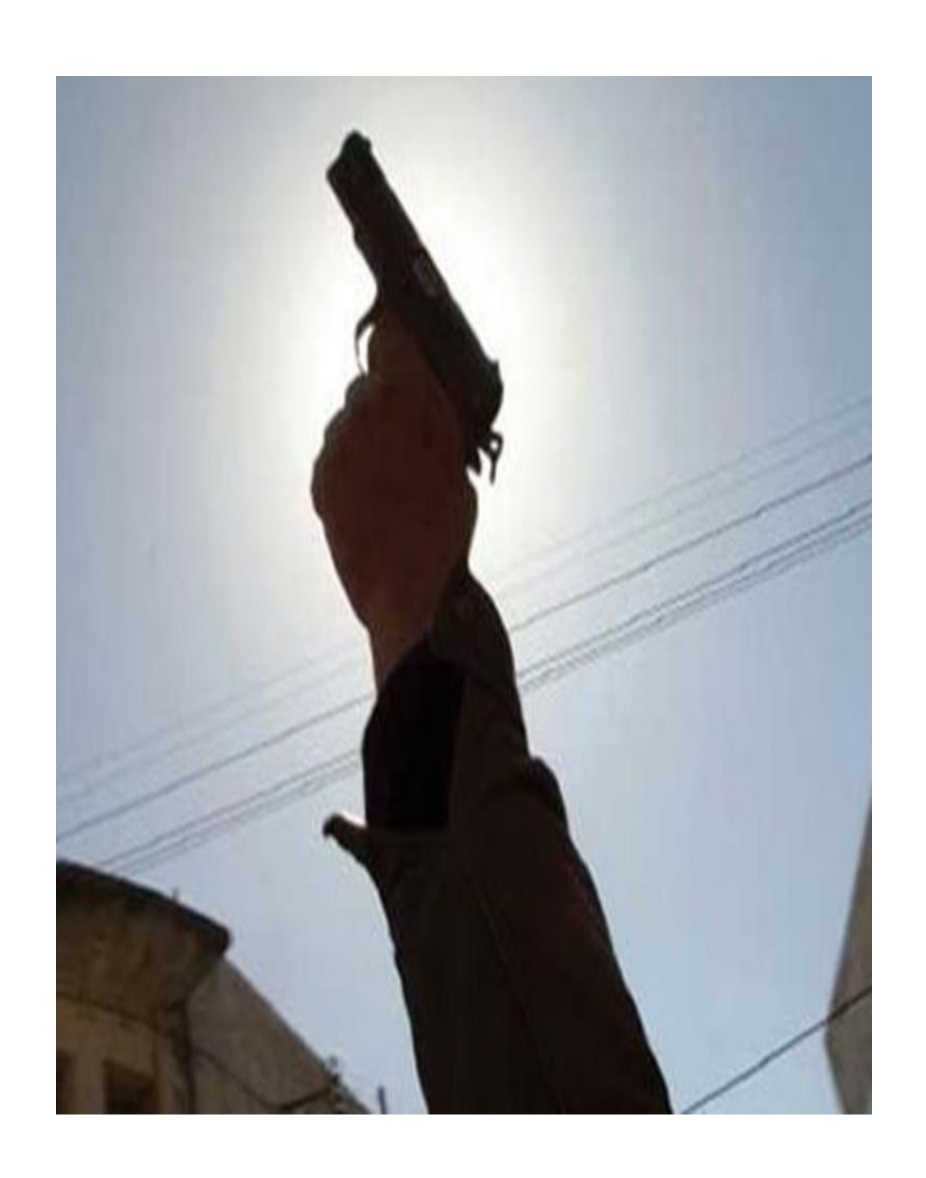
جاءت الشرطة وأخذت علاء ، وجاء الإسعاف وأخذت الحاج محمد ، لا أحد يعلم السر غير علاء والحاج محمد .هل ينجو الحاج محمد من الموت ؟ أم سيموت ؟ ويسجن علاء ويعدم . بذلك يكون أخذ حق إبنته وحررها من قيدها وكفر عن ذنبه في حقها .

قام الحاج محمد بتحرير الدم بالدم؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟



الجزء الثالث

أنوثة ممزقة



أخذت سيارة الإسعاف الحاج محمد ، وأخذت الشرطة علاء ، ذهب الشيخ حسن مع الحاج محمد إلى المشفى الذي بالقرية حتى يتم إسعافه بسرعة ، فجاءت صفاء من منزل عائلتها ومعها أكرم وياسين ، وجدت تجمعات من البشر واقفين على ضفاف النهر ، الكل ينظر لها ولم يستطع أحد إبلاغها بما حدث ، لكن الفضول جعلها تسأل

ماذا يحدث أمام منزلى ؟!

التقت طفلا فى الثامنة من عمره يُدعى سامي ، نادت عليه وسألته .

صفاء : ماذا حدث هنا بداخل المنزل ،

- سامي : علاء قتل عمي محمد زوجك

تشبست قدماه بالأرض ، ظلت تبكي وتصرخ بأعلى صوتها وتصيح بكل مافيها من قوة ، هرول أكرم فى إتجاه منزل علاء، ذهب أشرف إليه مسرعا وأمسك به وأخذه وأخذ الحاجه صفاء وياسين وذهب بهم إلى المشفى حتى يطمئنهم على الحاج محمد ، بعد دخولهم إلى المشفى وجدوا كل القرية واقفة أمام المشفى وبداخل الطرقات ، الكل واقف ينتظر ليطمئن على الحاج محمد ، وقف الشيخ حسن يروى لإبنه أشرف ماحدث .

الشيخ حسن : عند دخول عمك محمد المشفى جاء الأطباء مسرعين عليه لإنقاذه وأخذوه لغرفة العمليات ، وقفت خارج الغرفه ، أنتظر صديقي وقلبي مفتور من الألم والخوف من أن أفقده ، فلا يعلم غير الله كيف تنتهي هذه الظروف والمواقف التي أخذت أكبر من حجمها الطبيعي ،

انتشر الخبر داخل القرية وجاء إلى المشفى كل من يعلم بالحادث ، حضر من يريد التطفل ومن يريد المساعدة ، وقف الجميع أمام المشفى فالكل يحبه فليس له عدو ، كل مجموعة واقفة تتهامس ، تريد أن تعرف سر ماحدث ، دخل أخوات الحاج محمد الكبار ، السيد ، عبد الفتاح ، صلاح ، حسن ، كل أبنائهم وبناتهم ، كل عائلته وأقاربه وجيرانه ، كل واحد يتفوه بكلمة ، والكل واقف منتظر ماذا يخبئ له القدر، الكل واقف يدعي له بالسلامه .

وصل مدير المشفي وأخرج الجميع خارج المشفى إلا الشيخ حسن وصفاء وأولاده وأخواته الأربعه ، التوترالمصطنع مرسوم على الوجوه ، الكل ينتظر خبر ، منهم من يقول سوف نقتلهم جميعا ونقتل كل من في عائلته ، ومنهم من يقول سوف نحرق منزلهم ، إحتار بينهم الشيخ حسن لقيامه بتهدئة الجميع وتذكيرهم بالقرآن وأحاديث الرسول(ص) في مثل هذه الظروف ، وتوسل إليهم أن يهدأوا ويقوموا بالدعاء لأخيهم أولا ، ويتضرعوا إلى الله أن يحفظ أخيهم ، ويكتب له الخير ويعود من المشفى بالسلامه

بعد ثواني خرج الطبيب وطلب نقل دماء ، ذهب الشيخ حسن لخارج المشفى وطلب من الناس الدماء بعد ماذكر لهم فصيلة دم الحاج محمد ، سارع كل رجال القرية صغيرها وكبيرها يريدون إعطائه من دمائهم ، الكل يتسابق من أجل إعطائه دمائه فهو له عندهم الكثير من مجاملات وخدمات ، إن ظلوا يعطوه دماءهم لن يوفوه حقه ، لأنه كان يخدم الكبير والصغير ، كان أخا لكل من ليس له أخ ، وكان أبا لكل يتيم ، كان واصلا للرحم ، وكان خدوما ، صار الكل عنده الإستعداد للتضحيه من أجله ، أخذ الطبيب الدماء دخل الطبيب إلى غرفة العمليات ليطمئن على أنه تم إخراج الرصاصة التي بجسد الحاج محمد ، بعد دخوله وجد الحاج محمد نائما وسط الأطباء على ترولي وحوله الأطباء، طبيب البنج والجراح والتمريض وبعض من أطباء الإمتياز ، وجدوا أن الرصاصة قد إستقرت في الصدر في الجهه اليسرى بعيدة عن القلب ، لكنها مزقت جزء من الرئة اليسرى واستقرت بها ، الأطباء يبذلون قصار جهدهم في إخراج الرصاصة من صدره ، بعد بضعة ساعات نجح الأطباء في إخراج الرصاصة ، أخذوه إلى غرفة الإفاقة مباشرة ، بعد إفاقته ظل يتفوه فمه باسم منى والشيخ حسن ووليد وظلت هذه الأسماء الثلاثة على لسانه ، بعد دقائق استعاد وعيه طلب من الطبيب أن يتحدث مع صديقه لبعض الوقت .

الطبيب : ياحاج محمد حالتك لاتسمح بالكلام والزيارة ممنوعة عنك ، ستذهب للرعايه حالا .

ظل الحاج محمد يتوسل إلى الطبيب ، إلى أن مل الطبيب منه

الطبيب : سوف أخبره أنك تريده ، ولكن بعد نقلك الى غرفة الرعايه ، تم نقله غرفة الرعاية

خرج الطبيب وطمأن كل من خارج غرفة العمليات ،

الطبيب : لقد أصبحت حاله الحاج محمد بخير ومستقره الأن ،

همس في أذن الشيخ حسن في سرية تامة أن الحاج محمد يريد أن يتحدث معك في أمر هام ولكن إحذر من الحديث الطويل ومن الأنفعلات ،حالته حرجة لنزفه كمية كبيرة من الدماء ،

قال للجميع أنه أصبح بخير ، لكنه لن يستطيع أن يرى أحدا اليوم فمن المفروض ان يذهب الجميع ، لأنه سوف ينقل في غرفته الخاصه عندما تستقر حالته الصحيه ، ثم أخبرهم عن مواعيد الزيارة الرسمية .

صفاء : سوف أظل معه حتى يخرج من المشفى

الشيخ حسن : لا لن تنتظري خذي الأولاد وأنا سوف أظل معه اليوم ، فربما يحتاج الطبيب أي شئ من الخارج .

أكرم : لا ياعمي سوف أظل معك .

الشيخ حسن : لا خذ أمك وأخوك الأصغر فقد تعبتم كثيرا ، وإياك أن تتطاول على أحد من عائلة علاء ، أنت تعرف والدك ، وإن أحسنت الفعل خذ والدتك وإذهب إلى بيت جدك ، حتى نعرف مايفكر فيه والدك ، فقد أخذت الشرطة علاء ، وأهله ليس لهم ذنب في شئ .

أكرم : سيفعل الله مايريد ياعمي إطمئن لن أفعل شيئا إلا بعد أن أطمئن على أبي ،

ذهب كل من كان في المشفى حتي الأشقاء الأربعة خرج كل منهم واحدا تلو الآخر دون أن يتفوه واحد منهم بعرض خدماته علي زوجة أخيهم وأولاده ، كأنهم أغراب عنهم فهم لايعرفون غير المصالح فقط ، وحضورهم غير مرغوب فيه من الأساس عند صفاء وأكرم وياسين .

الشيخ حسن : (محدثا نفسه) سبحان الله ، هناك فرق كبير بينكم وبين صديقي ،

ثم تركهم يذهبون دون أن يتحدث مع واحد منهم ، كل رجل من أهل القريه حضر وسلم علي الشيخ حسن ويعرض كل منهم خدماته .

الشيخ حسن : أشكركم جميعا

ودعهم بكل حب ومودة واحترام ، كل القرية تعرف أن الشيخ حسن هو الأخ الحقيقي للحاج محمد .

الحاج محمد : صدق من قال ، (رب أخ لم تلده أمك ولكن تلده لك الأيام والليالي) .

نظر له الشيخ وشكره وودعه قبل أن يفتح فمه بكلمة تسيئ لإخواته الأشقاء ، فلا الوقت ولا المكان ولا أخلاق الشيخ تسمح بهذا الحوار .

بعد خروج الجميع ذهب الشيخ إلى الطبيب ليطمئن على صديقه ويعرف منه متى سيدخل لصديقه ، دق باب غرفة المكتب فأذن له الطبيب بالدخول وعندما نظر إليه قام وذهب معه غرفة الرعاية حتى يطمئن هو الآخر على الحاج محمد ، جعل طبيب الرعاية يسمح له بالدخول لبعض من الوقت ، بعد وصوله إلى الرعاية دخل الطبيب ومعه الشيخ حسن ، عندما وجد صديقه في هذه الحالة خر ساجدا على الأرض يبكي .

الطبيب : تمالك نفسك حتى لا أجعلك تذهب من هنا ، يوجد مرضى مثل الحاج في حالة حرجة جدا أكثر من حالة الحاج ، إحمد الله على سلامته ، هيا إذهب لتعرف ماذا يريد منك ، كي نخرج من هنا بسرعه ،

تماسك الشيخ حسن وذهب إلى صديقه فنظر له حتي ينحني ليخبره بما يريد حتي لايسمعه أحد ولأن صوته كان يخرج بصعوبه من صدره .

الحاج محمد : لاتجعل منى تعرف شيئا مما حدث أرجوك ، والتزم الصمت .

الشيخ حسن : إطمئن سوف أبذل قصارى جهدي كى لا تعرف منى شيئا الآن .

حضر الطبيب وقال هيا بنا ، خرج الشيخ حسن بظهره حتي لايغيب صديقه عن نظره ، فأمسك به الطبيب لأنه كاد يقع ، ثم خرجا من الغرفة ، لكنه ظل واقفا أمامه ينظر من خلف الزجاج لينظر إليه وهو نائم ، يقرأ له القرآن ويدعو له ويتضرع إلى الله أن يشفي له صديقه الوحيد ، فهما الإثنان يعرفان ما معنى الصداقة والوفاء والإخلاص .



بعد مرور وقت طويل قلق وليد على الحاج محمد ، وظل يسأل نفسه ماذا أصابه ؟ فقد أصبح الحاج محمد بمثابة والده وغاليا على قلبه ، اعتبره وليد صديقا وأخا أكبر وأبا ، أصبح يخشى عليه مثل والده تماما ، لكن وسوس الشيطان بوساوس شيطانه وإزداد قلق وليد على الحاج محمد ، وظل يوسوس الشيطان لعقله ، يصور له أشياء مرعبة .

إنزعج وليد عليه ، ظل يحدث نفسه ويقول : لقد تأخر كثيرا علي غير عادته ، كلما يدخل على منى يجدها نائمة ، يخرج مسرعا من الغرفه متجها إلى باب المشفى فلا يجد سيارته تقف أمام المشفى ، أصبح في حيرة من أمره ، ظل فى تفكير مستمر ، يقول لنفسه إن الحاج محمد خرج من غرفة منى غاضبا ولم يعد حتى الآن ، الوقت أصبح متأخرا ، حدثته نفسه قائلة سوف أذهب وأتصل به في منزله حتى أطمئن عليه ، ذهب مسرعا إلى مكتبه وقام بالإتصال ، لكن دون جدوى فلا أحد يرد عليه ، ظل هكذا طوال الليل مابين غرفة منى ومكتبه وباب المشفى ، يحمد الله أن منى مازالت نائمة ، العلاج النفسي يجعلها طول الوقت نائمة حتى ينتهي مفعوله ، خوفا من أن تستيقظ وتسأل على والدها ، لأنه لايعرف بماذا يجيب عليها ، عند آذان الفجر إستيقظت منى فلم تجد معها أحدا ، نظرت حولها فوجدت سيدة نائمة على السرير الذي بجوارها ، قامت لتشرب ماء فوقع الكوب من يدها فأفاقت الممرضة على صوت الكوب فقامت مسرعة .

منى : أين أبي ؟

الممرضة : لأعرف شيئا ، لقد أمرني الدكتور وليد أن أظل معك اليوم ، لأن والدك ليس هنا .

منى : أين الدكتور وليد ؟

الممرضة : هو في غرفة الأطباء نائم هناك .

منى : أريد ماء ،

شربت ونامت ثانية ، فهي في حالة استرخاء و نعاس شديدين وتغلبت عليها بسبب العلاج .

عند الصباح إستيقظ وليد وذهب لغرفتها ليطمئن عليها ، كان عنده أمل أن الحاج محمد قد عاد من الخارج ، وجدها وحدها ومعها الممرضة .

وليد : كيف حالها الأن ؟

الممرضة : لقد إستيقظت ، سألت عليكما أنت وأبيها وشربت ماء ونامت .

وليد : امكثي معها حتى أعود ، لا تتركيها تنزل من السرير لأن حالتها خطرة .

الممرضة : سوف أظل معها ، حتى تأتي ، لكن لا تتأخر يادكتور ، فقد انتهت نبطشيتي ، أريد أن أعود إلى منزلي فأولادي تركتهم عند أمي .

وليد : سوف أعود مباشرة بعد إجراء مكالمة تليفون ،

تركها وذهب ليتصل بمنزل الشيخ حسن ويكلم أشرف ويطمئن منهم ، حتى يجعله يذهب إلى منزل الحاج محمد ليعرف ماذا يفعل ؟ولماذا لم يأت إلى المشفى من صباح أمس ؟ قام بالإتصال ، فرد عليه أشرف وبعد التعارف .

أشرف : ما حدث للحاج محمد .

وليد : كيف حدث كل هذا ؟

أشرف : أن والده معه في مشفى المركز ،

فصعق وليد بما سمع ، أغلق التلفون دون أن يودع أشرف بكلمه واحده .

إتصل وليد بمنزله ليطلب أخته ملك تأتي إلى المشفى فورا .

الحاجة فاطمة : وحشتني يادكتور وهي تبكي ، ألم تتذكر أن لك أما ينفطر قلبها على غيابك كل هذه الشهور.

وليد : سامحيني يا أمي عندي شغل كثير وعندي حاله خطيرة في المشفى ، أنا الوحيد الذي أقوم على رعايتها .

ظلت أمه تدعي له أن يوفقه الله في عمله ويصل إلى أعلى المناصب وظلت تتحدث بفطرتها مع إبنها .

- وليد : دقيقه أعطيني ملك يأمي .

الحاجة فاطمة : سأعطيها لك ، لكن بعد أن أتحدث معك ياوليد أنت وحشتني .

وليد : ارجوكي ياأمي أريد ملك أعطيني ملك .

الحاجة فاطمة : لقد وجدت لك عروسة مثل القمر وأبوها مهندس وأمها موجهة في التربية والتعليم وأخواتها كلهم مسافرين في الخارج .

وليد : أعطيني ملك قبل أن أغلق الهاتف ،

سمعت ملك أمها وهي تتحدث مع وليد ، فجاءت مسرعة وأخذت من أمها الهاتف عنوة .

الحاجة فاطمة : أتركيني ياملك أريد أن أتحدث معه في موضوع العروسه .

ملك : سأفعل بعد أن أتحدث معه ، سأجعلك تتحدثين معه ،

أخذت ملك الهاتف ودخلت غرفتها ، أغلقت الباب حتي لايسمعها أحد .

وليد : أعدي حقيبة ملابسك وضعى بها ثياب كثيرة وأطقم داخلية لك ، لأنك سوف تجلسي مع منى في المشفى .

ملك : لماذا يا أخي ؟

وليد : عندما تأتي سوف أخبرك بكل شئ .

ملك : أمي لن توافق .

وليد : أعطيني أمك وقومي أنت بارتداء ثيابك ، سأرسل لك أشرف ليأتى بك إلى المشفى .

فرحت ملك كثيرا ، كادت الفرحة تتراقص في عيناها ووجهها وقامت مسرعة ، قامت وأعطت لأمها التليفون .

وليد : اتركي موضوع العروسة يا أمي الآن وإسمعيني جيدا .

الحاجة فاطمة : نعم ماذا تريد مني ؟! .

وليد : أنا طلبت من ملك إعداد حقيبة ثيابها لأنها سوف تقيم معي في شقتي بعض الأسابيع لأني محتاج لها معي .

الحاجة فاطمة : خذها على الأقل تريحني من كثرة حديثها .

وليد : سأرسل لها صديقي يأخذها بسيارته .

الحاجة فاطمة : صديقك هذا دكتور مثلك ؟ يارب تعجبه ملك ويخطبها ويريحني منها .

وليد : إرحميني يا أمي من هذا الكلام ، هو مهندس ليس طبيبا ، وسوف يخطب ملك فعلا ، لكن ظروفي لم تسمح بإخباركم في الوقت الحالى ، عندما أعود أنا وملك سوف نخبركم ونتفق على كل شئ ، لكن أرجوكي ياأمي لا تتحدثي معها في شئ ، سوف أتركك في رعاية الله الأن .

ترك الحاجه فاطمة وهي من كثرة فرحتها لم تتمالك نفسها فظلت ترقص في المنزل ، هى متوسطة الطول ، نحيفه جدا ، بشرتها بيضاء .

ملك : مابك ياأمي قامت بتقبيلها وحضنتها .

الحاجة فاطمة : سوف يأتي عريسك ليأخذك بسيارته ليوصلك لأخيك .

ملك : ماذا تقولين يأمي ؟

الحاجة فاطمة : أخوك وليد قال لي أن صديقه طلب يدك منه وسوف يأتي ليأخذك يوصلك له في المشفى ،

سكتت ملك ودخلت تكمل لبسها من خجلها فأمها لن ترحم خجلها ،

وقالت أخوك سوف يتصل به ، هو قال لي هذا إبني حبيبي لايمكن يخبئ على شئ .

قام وليد بالإتصال بأشرف وأخبره أن يأتي ليوصل ملك إلى المشفى ، أعطاه عنوان المنزل ، ظلت أم وليد ترقص حتي وصل أشرف إلى منزل وليد ، دق الباب ، فتحت أم وليد بتلقائية ، سلمت عليه بكل حرارة ، مسكت بيده ليدخل ويشرب الشاي ، فاعتذر لأنه مستعجل جدا وعنده شغل ، خرجت ملك وعلى وجنتيها تفتحت الزهور، علي وجهها خجل كبير ، فاستأذن أشرف من الحاجه فاطمة ، وأخذ ملك وذهب بها إلى السيارة ، قام بفتح الباب وصعدت ملك وجلست في المقعد الأمامي بجوار أشرف ، في الطريق تبادلا الحديث .

ملك : لماذا أخي يريد أن أقيم مع منى في المشفى ؟

أشرف : لم أعرف شيئا ، وليد طلب أن أوصلك إلى المشفى فقط ،

سكتت لأنها وجدته حزينا شاردا جدا ، هي تريد أن تسأله ماذا به ومايعانيه من آلام وأحزان ؟، لكنها لم تتجرأ على سؤاله مرة ثانية من شدة خجلها ، وظلت طول الطريق تراودها نفسها أن تسأله ، لكن عقلها لم يقدر على ذلك فالتزمت الصمت حتي وصل بها إلى باب المشفى ، دخلت المشفى ، ذهبت إلى غرفة منى فوجدتها نائمة ووليد جالس معها هو والممرضة ، فنظر وليد إلى أشرف فلوَّح أشرف برأسه يمينا ويسارا وكأنه فهم ماذا يريد منه وليد .

وليد : موجها حديثه للممرضة يمكنك أن تذهبي ، ياملك سوف تمكثين مع منى ، إن حدث شيئا لها إذهبي الى الدكتور أمجد فهو سوف يقوم باللازم ، حتى أعود .

ملك : هل تتركنا وحدنا قال لها أنت هنا في مقر عملي والكل يعرفك هنا لاتخافي كل العاملين هنا سوف يقوموا علي تلبية طلباتك ، إذا طلبت منهم شيئا ، أنا سوف أذهب مع أشرف ليقوم بتوصيلى .

ملك : أين سيارتك؟

وليد : عند الميكانيكي .

ملك : سوف أنتظر عودتك فلا تتأخر علي .

وليد : لا تقلقي سوف أعود بأقصى سرعة بعد إنتهاء عملي ، لكن لا تتركي منى وحدها وتذهبى إلى أى مكان ، لأن حالتها خطر .

ترك وليد أخته وذهب مع أشرف متجها إلى مشفى المركز حيث يحتجز الحاج محمد ، ليطمئن عليه أولا .

عند وصول أشرف ووليد إلى باب المشفى دخل وليد أولا ، لم ينتظر أشرف ، تركه يركن سيارته ، ذهب مسرعا إلى داخل المشفى ، وجد أكرم وأخوه وأمه أمام السلم ، سلم عليهم وطمأنهم على حالة منى في عجالة ، إستأذن منهم وصعد هو السلم مهرولا إلى الدور الثالث حيث غرفة الرعاية ، وجد الشيخ حسن جالسا على ركبتيه أمام الغرفة ينتظر خروج صديقه ، سلم عليه في عجالة ، ثم ذهب مسرعا ليطمئن على الحاج محمد من الطبيب ، ذهب إلى غرفة الأطباء وسأل عن الطبيب فلم يجده ، فسأل التمريض

الممرضة : إنه يمر في قسم الجراحة .

وليد : ماهو اسمه اوصفي لي شكله .

الممرضة : اسمه الدكتور توفيق ، هو متوسط الطول ، ليس له شعر في رأسه ، نحيف ، بشرته سوداء .

ذهب وليد يبحث عنه بنفسه ، كلما يقابل أحدا يسأله عنه ، إلى أن قابل رجلا كان يتمشى في الطرقة بعد أيام من إجراء العملية له سأله فقال الرجل : هو في غرفة ١٠ في قسم الرجال ، ذهب بعد أن وصف له الطريق ، دق الباب ، أذن له بالدخول عرفه بنفسه ، رحب به وأخذه في يده وخرج من الغرفة ، ليتحدث معه بعيدا ، حتى لايزعج المريض .

وليد : ما هي حالة الحاج محمد ؟

دكتور توفيق : هو الآن بخير ولكنه فقد الكثير من دمه ، لقد قمت بفحصه في الصباح وحالته مستقرة الحمد لله ، الرصاصة كانت بالصدر ولكنها بعيدة عن القلب ، كأن الذي أطلق الرصاصة يجيد إطلاق النار .

وليد : الإثنان يجيدان إطلاق النار ، هل أصيب أحدا آخر؟

دكتور توفيق : لا هو فقط ، سوف ننقله بعد ساعة إلى غرفته فحالته مستقرة ، لكنه نزف دما كثيرا جدا ، ولا أحد يرهقه بالكلام .

وليد : سوف أذهب معك حتى تطمئن عليه ، وأكون معكم عند خروجه من الرعاية وأطمئن عليه ، ذهبا معا وهما في طريقهما إلى الرعاية وجدا الشرطى واقف أمام الغرفة .

الدكتور توفيق : ما سبب تواجدك هنا ؟

الضابط : نريد أن نأخذ أقوال المجني عليه إذا كانت حالته تسمح بالحديث .

الدكتور توفيق : لا ليس الآن ربما بعد ثلاثة أيام لأن حالته غير مستقرة ، ذهب الشرطى من أمام الغرفة ، دخل وليد مع الدكتور توفيق إلي الرعاية . عندما نظر له شحب وجهه وقام بسأله،

الحاج محمد : هل مني تعرف شيئا عن الحادث

وليد : لا لم نخبرها بشئ ، إطمئن إنها بخير ، المهم الآن صحتك أنت .

الحاج محمد : لأحد يخبرها بشئ حتى أخرج أنا من المشفى ، سأخرج من هنا اليوم ، نظر له الدكتور توفيق ووليد .

الدكتور توفيق : حالتك لاتسمح بالخروج .

الحاج محمد : سوف أخرج على مسؤليتي الخاصة ، إبنتي في أشد الحاجة لي الآن .

الدكتور توفيق : لا لن تخرج حتى تستقر حالتك ونطمئن عليك وتصبح بخير ، سوف نقوم بنقلك الآن إلى غرفتك وبعدها يفعل الله مايريد ، فلا تتعجل حتى لا تصاب بنزيف فالجرح كبير ، حالتك خطيرة ،

أمر بخروجه من الرعاية إلى غرفته ، أخذه وليد وأجلسه على كرسي متحرك وخرج به من الرعاية متجها إلى غرفته في قسم الجراحة ، دخل به الغرفة فوجد زوجته وأولاده وأشرف والشيخ حسن ، ينتظرونه داخل الغرفة ، عندما وجدته زوجته إزدادت بكاء ونواحا وكأنه مات ، نظر لها وقال

الحاج محمد : إطمئني أنا بخير ،

أكرم خر ساجدا على ركبتيه يقبل يده وقدميه ويحمد الله علي سلامته ، ياسين وقف يبكي من بعيد خائفا أن يهرول إليه ويحتضنه فيؤلمه ، ظل ينظر من بعيد مع البكاء المستمر فهو مازال طفلا ، بعد أن رفعه أشرف ووليد وأكرم إلى السرير ووضعوه .

الحاج محمد : أريد أن أجلس نصف جلسه .

وليد : لايجوز فقد تضغط علي صدرك .

الحاج محمد : إذن إرفع السرير أريد أن أتحدث معك أنت وأخي حسن ، أخرج أشرف وأكرم وصفاء وياسين .

وليد : أريد أن أخبرك بشئ قبل أن تقوم بأي فعل يجعلك تندم عليه في المستقبل .

الحاج محمد : ماهو هذا الشئ الذى يمنعنى عن أخذ حق إبنتى ؟

وليد : مني حامل من هذا الرجل ، وحالتها غير مستقرة .

الحاج محمد : كيف حدث ذلك ؟

وليد : هذا ماحدث ونحن لم نعرف إلا بعد ما أجرينا لها الفحوصات اللازمة .

الحاج محمد : سوف أعمل لها عمليه إجهاض .

وليد : لايمكن لأن أي عملية ستعرض حياتها للتهلكة ، حالتها خطيرة جدا بعد الغيبوبة وفقدان جسدها للأملاح المعدنية ، وعدم غذائها الطبيعي ، نحن حاولنا أن نضحي بالجنين من أجل حياتها ولكن هما الاثنان حالتهم خطرة ، لكن الله له في ذلك حكمة

وقع هذا الخبر عليه كالصاعقة ، فدمعت عيناه وبكي بشدة ،

تمتم بشفتيه : أنا السبب في كل ماتعانيه إبنتي ، ياليتني مت ولم أرها تتصارع مع الحياة هكذا ، كل ماكتبه الله أنا متقبله وأكثر من ذلك ، قل لن يصيبنا إلا ماكتبه الله لنا ، سأله هل منى تعرف أنها حامل ؟

وليد : لا لم يعلم أحد فنحن نحاول أن ننقذ حياتها ، لكن لايوجد عندها رغبة في الحياة .

الحاج محمد : كيف تكون أم في هذا السن .

الشيخ حسن : لماذا تقول لنفسك هذا الكلام؟ ، ألم تعرف أنها سوف تصبح أمًّا فى هذا العمر قبل أن تزوجها ؟

الحاج محمد : ماحسبت حساب هذا يا أخى .

الشيخ حسن : قل لى ماذا تقول للشرطه؟ هل ستدخل زوج إبنتك ووالد حفيدك الأول السجن ؟

الحاج محمد : ماذا أفعل ياصديقي؟

الشيخ حسن : عفا الله عما سلف ، انس ماحدث ، قل للشرطة أن الرصاصة خرجت من المسدس خاصتك بالخطأ وأنتما تتشاجران .

الحاج محمد : لا لن أفعل ذلك حتى يطلق مني .

الشيخ حسن : نأخذ عليه تعهد أنه يطلقها .

الحاج محمد : إذن اذهب له وتحدث معه وهدده إن لم يطلقها ويمضي على التعهد ، سوف أدلي بشهادتي إلى الشرطة وسوف يدخل السجن ويحطم مستقبله .

الشيخ حسن : سوف أفعل .

وليد : لابد من إخباره أن منى حامل فهذا والد الطفل الذي بداخلها .

الحاج محمد : هل عندك مانع في طلاق منى ؟ هل لك رأي آخر ؟

وليد : لا ليس لي رأي أخر ، لكنه من حقه أن يعرف .

الحاج محمد : سوف أخبره بعد طلاق مني .

وليد : هل تضمن ردة فعله بعدها ؟

الحاج محمد : نعم لن يقدر على المساس بها مره ثانية ، أترك الأمر لي سوف أحله بطريقتي ، وسوف يساعدنى الله علي ذلك .

الشيخ حسن : يفعل الله مايريد .

الحاج محمد : إذهب ياولدي من أجل منى ، هي لاتعرف شيئا وسوف تقلق علينا .

وليد : ماذا أقول لها عندما تسألنى عليك .

الحاج محمد : قل لها أن والدك ذهب إلى الإسكندريه ليقوم بالعزاء ، إن سألت عزاء من قل لها زوج وفاء إبنة عمة والدك الحاجة فاطمة .

وليد : هل لك عمه إسمها فاطمه حقا ؟

الحاج محمد : نعم وكنت أحبها أكثر من أمي ، لكنها توفيت بعد وفاة منة إبنتي مباشرة ،كانت أول جسد ينام في حضن منى إبنتي .

وليد : منى من ؟ منى مازلت على قيد الحياة ؟

الشيخ حسن : تعال أحكي لك قصة منى التي توفيت ، بعد إذنك يا أخي .

الحاج محمد : هل تستأذن ؟ كلهم أولادك مثل أشرف وكريمة .

الشيخ حسن : قصة من الأولى كاملة ، كيف أخذت أختها أسمها وعمرها .

وليد : يا حاج محمد لقد ظلمتها كثيرا ياعمي .

الحاج محمد : كنت أظن أني أفعل الصواب ، المهم قل لها هذا الكلام ، وسوف تصدقك .

وليد : كيف وهل هى توفيت حقا؟

الحاج محمد : نعم توفيت ، لكني تحت الظروف التي أنا فيها قمت بعزاءها في التليفون ووعدتها أن أقوم بزيارتها بعد تحسن الأمور .

وليد : لكنك تعرف منى جيدا وتعرف أفكارها .

الحاج محمد : لاتخاف ، سوف أخرج من المشفى وأذهب إلى المشفى التي توجد بها منى ، سوف نجعل الدكتور أمجد يفحص الجرح كل يوم دون أن تعلم منى .



ذهب وليد وتركهم وظل يفكر بكل الظروف التى مرت بها منى ، من يوم ولادتها وأخذها لإسم أختها ، وعدم ذهابها إلى المدرسة مثل الأطفال التى في مثل عمرها ، ظروف زواجها فى هذا العمر ، ظل يتحدث مع نفسه وكأنه يعاتبها لأنه تخلى عنها ، عندما طلب منه والدها الإبتعاد في أول مقابله له بها ، تذكر كيف كانت جميلة وكلها حيوية ظل يفكر في حياة منى السابقه ، يتمنى لها سعادة دائمة ، هام بخياله وهوجلس بداخل التاكسى متجها إلى المشفى ، حيث قلبه الذي تركه بداخلها ، عند وصوله إلى باب المشفى ، خفق قلبه من شدة شوقه لمنى ، أسرع الخطى متجهآ بكل جوارحه إلى غرفتها.

دق الباب فوجد ملك نائمة على السرير بجوار منى ، منى مستيقظة ومسترخية على السرير وشاردة .

وليد : لماذا ملك نائمة ؟

منى : استيقظت فوجدتها نائمة فتركتها ولم أرغب في أن تستيقظ حتي لانتحدث ، فأنا لاأريد أن أتحدث مع أحد الآن ، وملك تتحدث كثيرا ، فضحك .

وليد : هل تعبت منها ؟ عندك حق ، إن ملك كثيرة الحديث ، لكنها حنونة وطيبة جدا وتحبك جدا ، فابتسمت .

منى : نعم أعرف ، أنا أحبها أيضآ فهي مثل أختي ، لكن أين أبي ؟ لم أسمع صوته منذ صباح الأمس ؟ أين ذهب وتركني ؟ قلبي يحدثني أنه أصابه مكروه ، لا أعلم لماذا أشعر بهذا الشعور .

وليد : لاتقولي هذا الكلام ، عمي بخير هو ذهب إلى الإسكندريه في عزاء .

منى : عزاء من ؟

وليد : زوج وفاء إبنة عمته .

منى : عمتي وفاء زوجها توفى ؟

وليد : نعم توفي وعمي ذهب لعمل الواجب .

منى : لا لم يذهب ، أنا أعرف أبى جيدا .

وليد : هل اكذب عليك ؟ وآتي لها بكوب من اللبن لتشربه ، رفضت اللبن ، ظلت تقول أبي لايمكن أن يتركني هكذا ويذهب ، أنا أعرف أبي جيدا .

وليد : اطمئنى عليه ، جلس بجوارها يلاطفها ويداعبها ويقول لها هل أنت مكشوف عنك الحجاب فتقرئين الغيب ؟ .

منى : لا تسخر من كلامي هذا إحساسي وأنا أقوله كما أشعر به .

وليد : إحساسك هذا خطأ .

منى : أريد أن أسمع صوته في التليفون ، أرجوك خذني إلى مكتبك لأتصل به وأسمع صوته .

وليد : لماذا تريدين سماع صوته ؟ ألست حزينة ومقهورة من تصرفاته معك ، تريدين أن تعاقبيه ، ألم تشعري به عندما كان يريد أن يضمك ويحضنك بين ذراعيه ؟ وقمت بصده وإبعاده عنك .

منى : هل شققت عن قلبى ؟ هل كنت تشعر بألام روحي وأنا أفعل ذلك ؟ هل شعرت بكياني وهو يحترق ؟ هل نظرت إلى أشلاء قلبي المتناثرة وأنا أنظر له وهو يتعذب ؟ لكنه قام بتربيتي على ذلك ، علمني دفن المشاعر والأحاسيس بين ضلوعي ، وإخفاء آلامي وأحزاني عن أي أحد ، كنت أنظر إليه وأتحسر على حاله وحالي .

وليد : قلبك بغض ولدك للحظات ؟

منى : كيف يبغض قلبي من سكن نبضاته من كان لي ونيسا ، من كان لي سندا ، نغضب من الذين نحبهم على قدر حبنا لهم ، أما بالنسبه لأبي فهو كل شئ .

وليد : هل التمست العذر له .

منى : أي عذر يجعل أب يقذف بإبنته إلى التهلكة ، لكني أفهم طبيعته جيدا ، لأني أعرفه إزداد غضبي منه ، لأني كنت أعتقد أنه دائما وأبدا يفعل الصواب ، أنه لا يخطئ ، هذا كان سبب صدمتي وغضبي منه .

تتقلب ملك من اليمين إلى اليسار وهي نائمة على الفراش ، لكنها مستيقظة ، تمثل النوم حتي تسمع الحوار الذي يدور بين منى ووليد ، هي تشعر بوجود شئ ما بداخل أخيها لمنى ولكنها لم تصدق إحساسها وتكذب نفسها .

وليد : بماذا تشعرين تجاه والدك؟

منى : أصبحت أتعامل مع البشر بظاهر الأمور مثلما تعلمت منك .

وليد : هل مازلت تشعرين بالغضب من والدك ؟

منى : نعم ، سأبقي غاضبة منه ، لكني لا أعلم متى سيزول هذا الغضب ؟ فكل مايريحني الآن هو أني علمت أن أبي ليس ملاكا ، ولا هو من الأنبياء حتى يكون معصوما من الخطأ ، بل بشر مثلنا قد يصيب وقد يخطئ ، قد يصدق القول أو يكذب ، قد يوعد و يخلف وعده ، هذه الظروف التي مرت بي علمتني الكثير ووسعت أفقي للحياة ، جعلتني لا أبكي على اللبن المسكوب ، بكائي على اللبن المسكوب كصراخي على قلبي الذي توقفت نبضاته على مشاعرى وأحاسيسي التى قمت بدفنها في قبو تحت الأرض ، هذه منى الجديدة ، الظروف حكمت على منى الطفلة الجميلة الوديعة التي كانت تسكن روحها البراءة والحب والطيبة والعفوية والتلقائية ، أصبحت تخاف من البشر أصبحت تهرب من نفسها إلى نفس أخرى ، علمتني الظروف أن أحتفظ بدروس الآخرين وأتعلم من أخطائهم ، جعلتني أتمسك بكوب الماء في يدي حتى لايقع مني وأحتاج لمن يمد لي يده ليروي ظمئي ،

تعلمت أن البكاء ضعف وأن الضعف سيجعلنى فريسة للضباع الضالة ، هذه منى الآن لا هي طفلة لا فتاة ولا أنثي ولا إمرأه ، بل مزيج منهم جميعا ، قررت أن أحيا بروح طفلة ولا أقتلها بداخلي ماحييت ، وأتجسد في جسد فتاة وأنثي ، لأواصل حياتي بعقل إمرأة ناضجة متزنة الأفعال ، إن الحدث الذي لم يُودِ بحياتي إلى الهلاك ، سوف يقوي عزيمتي ويجعلني أواصل حياتي ، لكن سوف أكون مثل شجرة الجميز ظاهرها قوي ومتين ، لكنها من الداخل خاوية ، لكن مايميزها أن جذورها تشق الأرض لتبحث لها على البقاء لا الفناء .

وليد : متى تعلمتِ كل هذه الحكم .

منى : من مر الحنظل ومن شوك زرعة الصبار ومن جمال زهرة الصبار التي تفتح بلونها الفتان في وسط الشوك الذي يحيط بها .

منى : ألن تستيقظ ملك بعد كل هذا الكلام !

وليد : ملك في الطبيعي نومها عميق جدا ، والدتي كانت تظل توقظها قبل ميعادها بساعتين ، حتى تفيق من نومها ضحكت مني بصوت عالي ، هذه الضحكة كانت بمثابة أمل وسعادة لوليد ، أول مرة يسمع ضحكتها .

وليد : أرجوك ظلي مبتسمة وإجعلي الضحكة لاتفارق وجهك ، رجائي أن تنسي أوجاعك وتفكري في المستقبل بنظرة تفاؤل ، نحن جميعا بجوارك .

منى : المستقبل مثل الماضي سوف أخرج من المشفى وأعود لما كنت فيه فهذا قدري ، لا مفر من قدر الله .

وليد : لاتفكري في الماضي ، ربما يفعل الله مالا تتوقعيه ، وتنقلب الموازين وتصبحين فى المستقبل أسعد إنسانة ، ألست مؤمنة أن الله قادر علي كل شئ .

منى : نعم أنا مؤمنة بضاء الله وقدره ،

وليد : ونعم بالله ،

منى : قام قلبها بالدعاء قائلا : اللهم أبدل حزني سعادة ، حتى إن كانت السعادة ليست مقدرة لي فى الدنيا ، فلا تحرمني منها في الآخرة .

وليد : أشعر أني أتكلم مع إمرأة فاض الكيل من عمرها وأصبحت في سن الكهولة .

قالت منى : لما لا ، قد كبر عقلي وأصبح في سن الكهولة .

وليد : سوف أتركك قليلا و أعود بعد لحظات .

منى : إلي أين ذاهب ؟

وليد : أنا ذاهب إلي دكتور ماجد .

منى : أنا أشعر بألم شديد في بطني ، لم أعلم سببه ودائما أشعر بغثيان .

وليد : هذا طبيعي لأنك لم تتناولي طعاما منذ مدة سوف تشفي تماما من كل هذه الأعراض التي تشعرين بها .

منى : لم أشعر بالجوع ولا العطش ، لكني سوف أحاول .

عندما وجدت ملك أن أخيها سوف يخرج من الغرفة ، استيقظت من نومها المفتعل ، قامت من على السرير .

وليد : الحمد لله انك أفقت من غيبوبتك ، هيا ياصغيرتي محتاج أرى مهارتك في إطعام صديقتك ، هل تنجحين أم تفشلين مثلما فشل أخوك في إعطائها كوب اللبن .

منى : لاتغضب ، لم أرغب في شرب اللبن ، معدتي تؤلمني كثيرا .

علم وليد أنها تشعر بأعراض الحمل ، نظر لها ولم يتفوه بكلمة ، هو يخشى عليها من سماع الخبر ، تركها مسرعا قائلا وهو يمشى مسرعا .

وليد : سأذهب لأمجد وسوف أسأله على دواء لك ، وهرب وليد من الموقف .

خرج وليد من غرفة منى وبداخل فمه طعم المرار ، كانت هذه الأيام أشد قسوة عليه وعليها ، أيام عصيبة متجمدة المشاعر من شدة برودتها ، غالب عليها الشرود ومرارة الشهور السابقة ، ذهول وتفكير فى الشهور القادمة الطويلة التي سيحتجبها بداخل نفسه وتسحب عليه غشاوة من الألم ، تتناثر داخل عقله مثل السحاب الذي ساقته الرياح بين يديه وعندما وصل إلى باب غرفة أمجد .

فتح عليه الباب ، جلس بدون أن يتحدث ، ظل صامتا .

أمجد : مابك ؟ هل حدث شئ ؟

وليد : لقد أصيب الحاج محمد برصاصة .

أمجد : كيف حدث ذلك ؟

وليد : هذا ماحدث ياصديقي ، ثم سأله هل منى تعلم ماحدث لوالدها ؟

وليد : لا لم أخبرها بشئ ، حالتها لم تتحمّل أي أخبار سيئة ، لكنها تشعر بأعراض الحمل ، لكن لم أستطع إخبارها ولا أعرف متى أقول لها .

أمجد : سوف أجعل سماء زوجتي تخبرها فهي طبيبة نساء وولادة ، هي الطبيبه التي سوف تباشر حملها ، هي أنثي مثلها ، سوف تعرف كيف تبلغها الخبر .

وليد : نعم سوف أنتظر إلى أن تأتي الدكتورة سماء ويشفي والد منى ، لكن لا تنسى أن تبلغ سماء أن تأتي من وقت لآخر لتباشر حالتها الصحية ، هي لاتتغذى جيدا وتأخذ مهدئات كثيرة ، أخاف أن يؤثر هذا الدواء علي صحتها هي والجنين .

أمجد : هل مازلت تحبها ومتمسك بها ؟

وليد : أكثر من الأول يا أخي ، أنت لم تجلس معها وهي تتحدث وتستمع لكلامها ومنطقها وحكمتها في الحياة ، ستسحر بكلامها وأسلوبها وطريقتها في مزج الكلمات .

أمجد : أنت مفتون بها لأنك تحبها .

وليد : ربما ياصديقي ، سوف أذهب لأطمئن عليها وعلي ملك ثم أقوم بالإتصال على الحاج محمد حتى أطمئن عليه .

أمجد : قلبي معك ياصديقي ، أنت أصبحت تعيش في دوامة ، لا أحد يعلم متى ستخرج منها .

وليد : هذا قدري ياصديقي قم بالدعاء لي أن أخرج من هذه الدوامة ويحقق الله لي أمنيتي .

أمجد : والله إني أدعو لك في كل صلاة قبل أن تطلب مني فأنا أحمل همك .

خرج وليد من الغرفة ، ذهب إلى مكتبه ، قام بالإتصال على الحاج محمد واطمئن عليه ، ثم ذهب إلى غرفة منى ، ثم استأذن من ملك ومنى ليخلد للنوم في غرفته ، ترك منى وملك ،

منى: جفاها النوم من قلقها على ولدها ،

وملك : قد جفاها النوم من مناوشات العقل ، شاردة بأفكارها تطير فوق السحاب مع فارس الأحلام ، أصبحت الغرفة في سكون تام ، كلمات بلا حروف تكتب بهمسات كل منهما ، كل واحدة تناجي البدر ، منى : في حالة من السكون وكأنها تناشده ،

كان البدر مكتملا وبازغا ينظر لهم من فوق السحاب ، كأنه يؤنس وحدة كل منهما ، بعدها داعب النوم جفنيهما وخطف سكناتهما .

ذهب القمر مسرعا إلى غرفة الحاج محمد ليوصل رسالة و أشواق إبنته ولهفة قلبها عليه وقلقها ، وجد عينيه تداعباه وتهمسان وتناجيان القمر ، تتساءلان هل رأيت منى ؟ وكيف حالها ؟ هل مازالت غاضبه ؟ أم رق قلبها لي ؟ هل فراقي عنها يترك في نفسها أثرا مثل الماضي ؟ أم أن الزمان الذي كان لم يعد مثلما كان ؟ ظل شاردا يناجي القمر بعينيه وروحه وقلبه ، يجلس بجواره صديقه الشيخ حسن فقد أصبح متفرغا له ولم يرغب في تركه مطلقا ، حتى يطمئن عليه .

ترك البدر الحاج محمد، وذهب لأشرف ليهمس في قلبه برسالة ملك ، ظل البدر في هذه الليلة يتناقل من مكان إلى مكان ، من شرفة العاشق إلى شرفة المشتاق ، كل منهما ينتظر الغد بكل مافيه ، ينتظر شروق الشمس ، يتمني أن يأتي الغد بهمسات الفرحة التي يتمناها كل منهما ، تركهما البدر وجاء بزوغ الفجر بنسماته وهمسات شعائره وأصوات الإبتهالات والمقرئين لكلمات الله ، كل منهما روحه هائمه فيما تسعى لتحقيق أمنياته ، جاء الغد ولايحمل معه غير الذي حمله اليوم من أحداث ومواقف وكلمات ومشاعر بالخوف والتمني .

بعد مرور أيام والحاج محمد يقيم في المشفى طريح الفراش ، نظر إلى صديقه الشيخ حسن الذي لم يفارقه ساعة واحدة بعد الحادث ، طلب منه أن يذهب لزيارة علاء في مقر الشرطة العسكرية ، يطلب منه أن يطلق منى مقابل أن أدلي بشهادة تخرجه من السجن وتحافظ على مستقبله ويقوم بالتوقيع على إقرار بعدم التعرض لمنى ، خذ المحامي معك لعمل اللازم .

الشيخ حسن : سوف أفعل ماتريد ولكن بعد خروجك من هنا .

الحاج محمد : لا بل اليوم ، اتصل بالمحامي وخذه وإذهب له حتى يطمئن قلبي ، أنت تعلم أني طلبت من الدكتور توفيق يؤجل ميعاد الشرطة للإدلاء بأقوالي حتى أطمئن منك أن علاء سوف يطلق منى .

الشيخ حسن : سوف أذهب ، تركه وذهب هو والمحامي لعلاء ، بلغه رسالة صديقه بالكامل مع بعض من النصائح ، حتى يحافظ على وظيفته ومستقبله ، يلتفت لمستقبله ويترك العند ، يترك منى لحال سبيلها ، يتعهد بعدم التعرض لها .

علاء : لكني أحبها وأرغب أن أكمل حياتي معها .

ثار الشيخ حسن قائلا : ألا تفهم ما أقوله لك ، سوف يضيع مستقبلك وتدخل السجن وتقول أحبها ، سوف أتظاهر بتصديقك أنك تحبها ، هل من يحب يفعل مثلما فعلت بها ؟ ألم أكن شريكك أنت وصديقي في تدمير حياتها ؟ .

علاء : كيف كنت شريكي ؟

الشيخ حسن : ألا تذكر يوم أن جئت لكما وأقنعتها أن تقبلك زوجا لها ، ماذا فعلت أنت بعدها ؟ أرسلتها إلى الهلاك أليس كذلك ! ، هل تعرف معنى الحب ؟ . الحب ياولدي هو أن تنكر ذاتك ، أن تضحي من أجل من تحب ، أن تحمي محبوبك من الهلاك ، أن تقوم بإحتوائه وضم مشاعره وأحاسيسه ، أن تسعد قلبه ، أما الذي فعلته لايفعله عدو بعدو ، ليس حبيب بحبيبه ، هذا يابني أسمه حب التملك ، أنت تريد أن تمتلك جسد والجسد يابني سرعان مايأكله الثرى فالجسد فاني ، أنت فشلت في إمتلاك الروح ، فخسرت إمتلاك الجسد ، فكر في كلامي ، لا تتسرع في أخذ القرار أمامك للمساء حتى تدلي بقرارك للمحامي ، وتقوم بإمضاء كل مايطلبه منك ، حتى تخرج نفسك من حبسك وترجع لعملك وترد لك وظيفتك ، لأنه إذا شهد عليك الحاج محمد بأنك حاولت قتله سوف يضيع منك كل شئ وسوف تدخل السجن ، بعدها يقوم برفع دعوة طلاق ، سوف تطلق منى بحكم محكمة ، يقول هذا الكلام وهو لا يعلم أن علاء برئ من دم الحاج محمد فهو لم يخبره الحقيقة ، لا يتحدث معه في هذا الأمر مطلقا حتى لايطر للكذب لأن هذا الأمر ضد مبادائه فهو إن سئل سوف يقول الحقيقة .

علاء : أنا برئ ، المسدس ملك الحاج محمد ليس ملكي ، هو فعل ذلك حتى يرغمني على الطلاق ، فثار عليه الشيخ حسن وغضب منه .

الشيخ حسن : صديقي لايفعل ذلك مطلقا ، إن فعل هذا فأنت الذي أجبرته على فعل ذلك ، ألا تذكر أني جئت لك حتى نقوم بحل المشكلة ، أنت أصريت على عنادك ولم ترغب في حلها بطريقة سلمية ، لكن مع هذا أنا لا أعلم ماحدث بينك وبين صديقي ، الذي حدث لايعلمه غير الله ، وأنتما الإثنان ،

استأذن منه وقبل أن يخرج قال فكر في كلامي هذا .

علاء : أريد أن أتحدث مع منى أولا قبل أن أقرر أي شئ ، لقد علمت أنها أفاقت من الغيبوبة .

الشيخ حسن : منى مازالت في المشفى ، فقد أصبحت أطلال بشر وبقايا أنثى ، بسببك أنت ووالدها، وسببي أنا أيضا ، وسوف أظل أكفر عن ذنبى علي مافعلناه فيها ، سوف أنتظر قرارك قبل الغد ، أستودعك الله ، تركه الشيخ حسن ، ذهب مع الأستاذ حازم المحامي الى الحاج في المشفى حتى يوقع له على التوكيل ويتحدث معه فيما حدث مع علاء .

بعد وصولهم إلى المشفى وجد الحاج محمد مرتديا ملابسه ذاهبا إلى منى ، أوقفه الشيخ حسن .

الشيخ حسن : أنت مازلت مريضا ، لايمكن خروجك إلا بأمر الدكتور توفيق .

الحاج محمد : قلبي يؤلمني من كثرة غيابي عنها ، أريد أن أنظر إليها فقط وأطمئن عليها .

الشيخ حسن : أجلس يا أخي نريد أن نتحدث فيما دار بيني وبين علاء .

الحاج محمد : ماذا قال لك ؟

الشيخ حسن : يريد أن يتحدث مع منى قبل أن يقرر ماذا يفعل .

الحاج محمد : لن أسمح له أن يراها مرة ثانية .

الشيخ حسن : لا تنسى أنه والد الطفل الذي في رحمها .

الحاج محمد : هذا فقط مايجعلني أتراجع عن دخوله السجن وتحطيم مستقبله ، فلولا ذلك الطفل لجعلته يقضي شبابه في السجن .

الشيخ حسن : أنت لم تخبرني عن ماحدث بينك وبينه ، لماذا أطلق عليك الرصاص بمسدسك أنت ؟ هل كنت ترغب بقتله وقام هو بالدفاع عن نفسه .

الحاج محمد : سوف أخبرك بعدما أنهي هذه المسألة وأحل مشكلة منى أولا ، بعدها أخبرك بكل شئ .

الشيخ حسن : سوف يقنعه والده بالطلاق .

الحاج محمد : هل قابلت والده ؟

الشيخ حسن : نعم قابلته وأنا خارج من عند علاء وطلبت منه أن يقوم بإقناع إبنه ويجعله ينفذ كل ماطلبت .

الحاج محمد : وماذا قال لك ؟

الشيخ حسن : كان رده انه سوف يقنع ابنه ، ثم تركني وذهب له ، وأتينا نحن إلى هنا .

بعد رحيل الشيخ حسن دخل والد علاء لزيارة علاء فوجده جالس في الغرفة ولم يرافقه أحد بل شارد حزين ، دخل وجلس بجواره وتكلم معه وطلب منه أن يطلق منى حتى ينقذ مستقبله وحياته .

علاء : أنا أحبها يا أبي .

والد علاء : أنت لم تحبها، لا لم تحبها ، لو أحببتها مافعلت بها هذا كله ، قد غلبت عليك رغبتك وغريزتك فى الإنتقام منها بسبب هجرها لك ونفورها منك ، لم تقدر طفولتها وبراءتها ، بل تملكك الغرور وحب الإمتلاك والسيطرة على طفلة ضعيفة لم تعرف أي شئ عن العلاقة الزوجية ، أنا أحذرك ياعلاء من أن تستمر في زواجك هذا ، سوف تقضي على حياتك وحياتها ، هي لن تنسى مافعلته بها ، حياتك كلها سوف تظل تعيسة يابني ، أنا أنصحك لأني أخاف عليك وأحبك ، إنها لن تغفر لك ، إتركها ياولدي ، سوف تتزوج من يفوقها جمالا ، أنت ضابط وكل الفتايات تتمنى أن تتزوجك ، سوف أزوجك من يفوقها جمالا وحسبا ونسبا .

نظر له بكل تكبر وعناد وصلابة رأي ، لا لن أطلقها لن أتركها لرجل غيري يتمتع بها ، أنا لن أتركها غير مجنونة أو جثة هامدة .

المحامي : نحن ننصحك يا علاء الحاج محمد رجل ليس سهلا وسوف يدمرك ويدمر مستقبلك ، هو لن يتركك تعذب إبنته أكثر من ذلك ، هو رجل محنك ومثقف وعنده فطنة يعي تماما ما الذي يفعله ، أنت لن تأخذ معه وقت حتى يدمر حياتك .

والد علاء : أنت نظرت بعينيك ياولدي ماذا فعل بك الأن ؟!

علاء : سوف أطلقها إذهب له وقل أني سوف أطلقها ، لكن بعد إثبات براءتي .

تركه والده هو والمحامي وذهب إلى الحاج محمد المشفى ، عرض عليه أن يتصالح معهم ويثبت براءة علاء ، هو سوف يطلقها .

الحاج محمد :انا موافق أثبت برائته بعد أن يمضي للمحامي كل هذه الأوراق .

والد علاء : أوراق ماذا .

الحاج محمد : تعهد بعدم التعرض لها ، وأن يرسل لها ورقة طلاقها ويكون طلاق لا رجعة فيه ، أنت تعلم كلمتي لن ترد ، سوف أقوم بإنهاء كل شئ .

وافق والد علاء علي كلامه وذهب لعلاء وقام علاء بطلاق مني ، ولكنه في قرارة نفسه يريد أن ينتقم منهم جميعا .

عندما أمسك الحاج محمد ورقة طلاق منى بيديه قبلها وحضنها ، كأنه يقبل ويحتضن إبنته ، قام من على السرير ناطقا التشهد وخر ساجدا على الأرض ليشكر لله ، لأنه شعر أن مني ولدت من جديد ، أخذ ورقة طلاقها ، ذهب مسرعا إلى المشفى ، لم ينتظر الشيخ حسن يذهب معه فقد تركه وذهب إلى بيته بعض الوقت ليطمئن على أهل بيته .



بعد خروجه من غرفته متجها إلى خارج المشفى وبرغم كل جراح نفسه وكيانه وآلام جسده ، هو هائم يطير من فوق الأرض إلى السحاب يريد أن يذهب إلى منى بأقصى سرعه ليروى فؤاده ببسمتها التى غابت عن شفاها منذ أن علمت أنه سوف يزوجها ، ويسعد أذنيه بسماع ضحكاتها التى غابت عن وجهها ، هو يمضى قدما ويشعر أن الطريق طويل ، فهو يتمنى أن يذهب لها قبل أن يرتد له جفنه فالسعادة التي يشعر بها سعادته بمولد إبنته من جديد ، لكنه لايعلم أن من نقش بداخلها من عذابات كأنه نقوش نقشتها الحياة على أحجار لن تمحى حتى الممات ، سعادته آنسته طبيعة إبنته ، ظن أنها سوف تنسى عذابها وتبدأ من جديد ، لكن هل من نقش بالدماء يمحيه الماء بسهولة دون أن يتبقى منه أثر ؟ ، لكنه فى النهايه أب ويريد إسعاد إبنته .

بعد أن وصل إلى باب المشفى ، دخل مهرولا ونسي أن صدره مجروح ، فقد شفيت كل جراحه وآلامه بعد إستلامه شهادة ميلاد جديدة لمنى وهي ورقة طلاقها ، بعد وصوله إلى المشفى ، بمحض الصدفة وجد أشرف واقفا على باب المشفى .

أشرف : لماذا أتيت ياعمي ؟ أنت مازلت مريض

الحاج محمد : لما لا يابني ، أتيت لأبشر منى أنها أصبحت حرة ، ظل يتحدث معه ، يقول هل تعلم يابني سوف أتركها على راحتها ، لن أفرض عليها شيئا آخر ، سأتركها تعيش الحياة كيفما تشاء ، لن أقوم بإرغامها على شئ ، حتى وإن لم ترغب بالزواج ، سوف أجعلها أميرة في بيتي،

أشرف : نعم ياعمي ، لقد تعذبت كثيرا ،

الحاج محمد : إن وافقت على الزواج من ...

وسكت ولم ينطق ، لكنه نظر لأشرف فقط .

أشرف : لماذا لم تتحدث ياعمي ؟ أنت تقصد الدكتور وليد ، نعم ياعمي هو الإنسان الوحيد الذي يستحقها ، أما أنا فكنت أحبها مثل أختي فقط ، فقبله الحاج محمد وأخذه في حضنه .

الحاج محمد : إن ملك مثل منى عنده وأنه يحب ملك مثلما يحب منى .

أشرف : سوف نساعد منى جميعا ، أنا وملك وأنت وأكرم وكل من يحب منى ، إطمئن ياعمي لن نتركها وحدها ، سوف نكون جميعا بجوارها ، لنخرجها من أزمتها .

عند وصولهم إلى غرفة منى وقف أشرف .

الحاج محمد : لماذا وقفت ؟

أشرف : سوف أذهب لوليد ياعمي .

الحاج محمد : هل تذهب بدون أن تسلم على أختك منى تقابل خطيبتك ملك ؟ هي بالداخل عند منى

أشرف : أعلم ياعمي ، لكن سوف أستأذن من وليد أولا.

الحاج محمد : لقد صحت تربيتنا لكم ياولدي ، إذن إنتظر هنا إحتمال وليد يكون بداخل الغرفة عند منى .

أشرف : لا ياعمي هو ينتظرني في مكتبه ، أدخل أنت وبشر منى ، سوف أذهب أنا لوليد لأبشره بهذه الأخبار الجميلة ،

تركه وذهب إلى وليد وكل جوارحه سعيدة ومتفائلة أن الأيام القادمة سوف تكون سعيدة ، دخل على وليد الغرفة فوجده جالسا على مكتبه شاردا ، نظر له وفي عينيه نظرة تفاؤل ، على شفاهه بسمة وعلى وجهه ضحكة .

وليد : مايضحكك يا أشرف ؟

أشرف : جئتك بخبر يقين ، خبرا سوف يسعدك

وليد : ماهذا الخبر؟ قل ماهو؟ ، قد نسيت السعادة منذ زمن بعيد .

أشرف : هل تتزوج من منى إذا طلقت من زوجها

وليد : بدون تردد نعم

أشرف : سوف تسعدها ؟

وليد : وهل تشك في ذلك ؟

أشرف : لا لم يفعل أحد مافعلته أنت معها ، أنت من يستحق هذه الجوهرة المكنونة ، لكن ياصديقي الجوهرة غطاها الثرى فإنطفأ بريقها .

وليد : سوف أعيد لها بريقها بإهتمامي وحبي لها ، لكن كيف ؟ ومتي يا أخي ؟ ، كفاك حديثا في هذا الموضوع لأنه يؤلم فؤادي .

أشرف : سلامة فؤادك يا أخي لقد طلقت منى ، أصبحت حرة ، فانتفض وليد من على مكتبه .

وليد : بشغف وقلقلة كلماته فقد دمعت عيناه فرحة وحزن وشجن وسعادة وتضاربت كل وجدانه وكل جوارحه مع سماع هذا الخبر ، لم يصدق أشرف ،

وليد : أقسم يا أشرف أن منى أصبحت حرة .

أشرف : أقسم أن عمي محمد عند منى جاء ليزف الخبر لها .

وليد : هيا هيا نذهب إليهم .

أشرف : لا إذهب أنت ، أنا سوف أغادر المشفى .

وليد : لا لن تذهب سوف تأتى معى حتى تشاطرنا سعادتنا ، وتتحدث مع ملك .

أشرف : سوف أعود مرة ثانية ، إذهب أنت وإطمئن على منى وعمي محمد .

وليد : لا ، هيا معى سوف آخذك لتسلم على ملك ، ثم أخذه وذهبا مهرولين ، وكأنه يسابق الريح ، متجهان إلى غرفة منى ، لكنه فوجيء بوقوف عمه محمد على باب الغرفة ، لم يدخل عند منى خوفا منها وخوفا عليها .

أشرف : هل دخلت إلى منى ياعمي .

الحاج محمد : لا يابنى لم يطاوعنى قلبى ولا تطاوعنى قدماى ، فأنا لا أعلم كيف أزف لها هذا الخبر ، ماذا ستكون ردت فعلها

وليد : هل هذا الخبر حقيقي .

الحاج محمد : نعم يا ولدى .

وليد : هيا ندخل أولا ، وبالداخل سوف نجد طريقة للتحدث معها في هذا الموضوع .

دخل الحاج محمد ولم يكن يتوقع إستقبال منى له ، قابلته بكل شغف ، حفاوة ، حب ، دموع ، عتاب لتركه لها كل هذه المدة .

منى : هل هانت منى عليك تتركها كل هذه المدة ؟ ، أين كنت يا أبي ؟ ، هل أصابك مكروه؟ .

الحاج محمد : يبكي وتتناثر دموعه عل وجنتيه ، ويقول لها : لا ياصغيرتى أنا بخير .

منى : ألا ترغب بضمي إلى حضنك ؟! أريد أن أغرق نفسى بداخل حضنك وبين زنديك وأريد أن أغمض عيني على كتفيك حتى أنسى وجعى .

الحاج محمد : وهو يبتسم هل سامحتينى ؟

منى : وهل أجرؤ على غضب الله فقد أمرنى الله ببركما أنت وأمى ، كيف حالها ألم يحن قلبها لى ؟ هل مازالت غاضبة منى بدون سبب ؟

وقف الحاج محمد وهو متعجب من حديثها ورجاحة عقلها .

نظر له واليد وقال: لا تتعجب وأتركنا الأن من هذا الموضوع

وليد : سوف أحكي لك كل شئ فيما بعد .

أراد والدها أن يحتضنها فتشعر بالضماضات التي على الجرح وتشعر بآلام جسده ، فظل واقفا مكانه ،

منى : تتحدث بدموعها وقلبها يحترق شوقا إلى ضمة صدره ، لم يضعف خوفا من أن تشعر بشئ ، فتعلم ماحدث له ، نظر الحاج محمد لملك فوجدها مفتورة من البكاء ، فجاءت إليه وسلمت عليه وقبل جبينها ، بارك لها على موافقتها بالزواج من أشرف .

بعد كل هذه الحورات لم يقدر أحد أن يبلغها أنها أصبحت حرة ، تركوها في حيرة من أمرها وتحدث نفسها لماذا لم يحتضنها والدها ؟ وتسأل نفسها هل مازال غاضبا منها ؟ هل يعاقبها على أفعالها معه ؟ وتجيب على نفسها هو يعلم طبيعتى .

الجميع ينظر إليها ويلتزم الصمت ، لكنها لوحت بنظراتها ، نحوهم ، وجدت أشرف فإبتسمت وسلمت عليه بالكلمات وباركت له على خطبته لملك ، قامت بالثناء عليها .

منى : إنك تستحق ملك ، ملك تستحقك فالطيبون للطيبات ، نظرت لنفسها بنظرة سخرية ، سألت والدها هل أنا خبيثه لهذه الدرجة يا أبي حتى يرزقني الله مثل هذا الرجل ؟ ، نظر لها والدها ووليد وأشرف وقال كل منهم لا بل أنت لم تختاريه هو فرض عليك

منى : نعم هذا صحيح ، أذن أنا طيبة ، إبتسمت لكن قلبها يبكى من الداخل .

وليد : لو لم تكوني طيبة لما أخذت حريتك من هذا الرجل .

منى : كيف ؟

الحاج محمد : لقد طلقك علاء .

منى : حقا طلقت منه ؟ يعني أنا الآن حرة .

الجميع نعم لقد أصبحت حرة ،

هنا اختلطت دموع الفرح ودموع الحزن في نفسها .

منى : هل أعود مثلما كنت عصفورة أهيم فى سمائى بأحلامى وأمنياتى ؟ هل تعود طفولتي التي قتلت ؟ هل تعود أنوثتي التي ذبحت ؟ هل يعود دم بكارتي الذي بعثر على الأرض ؟ هل تعود منى مثلما كانت ؟ لا أعتقد فقد أصبحت سجينة داخل سجن الذكريات المؤلمة ،

نظروا لها جميعا وكل منهم تتساقط منه دموع وكأنها الشلالات تملأ أنهار ، وتمر بداخلهم سحب من الأحزان ، تتساقط قطراتها أمطارا ، قامت ملك بخفة دمها ودموعها المختلطة ببسماتها .

ملك : هل نضيع هذا الخبر بدون إحتفال ؟ ، هل نظل نبكى ؟ .

الحاج محمد : لا ياحبيبتي ، سوف نحتفل قريبا بزفافك أنت وأشرف ،

بعثر التفاح بلونه على جنتيها وزاغت عيناها وارتعشت شفتاها من الخجل ، أصبحت السعادة تخيم على المكان ، تنشر به عبير الزهور وزقزقة العصافير وتغريد الطيور ، لكن منى فرحتها مكسورة ، تشعر أن الدنيا سوف تخطف منها فرحتها ، ظل المرح والبسمات والضحكات تدوي بالمكان ، وفي لحظة شعرت منى بحركة غريبة في رحمها .

منى : وليد أشعر أن شيئا ما يتحرك في بطني ، نظر وليد إلى الحاج محمد نظرة طويلة ، نظرت لوليد ونظرت لوالدها ،

منى : هل يوجد شئ في أحشئي .

الحاج محمد : يهذا القولون العصبي يابنيتي ، أنت أصبحت عصبية جدا ، لكن سوف نجعل الطبيب غدا يعطيك دواء يهدئ من مرض القولون .

وليد : لا يامنى ليس القولون .

الحاج محمد : لا ياوليد ليس الآن لاتخبرها .

وليد : إلى متى ياعمي ؟ سوف تعرف قريبا جدا وهذا الأمر لايمكن أن نخفيه لابد أن تعرفه الآن ، فتوقف الحاج محمد عن الكلام وترك وليد يتحدث .

وليد : مني عندي لك خبر أحلى من الخبر الأول .

منى : ماذا تريد أن تقول ؟

وليد : كل فتاة في العالم تتمنى أمنية واحدة ، هى أن تصبح فى يوم من الأيام أما ،

سكت وليد .

منى : هل تقصد أن من يتحرك بداخلى هو طفل ؟

صدمت من الخبر ،

منى : كيف حدث هذا ؟ كيف جاء الى بطني ؟ تقول هذا وهي لاتعرف حقا كيف حدث ذلك وكيف جاء هذا الطفل إلى أحشائها

وليد : سوف تأتي لك طبيبة أمراض النساء الطبيبة سماء زوجة الدكتور أمجد ،

نظرت له وظلت صامتة ولا تتكلم ، نظر لها كل الحاضرين ، كل منهم يشعرها بالسعادة .

أشرف : قد أصبحت خالا .

ملك : وأنا أصبحت خالة .

الحاج محمد : هذا أول حفيد لي سوف أذبح عجل عند وصوله

الكل يشعرها بالسعادة ، هي صامته تنظر لهم فقط ولا تتكلم ،وضعت يدها على بطنها وشردت مع نفسها لا أحد يعلم مابداخلها ، هل سعادة أم غضب أم حزن ؟ ، لاأحد يعرف مابها ، ينظر وليد للحاج محمد ولأشرف وملك ويصمت ، خيم الصمت على الغرفة كما خيمت عليها السعادة من قبل لحظات .

منى : ألم أقل أن الدنيا سوف تسرق الفرحة من قلبى ،

سكتت ولم تتحدث ، بعد لحظات داعب النوم جفونها ، أو أنها تظاهرت بالنعاس حتي يتركون الغرفة ، تظل هي مع نفسها تحدثها وتتحدث مع طفلها بغريزة الأم التى لم تستوعبها حتى الأن .

خرج وليد ومعه والدها وأشرف وملك من الغرفة وسلم عليهم وتركهم ورحل ، ترك الحاج محمد وليد خلف باب الغرفة .

الحاج محمد : أدخلي أنت ياملك مع منى ، حاولى أن تتحدثي معها ، أنا سوف أذهب إلى المشفى .

وليد: يمكنك حجز غرفة هنا حتى يباشرك الأطباء

الحاج محمد : نعم سوف أفعل حتى أظل بجوار منى .

ذهب الجميع ، تركوا منى مع نفسها تحاول أن تهيئ نفسها لأصعب الظروف التى تمر بها ، دخلت ملك فوجدت منى مستيقظة .

ملك : ظننت أنك نائمة .

منى : كيف أنام وبداخلى ضيف جديد ، لا أعلم من أين جاء إلى حشاي .

ملك : أنا أعلم وسأخبرك بما أعرفه، لكن لاتخبري أحد أنى أخبرتك بذلك الأمر .

منى : نعم لن أخبر أحدا ، أنت لاتعرفينى جيدا فأنا مثل القبر ، لا أحد يعلم ماذا يحدث بداخلى .

ملك ، إذن أفسحى لي سوف أجلس بجوارك حتى لايسمعنا أحد

جلست ملك بجوار منى ، حدثتها بما تعرفه عن عملية الإنجاب ، العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته ، قالت لها هل تتذكرين يوم زفافك يوم الحادث الذي أصابك .

منى : من تحدث فى هذا الموضوع

ملك : أنا سمعت والدك يحكي إلي الطبيب دون قصد وفهمت ما حدث لك ، لأنى أعرف كل شئ عن الزواج

منى : من أين تعلمت هذه الأشياء .

ملك : تعلمت بعضا منها فى المدرسة لدراستى للجهازين التناسلين للذكر والأنثى ، وزميلاتى المتزوجات كن يتحدثن مع بعضهن البعض ، و كنت أسمع منهن كل شئ ، فعرفت منهن من باب العلم بالشئ فقط ، جلست ملك وتحدثت في كل شئ مع منى ، عرفت منى من أين جاء الجنين الذي فى حشاها .

منى : أتركينى أريد أن أنام ،

فتركتها ملك وذهبت إلى سريرها وتركتها تحضن جفونها الدموع وتداعبها الذكريات المؤلمة ، تذكرت يوم الحادث فراودتها نفسها وتخيلت ماحدث لها ، تذكرت علاء بعد رحيل الشيخ حسن ودخوله الغرفة لينتظرها ، بعد أن دخلت الغرفة ، قام بغلق الباب عليها ، ذهبت وجلست على السرير وجلست فى وسط السرير وحضنت ركبتيها كأنها تحضن نفسها ، تذكرت عندما جاء ليقبلها وهي ترفض وتقاومه بكل كيانها ، عندما قام بتكتيف كفيها وذراعيها منبسطتين على السرير وهو جالس على فخذيها وكل ماتعتقده أنه يريد أن يقبلها فقط ، لكنه قام بنزع ملابسها وكل ما ترتديه من ملابس خارجية ، ظل يحاول تقبيلها وهي تهرب برقبتها يسارا ويمينا ، حتى لاتمكنه من شفتيها وهو يقوم بصفعها على وجنتيها ، تذكرت كيف كان ينهش في لحمها ويقبل كل مكان في عنقها ووجنتيها وهي تقاومه ،

قام بنزع ملابسها الداخليه حتى أصبحت عارية تماما ، تركته ينهش في جسدها وظلت تخطف يديها بمفرش السرير حتى تستر نفسها وتواري جسدها الذى أصبح فريسه لضبع مسعور ، لولا أن الغرفة كانت في ظلام دامس فهي لاترى ماذا يفعل بها ، بل تشعر أنه يلتهمها بأسنانه ويداه وجسده وكل جوارحه تنهش في جسدها بكل جنون ووحشية ، كلما تحاول النهوض ينهال عليها بالصفعات على وجهها وتمزيق جسدها بأسنانه كأنه حيوان مفترس.



تتذكر هذا كله وعيونها تتساقط منها دموعها مثل ينابيع الماء التى شقت الجبال وتدفقت على رماله ، تذكرت كلمات ملك وتذكرت ماحدث لها ، وكيف أصبحت أما بدون إرادتها فتذكرت عندما قام بإغتصابها ونزع غشاء البكارة من داخلها ، فهذا لايستوعبه عقل كيف يحدث أن يلتقط رحمها هذه النطفه القذرة !! التى تسللت داخل رحمها وأصبحت جنينا يكبر في أحشائها ، لصبح طفلا ، سوف يخرج للحياة بدون أب !! وأمّا ممزقة ، ظلت تحدث نفسها كيف تقوم بتربيته ؟! وكيف تراعى طفولته وهى لازالت بروح طفلة ؟!

، ظلت هكذا حتى طلع الفجر وسمعت ابتهالات وتواشيح الفجر ، قالت لنفسها بل يفعل الله بي مايشاء سوف أتقبل كل شئ ، وضعت يديها على أحشائها ، وتحدثت مع جنينها قائلة سوف تأتي ياصغيرى مثل الملاك الصغير الذى لاحول له ولا قوة ، سوف تكون فى رعاية أم ضائعة ، وبغير أب ، لكن لاتخاف ، سوف أكون لك الأم والأب وكل شئ ، مثلما تكون كل شئ لأمك رغم صغر حجمك ستكون بإمكانك منحي حبا لم تعرف أمك له مثيل وسوف تعوضني كل شئ ، ربما تكون أنت العوض عن ماحدث لي ، ستكون ستارا لجسدي الذي انتهك ، تكون نبض قلبى الذى توقف ، وتكون أنت السعادة التى غابت عن حياتى ، سوف أستغنى بك عن العالم كله ، إطمئن ياصغيرى لن أكرر مافعلته بى أمى وأعاقبك على ذنب لم تفعله ، عندما إنتبهت وجدت الشمس ملأت الغرفة والعصافير تزقزق وتسمعها صوتها ، كأنها تحتفل معها بقدوم ضيفها الجديد ، ظلت مسترخية على السرير حتى استيقظت ملك ، وجدتها

تقول لها أريد أن أشرب لبن وأفطر وأشرب عصير .

ملك : وهي تنظر بتعجب كل هذا !

منى : نعم حتى يتغذى طفلى .

ملك : طفلة سوف تصبح أما لطفل .

منى : سوف آخذه وأرحل بعيدا عن الناس ، نعيش معا في أى مكان ، لن أذهب إلى القرية مرة ثانية ، أنا أريد أن أنسى معه كل ماقاسيته فى حياتى ، سوف أبدأ من جديد ، سوف أكمل دراستى ، حتى أخطو بها إلى بر الأمان ، لقد أصبح عندى أمل أعيش من أجله .

ملك : هل تتزوجين مرة ثانية ؟

منى : لا أنا لم أخلق للزواج ، لن أتزوج بل أعيش لأقوم بتربية طفلى ،.

ملك : ماذا تتمنين ؟! ذكرا أم أنثى ؟!.

منى : أريدها أنثي ، حتى أحيا معها ماحرمتنى منه الحياة .

ملك : وإن وجدت من يحبك ويقبل أن يكون أبا لطفلك ويكون لك زوجا حنونا وعطوفا وأخا وصديقا وحبيبا .

منى : ماذنب هذا الرجل يتزوج من حطام أنثي ، وجسد ميت ، وروح شريدة ، وقلب توقفت نبضاته ؟ لا يمكن أن أظلم أحدا معى ، هذا قدرى وأنا متقبلة ، ربما أرسل الله لى هذا الطفل حتى لا يتركنى أحيا وحيدة دون أنيس ولاجليس .

ملك : والدموع تتساقط من عينيها لقد نضجت يامنى قبل الأوان ، فالفتيات اللاتي فى مثل عمرك تلعبن وتمرحن ولايتعلق فى رؤسهن شيئا ، لكن إطمئني لن نتركك تعيشين وحيدة سوف نكون معك فى كل وقت وحين .

بعد لحظات دق الباب ففتحت ملك ، وجدت وليد ومعه الدكتور أمجد والدكتورة سماء زوجته ، فحصها أمجد وإطمئن عليها وأخذ وليد وذهب من الغرفة حتى تفحصها سماء ، ظلت الدكتورة سماء تتحدث معها وترشدها وتقول لها تعليمات طبيه تقوم بها .

الدكتورة سماء : لابد أن تظلى مسترخية على ظهرك لأن رحمك ضعيف خوفا من أن يحدث إجهاض

منى : سوف أفعل كل ماتأمريني به حتى ينجو طفلى ويأتي إلى الحياة .

تعجبت الدكتورة سماء من كلام منى ، بعد انتهائها من الكشف عليها خرجت ، وجدت وليد وزوجها أمجد واقفين خلف الباب .

وليد : ماذا وجدت .

الدكتورة : حالتها النفسية بخير، هى تتقبل الجنين وخائفة عليه أيضا ، إبتسم أمجد ووليد وقالا لبعضهما هذه غريزة الأمومة .

استأذن دكتور أمجد وزوجته من وليد وذهبا ، قام بدق الباب ، دخل فوجد ملك تطعم منى فى فمها وتمسك الطعام في يد وكوب اللبن فى يدها الثانية ، إبتسم وليد وفرح أن منى تتحسن نفسيا ،

وليد يتحدث مع نفسه : ربما هذا الطفل يكون سببا لسعادتها ، إن وافقت على الزواج بى سوف أعتبره إبنى الأول .

وليد : منى كيف أصبحت ؟

منى : الحمد لله فى أحسن حال .

جلس وليد بجوارها وظل يتحدث معها ويلاطفها هو وملك حتى لايشعراها بالوحدة ، بعد ساعات جاء والدها وجلس معهم وتحسنت العلاقة بين منى ووالدها ، فقد تناست منى ماحدث لها .

بعد مرور أيام جاءت أم منى ومعها أكرم وياسين لتطمئن على إبنتها وزوجها ، وجدت منى بمفردها فدخلت الغرفة وقبلتها وجلست بجوارها ، دخل أكرم وياسين وحضنوا أختهم وسألوها عن أبيهم .

منى : إنه ينام فى غرفة وليد لأن ملك أخت وليد تجلس معى في الغرفة .

أم منى : كيف حاله ؟

قالت منى : إنه بخير .

أم منى: كيف حال الجرح ؟

منى : جرح ماذا ؟ هل جرح أبى ؟

أكرم : لا يا أختى هذا جرح بسيط .

أم منى : يا أكرم هل وجود رصاصة فى صدر أبيك جرح بسيط .

منى : وهى مصدومه من سماع الكلام ، كيف حدث هذا كله ؟

قالت أمها كل شئ حدث بين علاء وأبيها فظلت تبكى .

منى : هل تحمل أبى كل هذه الآلام من أجلى ؟

أمها : كيف لا تعلمى ماحدث ؟

منى : لم يخبرنى أحد .

خافت صفاء من ردة فعل زوجها عندما يعرف أنها هى التى قالت لمنى كل شئ ،

أم منى : لو علم والدك أننا تحدثنا معك فى هذا الموضوع سوف يغضب كثيرا وربما يقوم بطردنا من هنا .

منى : لا تخافى لن يخبره أحد ، ثم قالت لأخويها لن تخبرا أبي أنى أعرف شيئا ، فقالا لن نخبره بشئ إطمئنى ، نظرت لها أمها بنظرة كلها حب وحنان ، قامت فأخذت منى فى حضنها وظلتا تبكيان هما الإثنتين .

دخل وليد وملك والحاج محمد ، فوجدا منى داخل حضن أمها فابتسم كل منهما ودخلت السعادة قلبهما لتحسن العلاقة بين منى وأمها ، قامت صفاء بتقبيل ملك وشكرتها على رعايتها لمنى وطلبت منهم أن تستريح هى لأنها تريد أن تظل بجوار إبنتها طول فترة حملها بعدما علمت به ، لم يوافق الحاج محمد لأنه يعلم أن منى لن تستريح مع أمها فهى لاتحب الحديث الكثير وأمها تحب أن تتحدث في كل شئ .

الحاج محمد : لا بل ستعودين للمنزل مع أكرم وياسين حتى تراعى المنزل والأبناء وتقومى على عمل اللازم فى المنزل وأنا هنا سأظل معها فأنا بالمعاش وتجارتى يباشرها صديقى الشيخ حسن .

أم منى : لكني أريد أن آخذها إلى المنزل وسوف أباشرها وأسهر على راحتها .

وليد : لا .

أم منى : لماذا ؟

وليد : لأن حملها غير مستقر وربما يحدث لها مكروه ، أما بقاءها هنا مع الأطباء سوف يساعدها لو حدث شئ لها أو حدث شئ لجنينها ، سوف يقوم الأطباء بإسعافها .

أم منى : إذن سوف أقوم بزيارتها كل يوم حتى أطمئن عليها .

الحاج محمد : سوف نقوم على إخبارك بحالتها بالتليفون ، لاترهقى نفسك وتأتى إلى هنا .

بعد ساعات قامت أمها وذهبت مع أولادها بعدما أخذت منى بين أحضانها وقبلتها لأول مرة فى حياتها ، أحس وليد بسعادة منى بعد تحسن علاقتها بأمها ، ظلت تضحك وملأت السعادة قلبها ، كأنها وجدت كنز من الحنان والعطف ، دائما الأم هى منبع الحنان والعطف .

منى : أول مرة أشعر بحنان أمى ، جلست تمرح معهم وتناست كل آلامها وأحزانها ، مر على سعادتها عدد من الأشهر ، لم تستمر سعادتها طويلا .

سمع علاء ياسين وهو يلعب مع أصدقائه أمام المنزل و يقول لصديقه أن أخته منى حامل ستأتى له بطفل صغير يلاعبه ويلعب معه فسيصبح خال قريبا ، يتحدث ياسين مع الأطفال ولايعلم أن الذئب واقف خلف الشباك يتلصص بنظراته وأذنيه ليسمع الحوار ، بعد سماعه للحوار علم علاء بحمل منى ذهب إلى والده .

علاء ، إن منى حامل .

أبيه : كيف حدث هذا ومن قال لك ؟

علاء : سمعت أخوها الأصغر يقول لأصدقائه هذا الكلام .

أبيه : هذا حديث أطفال لا تصدقه ياعلاء .

علاء : سوف أذهب غدا إلى المشفى وأسألهم عن هذا الموضوع .

والد منى : لاتذهب ، سوف أذهب إلى الشيخ حسن وأسأله .

علاء : إذهب الآن .

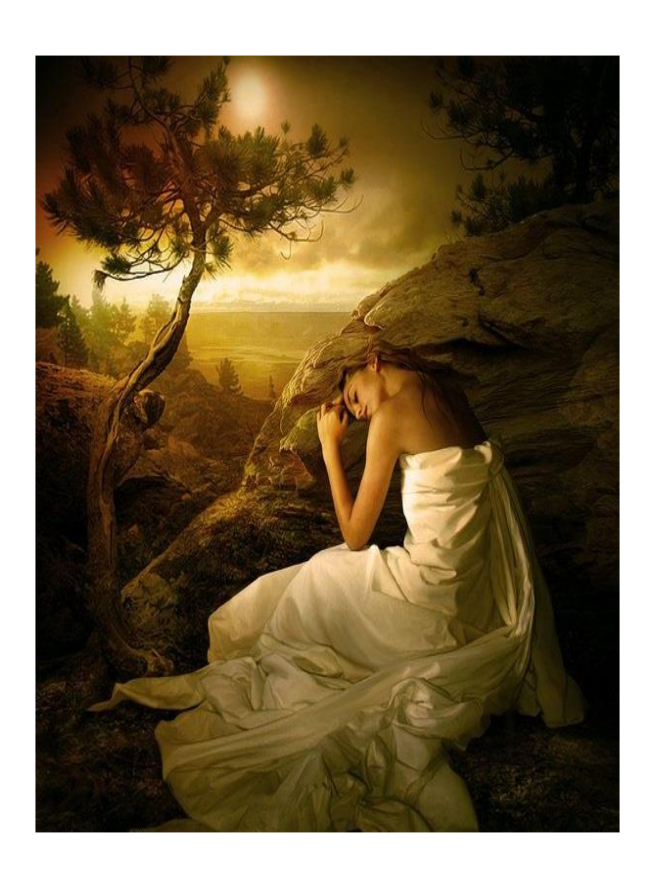
والد علاء : سوف أفعل .

ذهب الحاج السيد والد علاء إلى الشيخ حسن ، دق الباب فخرج الشيخ حسن ، اصطحبه إلى داخل المنزل وأحسن ضيافته .

الحاج السيد : هل منى حامل ؟

الشيخ حسن : أنا لاأتحدث في شئ يخص غيرى ، إذا أردت أن تعرف شيئا فاذهب لصاحب الشأن مباشرة ، ولم يخبره الشيخ حسن بشئ .

خرج الحاج السيد من عنده وهو لايعلم شيئا ، ذهب إلى المنزل وقال لعلاء لقد رفض أعطائي أى معلومات .



وقف علاء يتحدث مع نفسه وبداخله بركان من الغضب ونيران لم تنطفئ من يوم أن قام بطلاق منى ، إزداد غضبه وتأججت نيرانه أكثر وأكثر بعد تجسسه على كلام ياسين ، بعدما ذهب والده إلى الشيخ حسن ولم يفصح له عن شيء .

غضب علاء وذهب مباشرة إلى المشفى ، دخل إلى المشفى وذهب مباشرة إلى غرفة منى ، فقد ظلت بمفردها فى الغرفة بعد ذهاب وليد إلى عمله ، ذهب والدها إلى غرفة الآشعة ، خرجت ملك مع أشرف ، فتح الباب دون أن يستأذن ودخل الغرفة بهمجية ، نظرعلى بطن منى فوجدها مرتفعة .

علاء : هل أنت حامل بطفلى ؟

نظرت منى له وهو يتحدث معها وبداخله حقد وغل وغضب ، لأنه أرغم على طلاقها طلاق غير رجعى .

علاء : هذا طفلى وسوف أخذه منك حين تضعيه ، وسوف أحرمك منه مثلما حرمنى منك والدك ، ظلت تبكى بكاء شديدا ، وصراخها يدوي فى المكان ونهضت من على السرير وطرحته بعيدا عنها ، ظلت تهرول بالممر المتجه إلى غرفة وليد وهى تصرخ وتستغيث بأحد ينقذها ، هرب دون أن يراه أحد غير الذين فى الطرقة ، هم لايعرفون من هذا الرجل ، وقعت على وجهها وإرتطمت بطنها بالأرض فالتقطها بعض من الناس ، جاء وليد وحملها وذهب بها إلى غرفتها ، وضعها على السرير وهى مغشي عليها ولا تتحدث ، قام بإفاقتها وبعد أن أفاقت وجدت ماء ساخنا يتساقط من رحمها ، وضعت يدها لتتحسس ، وجدت دماء غزيرة تتساقط منها ، قامت بسحب يدها من أسفلها وجدتها مغموس بدماءها ، حملها وليد بين ذراعيه ، ذهب بها مهرولا وهو يصيح بأعلى صوته على أمجد لينقذ منى وصاح على طبيب النساء ، جاء أمجد فوجد دماءها تتساقط منها وكأنها شلال من الماء تتساقط على ثيابها ، ثياب وليد تشبعت أيضآ هى الأخرى ، ذهب بها غرفة العمليات حتى ينقذ حياتها وحياة الجنين ، لكن لم يقدر لطفلها الحياة ، سرعان مانفضه رحمها من داخل أحشائها ، كأن الله أراد أن يحررها من آلامها وأحزانها حتى لاتتذكر تفاصيل الليلة المشؤمة كلما نظرت لطفلها ، كان الله أرحم بها من عباده ، لكن حياة منى أصبحت على المحك ، بسبب نزيفها الشديد فطلب لها نقل دماء ، ذهب وليد إلى بنك الدم الذى يوجد بجوار المشفى حتى يأتى لها به ونقل لها الدماء وتحسنت حالة منى بعض الشئ ، علم والدها بما حدث من الطبيب الذي كان يفحص جرحه بعد خروجه من

قسم الآشعة ، قام مسرعا وذهب لها فوجدها مازالت فى غرفة الإفاقة ، ذهب إليه وليد من داخل الغرفة حتى يطمئنه على صحة منى ولم يعلم بماذا يتحدث معه .

الحاج محمد : ماذا حدث ؟

وليد : لا أعلم شيئا مما حدث ، من تتسبب لها فى ذلك فهى لم تتفوه بشئ بعد الحادث ،

بعد قليل خرجت منى محمولة على ترولي ، ذهبوا بها إلى غرفتها ، بعد أن أفاقت وأصبحت تستطيع الحديث

سألها والدها ووليد من فعل بك هذا ؟، من الرجل الذي جعلك تنهضىن من فوق سريرك بسببه ؟

فنظرت لوالدها وتذكرت كلام أمها عندما قالت لها أن والدها كاد أن يقتل بسبب علاء فخافت أن تتحدث فتجبر والدها على عمل أى شئ يسئ له ، ظلت صامتة ولم تخبر أحد أن علاء هو الرجل الذى تسبب فى قتل طفلتها ، أخذ الحاج محمد الطفلة ، ذهب بها إلى القرية حتى يقوم بدفنها بعد أن قام بتغسيلها وتكفينها في المشفى ، نظرت منى إلى طفلتها فطلبت من والدها أن تنظر لها لتحفظ ملامحها ، لم يوافق .

الحاج محمد : لا .. يجب أن تنسى كل شئ عن هذه الطفلة ، سوف أسميها المنسية .

منى : لا بل أسميها ندا ، لأنها كانت مثل قطرات الندا التى تتساقط على أوراق زهرة ذابلة توجد فى بستان تشقق الثرى من أسفله من كثرة جفافه ، تساقط عليه شعاع من الشمس المحرقة فقام بإمتصاصها ورفعها إلى عنان السماء على هيئة سحاب تسحبه الرياح بعيدا عن حياتى ،

بكت عيونها بكاء شديد ، ذهب بها إلى المنزل فجاء الشيخ حسن وذهب معه إلى المقابر ،ذهب علاء ووالده خلفهم حتى يأخذون الطفلة ويدفونوها فى مقابرهم ، رفض الحاج محمد

الحاج محمد : أنها من حق إبنتى ، ليس لكم حق فيها ،

نهرهم فتنحوا جانبا حتى قام بدفن الطفلة ، قام بوضعها في حضن خالتها منى ، كانت أول طفلة لمنى أختها التى أخذت إسمها وعمرها وحظها السيئ ، عاد الحاج محمد ومعه الشيخ حسن على المشفى ، حتى يطمئن الشيخ حسن على منى ، عندما ذهبوا إلى الغرفة وجدوا أمها وأخواتها بجوارها وملك وأشرف وكل من يحبها ويخافون عليها ، حتى يخففوا آلامها وأوجاعها ، بعد مرور ساعات ذهب كل إلى حال سبيله ، بقى معها بالغرفة والدها وملك ، كل منهما يحاول أن يخفف عنها ويواسيها ويلملم جراحها ، لكن كيف يلتئم جرحها ؟ هى تنظر للسماء تجد البدر مكتملا ، تنظر له وتتخيل وجه إبنتها التى لم تنظر له ، تشعر أن روح صغيرتها تحوم حول البدر ، تقوم بعتابها ولومها لأنها جعلتها طفلة مبتسرة ، كأنها هى التى ظلمتها وجعلتها لاتكتمل بداخل رحمها ، تسمع صرخات وأنين طفلتها ، كأنها تخبرها أنها لم ترغب بإعطائها الحياة ،

فحدثت القمر قائله :

{ ألقيت بعيونى نظرة

كلها عتاب ولوم ،

نظرت فوق فى السماء وجدتها

مليئة بالغيوم ،

الكواكب متجمعين

حول القمر والنجوم ،

سألت نفسى

ياهل ترى ليه الجو ده مشئوم ؟

سألت عيونى القمر ،

قال القمر :

حواليه روح لبنوتة كلها هموم ،

سألته ليه حزنها ؟ ،

أجاب القمر :

عندما سألتها فى نفس اليوم ،

قالت : تركت على الأرض

روحى مذبوحة

فارق جفونها النوم ،

بكت عيونى ورميت على نفسي اللوم ،

لما القمر شاف دمعتى نزل حواليه يحوم ،

أنا الذبيحة اللي عاشت حقها مهضوم ،

دفنت جرحها وقلبها عاش مقسوم ،

والقلب مزقه الحزن وعاش مهزوم ،

عاشت حياتها وقلبها

من السعادة محروم ،

سكن الجسد أوجاعه

ومصيره المحتوم ،

سألت نفسها

كيف يكون الجسد للروح ظالم

وهو المظلوم ،

القلب ضاع وظل من الحياة معدوم ،

كفاك ياروح دموع وأنين

وعذاب ولوم }

ظلت مسترخية فوق فراشها ولم ترغب فى النهوض من فوقه وعاد الإكتئاب من جديد ، كأنه لم يفارق حياتها ، إنطفأ الضوء الذى ظنت أنه سوف يضئ حياتها ، ذهب من حضنها شعاع الشمس التى ظنت أنه يذيب جليد مشاعرها ويدفئ حضنها بهمساتها ولمسات أناملها الصغيرة ، بعد أن ذهبت فرحتها مع طفلتها تيقنت أن السعادة لم تخلق لها ، أصبح البكاء ونيسها ، الحزن صديقها ، التعاسة شقيقتها ، والصمت حليفها ، الأيام تمر يوم خلف يوم ، كأنها أعوام تتسابق من عمرها أصبحت تشعر بالبرد فى يوم شديد الحرارة ، تشعر بالخوف وعدم الأمان ،

ظلت الأيام متشابة مثل بعضها ، لم يقدر أحد على إخراجها من حزنها مطلقا ، بعد موت طفلتها ندا ، إزدادت حالتها النفسية سوءا ، كأن هذه الطفلة هى سبب تمسكها بالحياة ، خيم الحزن على والدها وعلى وليد ، كلما نظرا فى عينيها يجدان الحزن ساكنا بداخلها ، فكر وليد أن يتزوجها ويساعدها على الخروج من أحزانها فطلب من والدها أن يتزوجها ، نظر له وقبله .

الحاج محمد : هى ملكك إن وافقت ، لن أجبرها على شئ مطلقا ، فهي أمامك إذهب وتحتدث معها لعل الله يكتب لها السعادة التى سرقتها أنا منها وتصبح سعادتها على يديك .

ذهب وليد إلى منى وهو لايعرف من أين يبدأ الحديث ، دخل وهو تائه شارد .قالت منى : مابك ؟ أنت صامت مثل التائه .

وليد : أريد أن أتحدث معك .

منى : تفضل ، إنى أسمعك حتى تخرج مابداخلك ، أنا أشعر أنك حزين ، نظر لها نظرة طويلة فابتسمت ، قالت هل ستظل صامت ، تنظر لي .

وليد : بسرعة وبدون مقدمات أريد أن أتزوجك .

منى : هل مازلت بعقلك ؟ ، كيف تتزوج من فتاة مطلقة ؟ ، كانت سوف تصبح أما ، هل نسيت مافعله بك والدى؟ ، هل نسيت العذاب التى تسببت لك فيه ؟ ، لا لن أتزوجك لقد عرفت مصيرى ، أنا لن أتزوج مطلقا إن كتب الله لى الحياة سوف أذهب إلى خالى فأقيم معه فهو وحيد ، أكمل دراستى ، أظل هناك مدى حياتى ، هذا ماقررت فعله بعد خروجى من المشفى .

وليد : أنا أحبك ولأحتمل الحياة بدونك .

منى : كيف أتزوجك وأجعلك تدفع ثمن مافعله بى غيرك ؟ لا لن أحتمل نظرة عينيك عندما أنظر بداخلها فأجد بها نظرة ندم على زواجك بى ، أنا لست بأنثى ، أنا أصبحت جسد بلا روح بلا قلب بلا إحساس بلا مشاعر ، كيف أقبل أن تقضى حياتك مع حطام أنثى ومع أشلاء جسد بعثرته الأيام ؟ ،لا لن أجعلك تتحمل أخطاء الآخرين ، لن أقدرعلى هذا ليس لك ذنب فى هذا العذاب ، نظرت منى فى عينيه وجدت دمعه ، قالت أنا أحبك وأخاف عليك من عقدتى ، أنا لست أنثى مكتملة الأنوثة ، أرجوك أن تذهب بعيدا عنى واختر من تقوم على سعادتك فأنت تستحق الحب والحنان والإحتواء ، أنت طبيب ، أنا لم أكمل دراستى حتى الآن ، كل الظروف ضد هذا الحب ، لا تقحم نفسك فى زواج فاشل .

وليد: لماذا تحكمين عليه بالفشل ؟ ، هل علمت الغيب ، ربما نكون أسعد زوجين .

منى : السعادة لم تخلق لى ، كيف أجعلك تحيا معى حياة تعيسة وحزينة ، الحب لم يخلق لى ، أرجوك أتركنى ولاتفكر فى هذا الأمر مجددا ، أنا سوف أخرج من المشفى غدا ، ثم أذهب إلى خالي فى القاهرة ، سوف أكمل حياتى معه بعيدا عن القرية ومن فيها ، أنا قررت ألا أعود هناك ما حييت ، حاول أن تبحث عن سعادتك بعيدا عنى ، سر فى طريق غير طريقي ، حب نفسك وحياتك أكثر من مني ، أما أنا فاتركنى لقدري الذي كتبه الله لي ، أنا رضيت به ، سوف أعيشه ، ربما أنتصر عليه فى يوم من الأيام ، تأكد إن إحتجت لك سوف ألجأ لك كأخ وصديق .

وليد : أنا سوف أعوضك كل شئ ، وسأمحو كل الأحزان والآلالم التى مرت عليك .

منى : هل تعوضنى عن طفولتى التى قتلت دون ذنب جنيته ؟ ، أم عن أنوثتى التى ذبحت وتم سلخها وبعثرت كرامتها ؟ ، أم عن جسدى الذى تناثرت أشلاءه فأصبح عاريا لا ساتر له ، أصبح جثة هامدة لاروح فيه ، هل تعود بالروح التى هربت من هذا الجسد وظلت شريدة بين السماء والأرض؟ ، لا ملجأ لها غير أحضان الطبيعة ، هل ستحيي أحاسيسي المتبلدة والمشاعر المتجمدة ؟ ، قل لى كيف تعيد لى نفسى من الضياع والدمار؟ ، إعلم أن منى لم تعد منى ، اتركنى وأذهب إلى حال سبيلك .

قام وليد وكله إحباط وأسى وحزن لما سمعه رغم أنه لم يتوقع غير ذلك منها ، ذهب إلى والدها ، أخبره بحديث منى معه ، فحزن أبوها لسماعه هذا الكلام .

الحاج محمد : أنا سوف أجعل خالها محمود يتحدث معها فهو دكتور مهندس وقضى حياته بالخارج ، هى تحبه كثيرا وتعتبره مثلها الأعلى وهو يبادلها نفس الحب وله تأثيرعليها ، إنه سوف يأتى غدا ليأخذها معه أنا طلبت منه هذا حتى دون أن أعرف مابداخلها وما قراراتها الجديدة ، أنا أخاف أن أقوم بأخذها معى إلى القرية فتتذكر كل ماحدث لها .

فى صباح اليوم التالي جاء خالها محمود ، جلس وليد معه ، تحدث معه في كل شئ وروى له كيف أحبها من أول يوم نظر لها فيه وهى تعمل عملية الزائدة وحتى الآن .

نظر خالها للحاج محمد فصدق على كلامه ، ثم عاتب الحاج محمد على مافعله بها ، لم يطل العتاب لأنه يعلم أنه فعل كل شئ بغير قصد ، من أجل حبه ومودته له .

خالها محمود : أتركوا كل هذه المواضيع لي ، سوف أتحدث معها في منزلي ، أتركوها هى مازالت تتألم ، لا أحد يتحدث معها فأنا سوف أقنعها ، بعد ساعات ذهبوا جميعا إلى غرفتها فوجدوها لملمت أشياءها وجهزت حقيبتها ، جلست على المقعد منتظرة خالها .

دخل خالها محمود كأنه طوق النجاة لها فنهضت مهرولة ، ألقت بنفسها داخل حضنه ، ظلت تبكى كأنها تستغيث به لينقذها من نفسها ، نظرت لوالدها فوجدته يبكى من لوعة فراقها ، ذهبت له وألقت بنفسها بين أحضانه وطلبت منه أن يسامحها على العذاب الذي تسببت له فيه بدون قصد .

طلب منها أن تسامحه فنظرت له ووضعت أناملها على شفتيه حتى لايطلب منها السماح ، بعدها نظرت إلى وليد ، وجدته حزينا جدا ، ذهبت وسلمت عليه ووضعت يدها بيده فقبض على يدها كأنه يقول لها لا تتركينى وحيدا أقاسي هجرك ، طلبت منه أن يسلم على ملك وأشرف وأن يعزموها على زفافهم ، طلبت منه أن يعزمها يوم زفافه هو أيضا

وليد : إن لم تكونى أنت العروس ، لن يكون لى زفاف .

نظر لهما خالها ثم أخذها بعد أن سلم عليهم وذهب بها ، خرج وليد ووالدها خلفها وذهب والدها وأخذها تحت ذراعه ووضع ذراعه على كتفها حتى باب السيارة ، بعد أن رحلوا من المشفى ، أخذ وليد فى أحضانه ، ظلا يبكيان كأن كلاهما يحتضن آلامه وأحزان الآخر ، تركتهم من كانت نبعا لسعادتم برغم كل الحزن والأسى الذي كانا يشعران بهما معها .

ترك المشفى الحاج محمد وعاد إلى منزله دون منى .

صفاء : أين منى؟

الحاج محمد : سافرت مع خالها محمود .

صفاء : هل عاد محمود وأخذها ؟

الحاج محمد : نعم ، أتركيها تعيش كيفما تريد .

صفاء: هل تأخذوها من حضنى بعد أن تدفق قلبى بحبها ؟ وبعد أن عثرت على إبنتى التى ضاعت من بين يدى طوال هذه السنوات ، فهى لم تجد حنان الأمومة ولاعطفها معى فكنت أقسو عليها ، ظلت تبكى من أعماق قلبها .

الحاج محمد : قومى بالدعاء لها وإنسي الماضي ودع الزمان يشفي جراح كل منا .

بعد يومين ذهب وليد إلى منزل أهله بعد غياب شهور مابين شقته والمشفى ، ظل ماكثا به فى أجازة أسبوع ، فى خلال هذا الأسبوع قام بتحضيرات فرح ملك ، حدد ميعاد زفاف ملك ، قرر أن تكون خطوبة وزفاف معا.

والدت وليد : هل مازلت مضرب عن الزواج ؟

وليد : لن أتزوج .

والدته : لماذا ياحبيبي أنت إبنى الأكبر ؟! أريد أن أفرح بك أيضا .

وليد : لا تفكري في هذا الموضوع ثانية .

والدته : هل يوجد فى قلبك فتاة تحبها ؟

وليد : الفتاة التى بقلبى لن ترغبوها .

والدته : من هي ؟ أنا أذهب وأخطبها لك .

وليد : هى ليست هنا ، بل ذهبت إلى القاهرة ، لكنى أعلم إن قلت لكم عليها لن توافقوا على أن تزوجوها لى .

والدته : قل لي وإطمئن فأنا لا أريد غير سعادتك .

وليد : هل أبى يريد سعادتى ؟.

والدته : سوف أقنعه بكل شئ أترك والدك علي أنا

قص وليد كل شئ لأمه فتركته يتحدث رغم حبها لكثرة الكلام ، صدمة من كلام وليد .

والدته : هل نسيت كل مافعله بك أبوها وقيدك على الشجرة ، بعثر بكرامتك وكرامتنا فى الأرض ، أبوك لن يوافق على هذا الزواج .

وليد : أنا قلت لك هذا الكلام ولكنى لن أتزوج غيرها ، واطمئنى هى لم توافق .

تعجبت الأم لهذا الكلام كيف لم توافق ، هى مطلقة ، لن يتقدم لها شاب مثلك ، ذكر لها كل ماقالته فاحترمتها وقدرتها ، ثم زرع الله بذور حب منى في قلب أم وليد بعدما سمعت قصتها وحكايتها من وليد ، إزداد حبها لمنى ، ذهبت إلى ملك وقصت عليها كل ماذكره لها وليد .

ملك : أنا أعرف كل شئ ، كما أعرف شئ آخر .

والدتها : ماذا تعرفين ؟

ملك : عمى محمد أخذنى وذهبنا إلى المشفى الذى كان يعمل بها أخى وليد ، وقف أمام كل زملائه ، شهد أنه أخطأ فى حق أخى ، أنه تسرع فى حكمه عليه ، أعاد لأخى اعتباره وكرامته ، قام بالثناء على أخى أمام كل من كان بالمشفى .

والدتها : هل وليد يعلم هذا الحديث ؟

ملك : لا ، أخى لم يعلم كل هذا الكلام ، قد وصانى عمى محمد ألا أتحدث مع أحد فى هذا الموضوع .

ذهبت أم وليد لوالده وقصت عليه كل شئ .

الأم : إن إبنك وليد لن يتزوج غير منى فرفض فى أول الأمر وبعد أن سمعها وهى تبكي ، تتحسر أنها سوف تموت دون أن تزوجه وتفرح به ، وافق بعد أن علم أن الحاج محمد ذهب إلى المشفى وقام برد أعتبار إبنه أمام كل زملائه ومدير المشفى الذى كان يعمل بها .

الأب : لن تقولى له شئ، سوف أتصل بالشيخ حسن وأشرف ، سوف أخذك أنت وملك ، نذهب إلى الحاج محمد لنطلب منه يد منى ، بالفعل ذهبوا جميعا إلى الحاج محمد ، لم يصدق مارآه وبكى من شدة فرحته ، قام بالإعتذار لهم على ما بدر منه فى حقهم

الشيخ حسن : عفا الله عما سلف ، انسوا الماضي ونبدأ من جديد .

الحاج محمد : إن حل الموقف ليس بيده بل بيد منى فقط ، لها أن توافق ولها أن ترفض .

أم وليد : سوف نذهب لها جميعا فى الغد ونحاول إقناعها ، نظرت صفاء إلى زوجها الحاج محمد ، كأنها تتوسل له أن تذهب معهم فى الغد .

الحاج محمد : أعد نفسك وأعد ماتعديه من زيارة لأخيك حتى تذهبين معنا غدا ، قام بالإتصال بخال منى الدكتور محمود وقص عليه كل ماحدث .

خالها : أنا لم أتحدث معها من يوم أن أتينا من المشفى ، أنا أتركها على راحتها هذه الأيام حتى تستعيد وعيها ونشاطها وصحتها ، كل يوماً وأذهب بها فى زياره للمناطق السياحية ، زيارة أقاربنا ، لم أتركها تفكر فى الماضى مطلقا .

الحاج محمد : حاول أن تفتح لها الموضوع اليوم وتحدث معها ، نحن سنتصل عندك غدا .

خالها : سوف أفعل وأنتظر الوقت المناسب .

أغلق التليفون وذهب لها ، وجدها جالسة في الحديقة على الأرجوحة وجفونها تحتضن بعضها مسترخية كأنها نائمة في مكان من الجنة ، تحضن الأرجوحة الأشجار والأزهار ، أمامها نافورة مياه ، يشعرها صوت المياه وعبير الزهور أنها تحلق فوق السحاب مثل البلابل والعصافير .

جلس خالها بجوارها وقطع حبل أفكارها وأخرجها من حالة اللاوعى الذي تستمتع به .

تبادلا النظرات .

منى : قل ماذا تريد منى ؟ أنا أعرفك ،

قام وقبل جبينها .

خالها : إن ذكائك هذا سوف يقتلك ، فابتسمت .

منى : كل ما أتمناه هو أن أكمل دراستى لأبدأ من جديد .

خالها : أما عن حلم كل فتاة .

منى : حلمى أصبح كابوسا ، لا أريد أن أتذكر شيئا .

خالها : ووليد يامنى ماذنبه ؟

منى : أنت تعرف ياخالى أنا لا أريد أن أظلمه معى .

خالها : أنا لن أظل على قيد الحياة طوال العمر ، والدك أيضا لن يظل على قيد الحياة طوال العمر .

منى : هل أصبحت عبئا عليك هذه الأيام القلائل

خالها : لا ولن تكونى عبئا على أحد ، لكننا جميعا نرغب فى سعادتك فقط .

منى : كلما يداعبنى طيفه أجد عقلى لم يرغب بالتفكير فيه ، حتى لايتعلق قلبى به وأتعذب وأعذبه معى ، فهل جئت الآن حتى تذكرنى بأحزانى ؟

خالها : لا ياحبيبتى فمنذ أن أتيت إلى هنا وأنا أرغب بالحديث معك ، لكنى لم أرغب أن تتعذبى ، لكن ياصغيرتى أنا أريد أن أتحدث معك بالعقل والمنطق .

منى : هل من العقل والمنطق أن يحدث لى كل هذا الألم ؟

خالها : هذا ماقدره الله لك ، فأنت من يوم أتيت إلى هنا وأنا لم أفتح معك أي موضوع ، تركتك مع نفسك ، حتى تستقرين وتستقر حالتك النفسيه دون ضغوط من أحد ، الآن .. هناك مشكلة وأريد منك حلها .

منى : أى مشكلة ؟

خالها : سوف يأتي لي ضيوف غدا وأريدك أن تستعدى لمقابلتهم .

منى : هذه هى المشكلة التى نريد لها حلا ؟ سألته من يقوم بزيارتنا ؟

خالها : غدا سوف تعرفين .



تركته وذهبت دون أن يتفوه فمها بأي سؤال ، قالت لنفسها يأتى من يأتى ، سنقوم معه بالواجب ثم يذهب لحال سبيله ، ذهبت إلى المطبخ ، ظلت تعد لهم الطعام الذى سوف تقدمه لهم فى الغد .

خالها : ماذا تفعلين ؟

منى : أقوم بحل المشكلة العويصة التى تريد حلها ، ابتسم وتركها وذهب إلى غرفته ، هو يظهر على وجهه علامات التعجب من تصرفاتها ، التزامها الصمت ، عدم إنشغالها بمن سوف يأتى ، قد أصبح عندها لا مبالاة لكل شئ .

فى الصباح قبل الظهيرة وجدت سيارتى والدها و أشرف تمران من بوابة الحديقة ، خرج خالها ليرحب بهما ، هرولت عليها ملك وأخواتها أكرم وياسين ، أخذوها فى أحضانهم ، أما هي فهرولت على والدها ، ألقت نفسها بين يديه ، نظرت لأمها وسلمت عليها وقبلتها على وجنتيها ، وجدت الشيخ حسن وأشرف ، سلمت عليهما ، وجدت معهما رجلا وسيدة لم تعرفهما ، نظرت لهما ، سألت عنهما ، أخذها الشيخ حسن من يدها ، عرفها عليهما .

الشيخ حسن : هذه أم وليد الحاجة فاطمة ، وهذا والد وليد الحاج وجيه ،

سلمت عليهما ، قبلت يديهما ، أخذتها أم وليد فى حضنها كأنها إبنتها ، قامت بالطبطبة عليها وتقبيلها ، جلس معا فى الحديقة ، بعد لحظات أمسكت منى يد ملك ، ذهبتا معا تتجولان داخل الحديقة هى وأشرف ، قامت ملك بالحديث معها هى وأشرف ، ظلا يحاولان إقناعها بالزواج من وليد ، جاء وقت الغداء فنادى عليها خالها كى يعدوا الطعام ، ذهبت منى وملك ، لإعداد الطعام ، قاموا على تنظيم السفرة بالأطباق والشوك والسكاكين ، وضعوا الطعام ،

صاحت منى عليهم حتى يتناولوا الطعام ، حضر الجميع ، جلسوا على السفرة ، قاموا بتناول الغداء ، بعد الغداء نهض الجميع إلى غرفة الصالون ، جلسوا يتحدثون معها ، يترجوها حتى توافق على وليد ، نظرت لهم دون أن تتحدث ، بعد مرور ساعات وهى تستمع لهم كل على حدة والكل يتبادلون الآراء ، وجدت نفسها محاصرة من كل جانب ، الكل يحفزها على الموافقة ، بعد تفكير لم يدم طويلا ، تمت الموافقة ، أسعدت كل منهما بموافقتها ، بعد المغرب عادوا جميعا إلى منزل وليد ليزفوا له الأخبار السعيدة ، عند وصولهم إلى المنزل أسرعت ملك بإخباره ، لم يتوقع وليد أن والده وأمه ذهبا معآ لخطبة منى ، لم يصدق حديث ملك ، كاد أن يطير من فوق الأرض من سعادته الغير متوقعه .

طلب الحاج محمد من والد وليد أن يأتى بأقاربه الذين حضروا الخلاف القديم .

الحاج وجيه : لماذا ؟

الحاج محمد : لأعتذر منكم أمامهم .

الحاج وجيه : لقد أصبحت كرامتك من كرامتى ، لن أرضى لك الإهانة ، أى أب مكانك سيفعل مثلما فعلت وأكثر ، إن شعر أن أحدا يتحرش بابنته ، يكفينا أنك فعلت مافعلته أنت وملك ، إن كنت علمت بما ستقوم به لما وافقتك على هذا ، لكن يكفينى أنك عرفت أننا محترمون وجديرون بنسبك .

الحاج وجيه : وليد سوف تذهب غدا لخطيبتك لتأخذها وتشتري لها شبكتها ومستلزمات الزفاف ، لأنك سوف تتزوج أنت وملك فى يوم واحد ، قبل أن تغير خطيبتك قرارها .

فى الصباح ذهب وليد وملك وأشرف وهو لايصدق أن منى وافقت على الزواج به ، عندما وصلوا إلى منزل خالها ، وجدها منتظرة فى الحديقة مع خالها ، لأنهم على علم بهذه الزيارة ، ذهبت معهم وإشترت الشبكة وفستان الزفاف هى وملك ، لكنها ظلت صامتة لا تتكلم بكلمة واحدة .

قامت ملك بإختيار كل شئ على ذوقها لها ولمنى ، لم تعترض منى على شئ ، لأن بداخلها أشياء كثيرة وكلام كثير وخوف كبير من المستقبل .

ينظر وليد لمنى يؤلمه قلبه عليها من شدة الألم الذى بداخلها ، لكن عزاؤه الوحيد أنه متأكد أنه سوف يبذل قصارى جهده لإسعادها ، خاف وليد أن يفتح معها أى حوار فى موضوع زفافها ، ترك كل شئ يمحوه الزمن ، بعد عودتها إلى منزل خالها ، ذهبوا جميعا وكلهم سعادة وتفاؤل ومرح ، وضعوا كل شئ قاموا بشراءه أمامه حتى يباركه ، قبل دبله خطوبتها وقبلهم جميعا وبارك لهم ، بعدها ذهب وليد وأشرف وتركوا ملك مع منى حتى يقوموا بتحضير كل شئ للزفاف ، كي لاتظل منى وحيدة فى هذه الأيام ، يلعب بعقلها الشيطان .

ذهبوا إلى منزل الحاج محمد ، وجدوه يحتفل ويقيم الأفراح والزينه والأنوارإحتفالا بزواج منى قبل ليلة الزفاف بأسبوع ، كل القريه ذهبت وشاطرته أفراحه مثلما شاطرته أحزانه ، ظل كل يوم يرقص بعصاه وهو سعيد بزواجها ، دقت دفوف الأفراح فى منزله بعدما دقت طبول الأحزان ، دوت أصوت الزغاريد بعدما دوت أصوات طلقات الرصاص فى نفس المنزل .

سأله رجل من المهنئين هل سيقوم الزفاف هنا ؟.

الحاج محمد : لا بل يقام بالقاهرة عند خالها ، قام وعزم كل الحاضرين على زفاف ابنته منى على الدكتور وليد .

جاء يوم الزفاف فذهبت والدتها صباح يوم الزفاف هى ووالدها وكل أحبائهم ، حضروا زفاف ملك وأشرف ومنى ووليد فى منزل خال منى إكراما له ، بعدها ذهبوا إلى منازلهم ، أخذ كل عريس عروسته وذهب إلى شقته ، دخلت منى إلى شقتها وهى شاحبة الوجه ، قلبها تتزايد ضرباته ، بعد دخولها ، وقف وليد أمام غرفة النوم ، نظرت له ونظرا لها ، قرأ كل ما تقوله عيناها ، أحب أن يكسر من حدة الموقف .

وليد : هيا بنا سوف تذهبين إلى غرفتك ، هى مازالت واقفة لاتريد أن تذهب .

وليد : إذن هيا نلقى نظرة سريعة على الشقة أولا ، بعدها إفعلى مايحلو لك ، ذهب بها إلى المطبخ أولا ثم إلى الحمام ، غرفة التلفزيون ، بعدها الصالون ، فتح الغرفة الثانية ، وجدتها غرفة نوم ثانية .

وليد : هذه غرفتى وأنت الغرفة الأخرى ، كل منا سوف يظل فى غرفة لوحده إلى أن يشاء الله ، هل إطمأن قلبك ، هيا إذهبي وبدلى ثوب الزفاف ، ثم قومي بالوضوء لنصلى العشاء وركعتين شكر لله ، بعدها أريدك أن تقومى بإطعامي ، لأننى لم أتناول الطعام من يومين ، نظرت له وضحكت ، ذهبت مهروله ونفذت كل ماقاله ، ظلت حياتهما على هذا الحال ، بعد مرور سنة رزقت ملك بمولودها الأول .

الحاجة فاطمة : عقبالك يامنى ، أما آن الأوان حتى نسمع أخبارا سعيدة عنكما ؟، أريد يامنى أن أحمل طفلكما قبل أن أموت ، فنظرت لها ولم تنطق ، إستأذنت و ذهبت إلى المطبخ لتعد الطعام لملك .

بعد خروج منى من الغرفة .

ملك : لماذا قلت هذا الكلام ؟ ، ألست على علم أنها كانت حامل من قبل من زواجها الأول ، ربما العيب فى إبنك ، يا أمى لا تحرجيها مرة ثانية .

الأم : هل منى غاضبة من حديثى .

ملك : لا منى لم تظهر غضبها لأحد .

ذهبت حماة منى لها المطبخ ، قبلتها وإعتذرت منها .

الحاجة فاطمة : سأذهب لأن عمك وجيه سيأتى من المسجد ويجب أن أعد له الطعام ،

قبل رحيلها وصتها أن تظل بجوار ملك ، ثم تركتها وذهبت .

دخلت منى على ملك ، فى عينيها دموع لم تتحرك ، اعتذرت ملك من منى ، لكن منى لأول مره تنهار بالبكاء .

منى : لا أحد يعلم العلاقه بيني وبين وليد ، وقصت علاقتها بوليد .

ملك : كيف ؟ كل هذا الوقت ولم تقتربا من بعض !.

منى : نعم ، أنا لن أقدرعلى هذا مطلقا ، ظلت تبكى .

ملك : لاتخافى من شئ فنحن معك ولن نتركك ، لكن كيف يستطيع أخى تحمل كل هذا الهجر ؟

منى : هو لايشعرنى بأى تقصير فى حقه فهو حنون وعطوف

ملك : كل هذا ليجعلك تحبيه وتحنى له كأنثى .

منى : أنا لست بأنثى ، نظرت لها ملك وصمتت خوفا أن تجرح مشاعرها .

ظلا على هذه الحال سنوات تتباعد فيها الأجساد لمسافات ، ثم تقترب الأرواح من بعضها ، لكن فى الأحلام والخيالات ، إلى أن جاء يوم إنقلبت فيه كل الموازين ، يوم جاء وليد من عمله وفتح باب الشقة ، فدخل على غرفة منى كعادته فلم يجدها فصاح عليها يامنى .

منى : نعم أنا بالمطبخ ،

ذهب لها إلى المطبخ فوجدها واقفه أمام رخامة المطبخ تعد له العشاء ، قبلها من شعرها المنساب على ظهرها متمنيا أن يلتحفها بذراعيه ويأخذها بين أحضانه المتلهفه والمشتاقة لدفء حضنها ، وقف صامدا يحدق بها وبجسدها ، تنهش جوارحه رغبته المكبوته وشوقه لها .

منى : إذهب أبدل ملابسك حتى أعد العشاء فقد فرغت من عمله .

وليد : سأذهب ولكن بعد العشاء ، أعدى نفسك .

منى : هل نذهب إلى ملك ؟

وليد : لا بل ستأتي معنا ملك وأشرف نحن سوف نذهب لإحتفال عيد ميلاد سماء .

منى : الدكتورة سماء .

وليد : نعم أريدك أن ترتدى الثوب الأسود الذى إشتريته لك ، أنا لم أرك ترتدينه .

منى : لأنه مكشوف جدا .

وليد : نحن ذاهبون إلى أصدقائنا وهو ثوب سهرة ، أرجوك أريد أن أراه عليك.

منى : سوف أرتديه بعد العشاء ،

وليد : سأغتسل أولا ،

تركها وذهب إلى الحمام ، خرج ، وجدها وضعت العشاء على المنضده بشكل منظم وراق كعادتها فى تنظيم كل شئ ، جلس وجلست أمامه ليتناولا العشاء ، كعادته يجلس شاردا بعقله بها ، يظل تراوده أحلام اليقظة ، يتخيلها تجلس بجواره وتطعمه فى فمه ، يقوم بإلتهام

أناملها مداعبا لها ، لكن سرعان مايأتى هادم اللذات ومفرق الجماعات

، تصرخ فى وجه وليد ألست جائعا ، بماذا تفكر؟! ، ينظر لها ويقول آه ياحبيبتى لو تعلمين بمن أفكر ، بعدها يضع وجهه فى الطبق ويتناول عشاءه .

وليد : إذهبى وارتدِ ثيابك ، أنا سوف أحمل الأطباق الى المطبخ .

منى : لا لن أذهب حتى أقوم بتنظيف المطبخ فلن أهنأ بالجلوس وأنا أشعر أن منزلى ليس نظيفا .

وليد : سوف أنظفه أنا وأشطب الحوض .

منى : لا ..هذا عملى أنا ، هل اتدخل فى عملك ؟

وليد : هل هذا عملك فقط ؟

منى : ماذا تقصد ؟

وليد : لاشئ ، هيا سوف أساعدك حتى لانتأخر على أمجد .

منى : إذهب وإتصل أنت بملك أولا فهى تتأخر دائما في ارتداء ملابسها .

وليد : قلت لها عندما أتيت عملى ، هي وأشرف جاهزان .

منى : إذن إذهب لتأخذ حمامك وتجهز نفسك ، سوف أنتهى من عملى وسوف تجدنى جاهزه فى ميعادنا ،

ذهب وتركها تتسارع مع أطباق المطبخ وأوانيه ومعالقه وشوكه وسكاكينه ، قامت بتنظيفه على أكمل وجه ، ذهبت إلى الحمام لتأخذ حمامها ، وجدت وليد بداخل الحمام كما ولدته أمه فصرخت وخرجت مسرعة إلى غرفتها وظل جسدها ينتفض من المنظر الذي وجدته عليه فهذه أول مرة تقع عيناها على جسد رجل .

تعالت ضحكات وليد ، وتخيل وجهها عندما نظرت إليه ، بعد أن إرتدى ملابسه ، خرج إلى غرفتها ووقف أمام الباب .

وليد : خرج من الحمام وقف أمام باب غرفتها يبتسم ويكتم ضحكاته حتي لايحرجها أو يشعرها بشئ يجرح به مشاعرها فهو يعلم عقدتها من الرجال ، ذهب بعدها إلى غرفته ليرتدى ملابسه ، خرجت هى بعده إلى الحمام مسرعة خوفا من أن يلمحها ، لأنها تعتقد أنها فعلت شئ مشين ويسئ لها ، بعد خروجها من الحمام دخلت مسرعة إلى غرفتها ، وقفت أمام خزانة الملابس لتختار ثوب ترتديه فوقع نظرها على الثوب الأسود الذى طلب منها وليد أن ترتديه ، أخرجته من الخزانه ووضعته على سريرها ، ذهبت إلى المرأة ، نظرت إلى جسدها ، خلعت المنشفة من على شعرها فانساب على ظهرها وكأنه خيوط من الحرير اللامع ، وضعت أناملها على شفاهها ، على وجنتيها ، مسحت وجهها بكفيها ، خلعت البرنس الذي ترتديه ، قامت بوضع الثوب الأسود على جسدها حتى تنظر له وهو على جسدها فعجبها ، قامت بإرتداء الثوب ورسمت شفتيها بأحمر الشفاة ، وضعت بودرة بلون الورد ،

رسمت عيونها بالكحل ، صفت أهدابها وضعت العطر من عبيرها المتميز ، جاءت بشال أبيض من الفورير ، وضعت قرط في أذنيها متدلى على كتفيها ، تزينت بالذهب في أناملها ومعصمها ، بعد أن إستعدت ، خرجت من غرفتها وجدت وليد جالس أمام غرفتها على مقعد ينتظرها ، عندما لمحها ، وقف يتأملها بنظراته ، وجدها مثل البدر المضئ يوم تمامه في الليل الدامس ، نظراته تخترق جسدها وكل جزء فيه ، بعد أن أفاق من شروده كعادته ، وضع يده في جيبه وأخرج منها علبه ففتحها وأخرج منها عقد ذهب به فصوص ألماظ ، جاء من الخلف ورفع الفرير من على كتفيها حتى يلمس عنقها وهو يضع العقد حول عنقها لتداعب أنامله عنقها ، هو يشعر بجسدها ويستنشق عبير عطرها ، ظل يتلكأ وهو يضع العقد حتى يشبع رغبته ، بعد شعورها أن وقفته غير طبيعية ، شعرت بأنامله لم ترغب بترك عنقها ، ذهبت بعيدة عنه وهي خائفة ومرعوبة ، كأنها طفلة تخاف من شبح لمس جسدها ، ذهب إليها مسرعا ، وقف أمامها ليهدئ من روعها ،

ظل يقول لها لا تخافي منى فأنا أحبك ، لن آخذ شيئا منك بغير إرادتك ،

نظر لها نظرة عطف وحب ، بسط ذراعيه وهو يتمنى أن تلقي بنفسها بين أحضانه ، وجدت في عينه الحب والسكينة والإطمئنان ، هربت منه إليه ، ألقت بنفسها بين أحضانه ، تنهد تنهيده قوية ، ضمها بين ذراعيه وكأنها طفله بين أحضان أبيها ، لكن هذا الحضن أشعل نيران الرغبة والغريزه الشهوانيه بداخله ، ظل قابض علي وجدها ومتمسك بها بين ذراعيه حتى يطفىء نيران لهفته وأشواقه المحترقة ورغبته المكبوتة منذ سنوات ،

لكنها تشعر بدفء حضنه ، هى تظن من داخلها أنه حضن أبوي برئ ، وأن وليد ليس له أي غرض من هذا الحضن غير أنه يريد أن يهدئ من روعها ، ظل وليد هائما داخل حضن منى ، ذهب بخياله إلى مالا نهاية ، هي تريد أن تتملص منه وتريد أن يتركها .

منى : هيا قد نتأخر على صديقك ،

هو لا يسمع غير نبضات قلبه التي تصرخ بداخله ، لايشعر غير بجسده الذي تحول إلى جمرة من نار مشتعله ، بعد لحظات صرخت منى هيا ياوليد لقد تأخرنا ، نظرت له وهمست ، هل نمت ؟

وليد : لا بل تهت .

منى : بروح طفلة أنت بين ذراعي كيف تهت ؟ الي أين ذهبت ؟ تقول هذا الكلام بتلقائيه وعفويه .

وليد : بل تهت بين دروبك وضاع عقلي في وديانك ، ذهبت إلى حديقة غناء أستنشق رحيق زهورها التي تتناثر من خصلات شعرك ويشجيني سماع نبضات قلبك ، كأني بين معزوفة موسيقية .

نظرت له وهى سعيده بكلماته الرنانه وتستمتع بها حتى تشعر أنها مرغوبة ، هى أصبحت أنانيه فى عواطفها ، تريد أن تأخذ الحب والحنان والعطف والإحتواء ، لكن دون أن تتكبد العناء فى إعطائه لأحد .

منى : هل يحلم أحد وهو واقف ؟

أمسكت يده وأخذته وذهبت إلى باب الشقة ليذهبا الى ملك ،

منى : هيا لنذهب لقد تأخرنا على ملك ،

بعد خروجهما من المنزل وجدا ملك وأشرف ينتظراهما أمام العمارة بجوار سيارة وليد ، سلما عليهما قبلت ملك أخيها وأبدت إعجابها بأناقة مني وثوبها وعقدها الجديد الذي لم تره من قبل الآن وبعدها صعدوا إلى السيارة وذهبوا معا إلى عيد ميلاد دكتورة سماء .



عد وصولهم إلى باب الشقة قامت كل منهما بضبط ثوبها ، دق وليد الباب ففتح لهم أمجد ، دخلوا فوجدوا أناسا كثيرة منهم أصدقاء سماء ، أقارب أمجد وسماء ، بعض من أصدقاء أمجد ، نادى أمجد على سماء فجاءت لترحب بهم وتصافحهم أتت إليهم ومعها حنان إبنت خال سماء ، بعدها إستأذنت حتى تضبط السفرة بالتورتة والحلو والشموع

حنان : سماء من الرجل الذى جاء منذ لحظات .

سماء : من تقصدين ياحنان ؟

حنان : الرجل الذي دخل ومعه فتاتان وصديقه .

سماء : من تقصدين ؟

حنان : الذي يمسك يد الفتاة ذات الرداء الأسود

سماء : ذات الرداء الأسود هذه زوجته، وهو صديق أمجد الوحيد وزميل في العمل اسمه وليد .

حنان : هل هو طبيب ؟

سماء : نعم طبيب وهذه التى معه زوجته ألم تنصتي لحديثى عنه ،

حنان : ومن الفتاه الأخرى ،

سماء :أخته ملك ، لكن أنظرى إلى زوجته منى ، كم هى جميله وأنيقه وجذابه .

نظرت لها حنان وهمست بصوت خافت لا بل هو الذي خطف قلبى

إبتسمت سماء ظنا أنها لم تقصد ماتقول ، فهي فتاة فى العشرين من عمرها ، نظرت لها سماء

سماء : لا تضعى مقلتيكى عليه ، إنه يعشق منى ومتيم بها من قبل ولادتها ، أنت لا تعرفين مافعله من أجلها ومن أجل حبها فكم قاسى وليد حتى تصبح منى بين ذراعيه ،

ماذا قاسى من أجل هذا الحب ،

ظلت سماء تروى ماتعرفه من حياة منى ووليد ، نسيت أنها تفشى أسرار زوجها الذى إئتمنها عليها ، هى فى الأصل أسرار وليد ومنى التى أصبحت فى جعبة حنان ، فتحت سماء لحنان مائة باب تدخل لوليد منها عرفت حنان من أين تعزف على أوتار وليد ، ظنا منها أنها تقدر بسحرها وجمالها وشعرها الأصفر مثل الحرير ، العيون العسلي ، الوجه الأبيض المضيء ، القوام الغزلاني ، طولها اليافع ، أهدابها الطويلة ، شفاهها الفراوليه ووجنتاها لون الورود ، لكن هيهات إن فعلت هذا ، ، هى تظن أنها تقدر أن تقتل هذا العشق ، تركت حنان سماء وذهبت لتتعرف بوليد ومن معه كأنها ترحب بهم ، وقفت أمامهم

حنان : هاى أنا حنان إبنة خال سماء

ومدت يدها لتصافح وليد أولا ، فسلم عليها وليد فقبضت يدها في يده قبضة قوية ونظرت له نظرة كلها إعجاب ، ألقت شرارة بداخله ، سرعان مانزع يده من بين أحضان يدها ، ذهبت إلى ملك وأشرف وسلمت عليهما مسرعة ، تركت منى ووقفت أمامها لتنظر إليها ، قامت ببعثرت الثناء عليها وأبدت إعجابها المصطنع بأناقتها وجمالها ، منى واقفه بشموخ وكبرياء وغرور كعادتها منذ طفولتها فقد زرع والدها نبتة الثقه بالنفس ، هى لم تقصر في رعايتها فكبرت بداخلها هذه النبته ، أصبحت ثقتها بنفسها تفوق كلام البشر فلا يؤثر فيها مجاملة أحد . نظرت ملك الى حنان ولم يطمئن لها قلبها ، همست فى أذن أشرف .

ملك : هل يوجد فتيات بهذه الوقاحه .

أشرف : أصمتي .

ملك : ألا تنظرأنت كيف تنظر لأخى وتلتهمه بعينيها ، هي تبعثر البسمات والنظرات الملتهبه لتوقعه في شباكها .

أشرف : بالتأكيد هى تسكن بالقاهرة ، لاتعلم عاداتنا وتقاليدنا ، اتركيها وتنحى عنها .

عندما لمحتها سماء خافت من أن يحدث شيئا ، ذهبت مسرعة إليهم لتعرفهم عليها .

سماء : أعرفكم بحنان إبنة خالى فهى تسكن بمنطقة المعادي بالقاهره .

ملك : باشمئزاز تشرفنا بمعرفتك تقولها وكأنها تريد أن تصفعها على وجهها .

نظرت سماء لملك ، وجدتها غاضبة ، مسكت بيد حنان وأخذتها .

سماء : تعالي لتساعديني فى جلب الأطباق من المطبخ ، بعد ذهاب حنان ظل وليد ينظر لها طويلا وكأن نظراته توقفت ، عند حدث معين ، ظل شارد الفكر ، نظرت له ملك ، وجدته شاردا ، ظننت أنه أعجب بعروس الماريونيت هذه ، خافت على صديقتها منى من المجهول ، داعبتها فكرة حائرة فى عقل ملك ، لكنها لم تمتلك نفسها ، قالت لنفسها سوف تترك المواقف الليلة تكملها الأحداث التى سوف تحدث ، تنحت جانبا ، وقفت تراقب المواقف والأفعال ، نظرت إلى منى ، وجدتها تنظر إلى وليد وهو يلتهم حنان بنظراته ، وجدته لا يضع عينيه من على حنان فعينيه تتابعان خطواتها وهمساتها ، يبتسم عندما يجدها تتمايل بشعرها وتهمس له بكلمات لم يسمعها ولكنه يتحسسها ، هو هائم بخياله فصورة منى ووجهها ارتسم على جسد حنان ،شعر أن منى هى التى تراوده وتداعبه ، قلبه لم يسمع غير ترانيم منى وعينه لم يضئ نورها غير بالنظر إلى منى ، عاود النظر إلى منى ، وجدها تنظر له وهى غاضبة ولاتتحدث ، ابتسم لها بسمة خافتة ، عاد بعينيه يبحث عن حنان ، تارة ينظر إلى منى وتارة أخرى يسرق النظرة إلى حنان ، لكن روحه ترفرف حول منى ، أصبح وليد في صراع مع نفسه فقلبه ينبض بنبضات منى وروحه تهفو إليها ، لكن شيطان عقله يوسوس له ، فنظرت له ملك وتركت أشرف وذهبت إلى منى ، أمسكت بيديها وتنحت بعيد عن وليد وأشرف .

منى : ماذا تريدىن من يدى ؟ أتركينى ياملك .

ملك : إنتظرى هنا أريد أن أتحدث معك .

منى : تكلمى فى عجالة .

ملك : أريدك أن تهتمى بزوجك قليلا.

منى : ماذا تقصدين ياملك ؟

ملك : أقصد أن هنا من تحوم حول وليد ، تريد أن تختطفه منك ، قلبى يحدثنى عن شئ لم تفهميه أنت يامنى ، أشعر أن هذه الفتاة مفتونة بأخى ، وأناقته ووسامته ورجولته.

منى : هو يحبنى وأنت تعرفين مدى حبه لى .

ملك : إن للحب قوانين إن لم يلتزم كل منا بتنفيذها يسقط هذا الحب فى يم النسيان ، لاتثقى بالحب ، العاطفه مثل نبته تنبت بداخل قلوبنا وإن لم تجد من يرعاها بحبه وإهتمامه وإحتوائه وخوفه عليها ترحل إلى من يعرف قيمتها ويهتم بها ويقوم على رعايتها ، هذا هو الحب ياصديقتى ، الحب عطاء ، وليد صبر معك كثيرا جدا ، لا تغضبى من حديثى معك ، أنا أختك وصديقتك ،

تعمدت ملك أن تزرع بذور الشك فى قلب منى ، حتى تحافظ على زوجها وبيتها الذى أصبح فى مهب الريح ، تعود لنفسها ولأنوثتها ، تحاول أن تعوض زوجها الحرمان الذى قاساه فى بعدها عنه .

عادت منى بالنظر إلى وليد ، وجدته لايرفع عينيه من على حنان ، وقفت منى وملك تراقبان نظراته ، هو لايدرى أنه مراقب ، لايعلم ماذا تفعل به الأيام ، نبهه أشرف لما يدور من حوله فابتسم لأشرف .

وليد : أعلم كل شئ ،

ذهب لملك ومنى وأخذهم بين ذراعيه وذهب بهم إلى التراس ، وقف كل زوج مع زوجته ينظران أمامهما حيث المنظر الخلاب ،التراس يقع في الطابق السابع من البنايه التى تطل على الشارع العمومي وعلي مسافه من الطريق يوجد نهر وحوله أشجار وزهور الزينه والقمر يشق السماء وتغوص ضياؤه داخل مياه النهر ، لم تتركهم حنان يستمتعون بهذا المنظرالخلاب ، جاءته مثل هادم اللذات ومفرق الجماعات ، جاءت لتعكر صفاء منى وملك، وقفت حنان بين منى ووليد وفرقتهما عن بعضهما ، ظلت تتحدث معه وتقول له أنها مريضة وتريد أن يفحصها .

ملك : إنه طبيب تخدير ، عندما تقومي بإجراء عمليه لنزع مقلتيكي سوف يقوم هو بتخديرك .

حنان : بكل وقاحه ، مقلتي ساحرتان لماذا أنزعهما ، لم يخلقهما الله لينتزعا بل خلقهما ليسحرا من ينظر إليهما .

ملك وطلبت من أشرف أنها تريد المغادره .

ملك : أنا لأريد أن أظل هنا في هذا المنزل ،

أمسكت بيد منى بكل عصبيه ،

ملك : هيا نذهب من هنا ، أنا لاأريد أن أظل فى هذا المكان مع هذه الفتاه المستفزه والوقحة .

نظرت لها حنان وهمست في أذنيها وقالت لها أنت فلاحة ،

وتركتها وذهبت من التراس ، غلى الدم فى عروق ملك وكادت أن يعلو صوتها وتتفوه بألفاظ ، لكن أشرف أوقفها ووضع أنامله على شفتيها فصمتت ، لكنها تحترق من داخلها فهى لاتصدق ماحدث لها .

وليد وأشرف وهما مبتسمان: إهدئ إهدئى من أجل أمجد فهو ليس له ذنب فيما يحدث .

بعد لحظات جاء أمجد ليطلب منهم أن يأتوا معه ليطفئوا الشموع ، ذهبوا جميعا ووقفوا بجوار السفرة ، جاءت حنان وقفت بجوار وليد ، جاءت ملك من خلفها وقامت بتنحيها عنه ووقفت هي بجواره فأصبح وليد واقف بين ملك ومنى ،فقامت ملك بفرض الحصار على أخيها وزوج أختها وصديقتها ، بعد أن أطفأ الشمع ، عاد أمجد يضئ المكان بالمصابيح الكهربائية ، أخذ وليد منى وملك بين ذراعيه ، ذهب ليقوم بتهنئة سماء ويعطوها هداياهم ، جاءت حنان مرة أخرى ، وقفت بجوار سماء لتنظر إلى الهدايا التى أعطوها لسماء ، مسكت الهديه التي أعطتها منى لسماء وقالت هذه الهديه جميله ، لابد أنها على ذوق الدكتور وليد .

ملك : نعم أنا أعرف ذوق أخى أن ذوقه فائق الجمال ، ألم تنظرى إلى زوجته وجمالها ورقتها وأناقتها وإحترام أخلاقها وأدبها ، كل هذا الحديث لايكفيها حقها ، هل تأكدتى يا مصراويه أن أخى ذوقه رفيع للغايه ،

ذهبت ملك ممسكه بيد سماء ، تنحت بها بعيد عن الحاضرين

ملك : خذى إبنة خالك هذه وإجعليها تبتعد عن أخي ، حتى لا أتشاجر معها فقد فاض بى الكيل .

نظرت سماء إلى ملك ولم تتحدث معها بكلمة واحدة ، لأمرين الأمر الأول أن ملك فى منزلها ، الأمر الثانى أنها تعلم أن إبنة خالها ليست رزينة العقل ، ذهبت ونادت حنان وأخذتها وذهبت بها إلى غرفتها .

سماء : بعصبية مفرطه حنان إبتعدي عن أصدقاء أمجد حتى لاتكونين سببا فى خراب منزلى ، ابتعدي عن وليد أنا قلت لك أنه يعشق زوجته .

حنان : لكنك قولت لى أنها لاتسعده .

سماء : لقد قمت بخطأ فاحش عندما أفشيت أسرارهما لك ، أنا ماكنت أعلم أنك سوف تأخذين كلامى وتضعيه سكينا على عنقى ، لوسمحت لا تتعرضي لهما حتى يذهبا من هنا ، حتى لايشعر أمجد بشئ ، إن شعر أمجد سوف يغضب كثيرا ، هددتها وقالت لها إن خرجت من هنا قبل رحيلهما سوف أتحدث مع والديك ، أخبرهم ماذا تفعليه .

حنان : تنهرينى من أجل أصدقاء زوجك .

سماء : هما فى منزلى وواجب علي أن أحميهم من فتاة متهورة رعناء مثلك ، أنت لم تعرفى عادات وتقاليد هذه المدينة ، أكثر البشر هنا قرويين ولهم عادتهم وتقاليدهم ، لاتعرفي كيف ينظرون لك ، هم يعتقدون أنك فتاة منحرفة الأخلاق ، إسمعى كلامى أنا أخاف عليك ،

لم تستمع حنان لحديث سماء ، تركتها واقفة وحدها فى الغرفة ، ذهبت مرة أخرى إلى وليد ، لاحظ أمجد مايحدث ولاحظ كل الحاضرين ، ذهب أمجد إلى سماء بعد أن سمع همسات الحاضرين على حنان .

عندما وجدتها ملك عادت ثانية أصابها الجنون ، كلما تنظر لأخيها وتنظر لحنان ، تنظر لمنى تجدها صامته لاتتكلم مطلقا تنظر وتتأمل فقط وتفكر ، هى معتادة على التفكير الكثير والحديث القليل ، أنها لاتفعل شيئا إلا بعد تفكير عميق ، هى تزن الأمور جيدا برغم صغر سنها عندها عقل ناضج ، لكنها بداخله عقدة لم تحل إلى الآن ، بعد إنتهاء الحفل ذهبوا جميعا .

خرجت ملك غاضبة كغضب البحر ، منى صامتة فظاهرها سكون مثل سكون الليل ، أما بداخلها بركان مشتعل ، ينظر لها وليد هو وملك وأشرف وهي صامته لاتجيب على أحد ، هى تسبح فى عالمها وهما يسبحون فى عالمهم ، كل منهم يبكى على ليلاه ، بعد لحظات من إلحاح كل منهما ليجعلها تتحدث وتقول ما أصابها ، قامت بالنظر لهم جميعا وتركتهم ، ذهبت إلى السيارة ، وقفت بجوارها حتى يحضروا لها ، نظرت ملك لها وشعرت أن منى يشتعل بداخلها نيران لم تعرف هل نيران الغيرة أم نيران غضبها على كبريائها وكرامتها التى بعثرها وليد أمام الحاضرين ، بنظراته لفتاة أخرى غيرها .

ملك : وليد إذهب خلف منى إنها غاضبة جدا ، نظر وليد إلى ملك وقال إتركيها غاضبة لعل غضبها يحرق العقدة التى بداخلها وتفوق لنفسها وتشعر أنها أنثى مثل كل النساء ، أريدها أن تشعر أنها سوف تفقدنى من بين أحضانها ، لعل غيرتها هذه تشفي جراح روحها وترد لها أحاسيسها ومشاعرها ويعود قلبها ينبض بعدما دفنت كل هذه الأشياء الجميلة التى تجعلنا نستمتع بالحياة في قبر وتناثرت عليه بالثرى .

ملك : ماهذا ألم تعجب بهذه الفتاه .

وليد : هل أصابك الجنون كيف تجرؤ مقلتي أن تنظر لملامح إمرأة أخرى أو يجرؤ قلبي أن ينبض بهمسات امرأة ثانية ، كنت أنظر لهذه الفتاة ، لكنى كنت أرى منى هيا التى تتلاعب بمشاعرى وأحاسيسى ،

فرحت ملك واطمئن قلبها على صديقتها وأخيها .

ملك : سوف أساعدك فى تنفيذ هذه الفكرة ، سوف نفكر فى حيلة نشعل بها نيران الغيرة بداخلها ، لعل الله يعيدها إلى رشدها ،

وقف أشرف ينظر لهما ويتأمل كلامهما فهو لايفهم ما يقولان ، فوقف صامت لايتكلم ، هو لايعرف حقيقة العلاقة بين وليد ومنى ، لم يهتم وليد لوقوف منى بجوار السيارة وهى صامتة لاتريد أن تطلب مفتاح السيارة ، حتى صعد وجلس بداخلها ، بل ظلت واقفة تنتظرهم حتى يعود كل منهما إليها ، ذهب وليد بكل هدوء وروية مبتسما والسعاده تظهر على وجهه والضحكات تتبعثر من شفتيه بدون أى سبب ، وجود معالم الغيرة والغضب مرسوم على جبينها ، فقد عقدت العقدة بين حاجبيها .

وليد : {إذا أستولى داء المحبة على القلب سرى بالأعضاء ، إذا إستولى على الجوارح نشر حمم المحب على سائر البدن ، يطيش العقل بذكر الحبيب ، يحدث للقلب إستغراق ويطوف بالبدن سكون ، يراه الجاهل عته وجنون } من يرى حبي لك عته وجنون هو جاهل ياحبيبتى .



صعد كل من هما السيارة ، لم يتحدث وليد معها بل وجه كلامه لملك وأشرف ، ظل يتحدث ويبدى إعجابه بحنان ، يقوم بالثناء عليها ويصف جمالها ورشاقتها وتدليلها وكل مفاتنها ، يسمع أشرف ولا يتكلم ويتعجب فقط

ملك : أن زوجتك أجمل منها بكثير .

وليد : نعم ، ليس الجمال كل شئ يا أختى العزيزة ، ملك تشعر بمنى وتشعر بتضارب مشاعرها فهى أكثر إنسانة تشعر بها ،

ظلت ملك تقذف حنان بالألفاظ ووليد يدافع عن حنان ،وينظر لمنى فوجدها تتجه بنظرها نحو نافذة السياره ،وتلصق رأسها عليها ومقفلة الأهداب ، لم تلتفت له مطلقا طوال الطريق ، بل وضعت وجهها بين أحضان النافذه ، ظل الهواء يداعب شعرها ويجعله يتناثر على وجهها

مد وليد يده على وجهها ليرفع شعرها من عليه فتنحت يده وجعلتها تبتعد عنها فضحك ورفع يدها ورفع شعرها بدون إرادتها عنوة ، بعدها نظرت له نظرة عتاب ، نظرتها شقت صدره ، نظر لها ولم يتفوه بكلمه فهو يعلم أنها تتمزق من داخلها ، هو أعلم الناس بها ورجعت بوجهها ووضعته فى أحضان النافذة ، تنظر إلى السيارات وهى تتسابق وخيالها شارد مع سباق السيارات ، تقول لنفسها أن البشر مثل السيارات ، تتسابق مع بعضها ، أين أنا من هذا السباق ، أنا خاوية من الداخل أين قوتى حتى أتسابق معهم ، هل ضعفى يقدر على سباق قواهم ، أنا ضعفت قوايا وهزلت مشاعرى ودمرت روحى

ظلت تسأل نفسها أين أنوثتى التي قتلت لم يشعر بها زوجى ؟، أين جسدى الذي لم يستمتع به زوجي ؟! دفن وتناثرت أشلاءه ، ظلت تعاتب نفسها وتتحسر على حالها ، تقول بماذا أعاتبه وهل عندى القدرة التى تجعلني أقول له لماذا فعلت بي ذلك ؟ أين أنا من هذا السباق ؟

ظلت تعاتب نفسها وتلتمس الأعذار لكل من حولها كعادتها ، ظلت شريدة ضائعة وتظن أن لا أحد يشعر بها ، روحها تتصارع مع نفسها مع منى الأنثى ومنى الطفلة ، بين زوجها الذى يعشقها ، الزوج الذى تحمل الكثير من أجلها والذى لم يجرح مشاعرها يوما ، لكنها تنظر اليوم فتجد أن منزلها سوف ينهار وسوف يهدم المعبد عليها فقط ، هى تعتقد أن وليد قد فتن بحنان وجمالها ، مثلما فتن بجمالها أول مرة نظر إليها ، لكنها ظلت صامته عن الحديث ، لكن بداخلها صراعات مميتة ، عندما وصلوا إلى المنزل وقفت السيارة ، فتحت منى الباب وهبطت من السيارة مسرعة دون أن تتكلم مع أحد وصعدت السلم مهرولة ، تركتهم جميعا واقفين أمام باب المنزل ، تركت ملك وأشرف ووليد يصعدون مع بعض ، فشقتهما أسفل شقة وليد مباشرة .

ملك : وهي تبكي يا وليد إن منى تتعذب ،

لم تقل غير ذلك ، هى الأخرى تتمزق من داخلها على حال صديقتها ، هى تشعر بكل جوارحه .

وليد : لاتخافى عليها ، أنا أعرف أنها قويه وسوف تجتاز هذه الأزمة ، هي رزينة ، تفكيرها عاقل ، ربما يهديها الله إلى فعل الصواب ، لكن سأظل متظاهر بعدم إهتمامى بها ، حتى تظن أنى سوف أتركها ربما ننجح في الذى فشل فيه الأطباء النفسيون .

ملك : لاتزيدها اشتعالا حتى لا تحرقها ، أنت تعرف منى ، تعرف عندها وتكبرها على نفسها ، هى لاتحب أن يشعر بضعفها أحد .

وليد : لا تخافى هيا إذهبى إلى زوجك ، قد تأخرت عليه ، أنا سوف أذهب لها ،

صعد السلم ، وجد الباب مفتوحا ومنى فى غرفتها ، دق عليها الباب فلم ترد عليه ، تركها ودخل إلى غرفته بعد محاولات عديدة معها ، تركها مع نفسها ، بداخل غرفتها تنظر لنفسها أمام المرآة ، ظلت جالسة أمام مرآتها ، حتى آذان الفجر ، بعد آذان الفجر قامت وخرجت من غرفتها لتتوضأ وتصلى الفجر كعادتها ، بعد صلاة الفجر رفعت يدها إلى السماء وتضرعت لله ، ظلت تناجى الله قائله

{ أغلقت أبواب الملوك ،

وبابك مفتوح للسائلين ،

إلهى غارت النجوم ونامت العيون ،

أنت الحي القيوم التى لاتأخذه سنة ولانوم ،

إلهى فرشت الفراش وخلا كل حبيب بحبيبه ،

أنت حبيب المستضعفين وأنيس المستوحشين ،

إلهى إن أبعدتنى عن بابك ،

فإلى باب من ألتجأ ،

إن قطعتنى عن جنابك ،

فجناب من أحتمى

إن عذبتنى فإنا مستحقه للعذاب والنقم ،

إن عفوت عنى

فأنت أهل الجود والكرم }

، ثم استغفرت ربها ، نهضت ، خرجت من غرفتها ، ذهبت داخل المطبخ لتعد لزوجها الإفطار ، كأن شيئا لم يكن فهي دفنت أحزانها بداخلها ، بعد أن قامت بإعداد الطعام ، خرج وليد من غرفته بعد صلاة الفجر مرتديا ثياب الخروج ، خارج دون أن يفطر لأول مرة في حياتهم الزوجيه ، فنظرت له

وقالت ،هل تفطر ؟

وليد : لا سأتناول الإفطار فى المشفى، تناولي إفطارك أنتي ، لاتنتظرينى على الغداء .

منى : لماذا هل تتأخر ؟! .

وليد : نعم سوف أتأخر عندي عمليه كبيرة ، لابد أن أكون متواجد ، إحتمال أقضى الليل كله ، هناك سوف أبعث لك ملك لتوئنسك وتظل معك أو إذهبى إلى بيت والدك واقضي هناك كام يوم ، أنت لم تذهبى إليهم منذ زواجنا ،

منى : أنت تعرف أنى لم أرغب بالسفر إليهم ، أنا لا أريد أن أذهب هناك وأتذكر الماضى .

وليد : هل نسيت الماضي ، الماضى مزروع بداخلك ،

نظرت له فوجدته مختلفا ، ليس نفس الرجل الذى خرج معها أمس ، صمتت و صمت هو أيضا ، قبل أن يخرج

قال لها إفعلى مايحلو لك ، أنا ذاهب

وتركها والنار تتأجج بداخلها ، هى لاتعرف كيف تتصرف ، فكرت فى أمها أن تذهب لها لتطلب النصيحة منها ، تراجعت ، هى وأمها علاقتهما هامشية ، قالت تذهب لوالدها ، لكنها قالت أن وليد تحملها كثيرا ولم يشتك منها ، هى ستذهب لتشتكيه لمجرد موقف حدث بينهما منذ أن تزوجها ، ظلت تتحدث مع نفسها حتى دق باب شقتها ، وجدت ملك عند باب الشقة .

منى : هل وليد هو الذى أرسلك .

ملك : لا لم أعثر عليه هل وليد ذهب إلى عمله

منى : نعم ذهب .

منى : لماذا جئت إذن ؟

ملك : هل تريدين أن أذهب وأتركك .

منى : لا أقصد ذلك ، لكنى أسألك فقط .

ملك : جئت لأطمئن عليك ، فأنت بالأمس كنت متعبة وشاردة ، هل كنت تبكين هل تشاجرت مع وليد نظرت لها ولم تتحدث مطلقا .

ملك: هل تظلين طيلة حياتك صامتة على مابداخلك ،

نظرت لها ولم تتكلم ، هى لا تشتكى مابداخلها لأحد ، ظلت تتحدث معها ملك حتى تخرجها من همومها وتجعلها تتكلم ، نظرت لها منى وظلت صامتة ، ظلت على هذا الحال ساعات ولم تتكلم منى تنظر لملك وتستمع لحديث كل يوم وكل وقت وتظل صامتة ، هى تعرف أن ملك تحبها وتخاف عليها ، لكن طبع منى صعب جدا فهى صعبة التحدث مع أحد هى مستمعة جيدة لكنها متحدثة فاشلة ، لاتقدر على الكلام بل تتكلم مع نفسها وتحاور نفسها بدون سماع نبرة صوتها وتصرخ وتبكى وتشتكى لروحها ، لكنها لاتتكلم مع بشر فى شئ يخص حياتها الشخصية .

ملك : بعد أن يئست من الكلام مع منى ، سوف أذهب إلى شقتى حتى أعد الطعام لأشرف ،إن إحتجت إلى شئ حدثيني فى الهاتف وسوف أصعد لك مباشرة ،

خرجت ملك وفى قلبها حزن عميق على صديقتها ، بعد دخولها إلى شقتها ذهبت مسرعة إلى الهاتف ، إتصلت بوليد ، قالت له ماحدث ،

قالت له : عندما قلت لى فى الصباح أن أذهب لها فصعدت بعد ذهابك بساعة حتى لاتشك فى شئ ، لكنى يا أخى أخاف عليها فهى صامتة لا تتكلم .

وليد :أتركيها لنفسها ، لكن كل بضعة ساعات إذهبى إليها وطمئنينى .

ملك : سوف أفعل يا أخى ، سألته هل يوجد طريقة أخري لحل هذه المشكلة .

وليد : هى محاولة ، أتمنى من الله أن ننجح فيها ، فأنا أريدها إنسانة طبيعية ، أريد أن تخرج من الشرنقة التى أدخلتها فيها ظروفها .

ملك : لكنى خائفة عليها ، هى ذاقت المرار يا أخى .

وليد : الطبيب يلجأ لإستعمال المشرط لإجراء عملية جراحية لشفاء المريض ، نحن نعالج روح لاجسد فالمعالجات الروحانية صعبة جدا ياشقيقتى ، منى عاشت الحزن وعاشت السعادة معى ، لابد أن تختار هل تريد أن تحيا الحزن وتجعلنى أحيا معها هذا الحزن ، أوتحيا السعادة وتسعدنى أنا أيضا مدى الحياه ، قومى بالدعاء لنا ياملك أن يوفقنا الله لقد خرجت اليوم وقلبى يتمزق عليها ، وقلت أنى سأظل فى عملي اليوم حتى أهرب من نظراتها التى تمزق قلبي .

ملك : إن الله معنا يأخى إلى اللقاء ، أستودعك الله ، إطمئن سوف أذهب لها بعد عودة أشرف من العمل ، أقدم له الطعام ، بعدها سوف يذهب اليوم إلى والده ، هو يريد زيارتهم ، كنت سوف أذهب معه ، لكنى سأظل مع منى حتى تعود ،

بعدها دخلت المطبخ لتعد الطعام ، ملك : تحدثها نفسها وتقول : منى الآن جالسة على كرسي السفرة وواضعة وجهها بين أحضان زنديها ، ستظل هكذا مثلما تركتها ، سوف أذهب لها سوف أجدها كما هي ، هى عندها القدرة على الصمود فى المواقف الصعبة ، هى صغيره جدا على تحمل كل هذه الهموم .

بعد عودة أشرف من العمل وضعت له الطعام ، في المساء ذهبت ملك إلى منى ، دقت الباب عدة مرات ولم تقم منى لفتح الباب ، فتحت ملك بالمفتاح الذي معها ، دخلت وجدت منى كما تركتها فى نفس المكان لم تقم من مكانها لعدة ساعات ، أخذتها ودخلت بها غرفتها وسندتها ، هي لاتحملها قدماها من شدة الحزن والتوتر ، لم تطعم نفسها شئ طوال اليوم ، هى تخشى الفشل للمرة الثانية ، تركتها ملك ، ذهبت إلى المطبخ وأعدت لها عشاء وكوب لبن ، لكنها لم تأكل ولاتشرب .

منى : سأخلد للنوم ، تركتها ملك تنام بعدما قامت بمحايلتها على أن تشرب كوب اللبن فقط ، ذهبت بالطعام مره ثانية الى المطبخ ، قامت بتشطيب المطبخ ، عادت ملك إلى منى .

ملك : أنا سوف أقضى ليلتى معك لأنى أخاف أن أظل وحدى .

منى : أين أشرف ؟

ملك : ذهب لذيارة عائلته فى القرية ، سوف يقضي اليوم هناك وسيأتى غدا بمشيئة الله ، ، سوف أقضي الليلة فى غرفة وليد حتى لأزعجك .

منى : لا بل إخلدى للنوم بجوارى أريد أن أغوص بين أحضانك حتى أشعر بالأمان ،

ذهبت ملك إلى منى وأخذتها بين ذراعيها وغاصت منى داخل أحضان ملك ، كأنها تغوص فى أحضان والدتها ، خلدتا للنوم معا حتى الصباح ، جاء الصباح أستيقظت ملك وتركت منى نائمة ، ذهبت إلى شقتها لتنظفها وتعد الطعام وتقوم بمهامها اليومية ، ظلت منى مع نفسها وبعد ساعات دق جرس الهاتف ، قامت مسرعة من الفراش ، ردت على الهاتف ، فكان وليد .

منى : لماذا تتأخر علي هكذا ، هل تعاقبني ،

وليد: عندي عمل بالمشفى

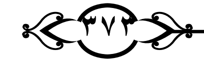
وليد : وسوف أمكث فى المشفى لإسبوع لأناني مشغول جدا .

منى : وأنا هل تتركنى بمفردى .

وليد : هل أنت ترغبين بأن تكونين مع أحد ، أنت تحبين الوحدة ،

وضعت سماعة الهاتف بعدما سمعت كلام جرح مشاعرها وكبريائها ، هى لم تعتد على سماع هذا الكليمات من زوجها ،

سألت نفسها قائله : هل هذا زوجى ؟ كان مثل ملاك الرحمة الذى لايحتمل علي نسمة الهواء ، أصبح قاسي القلب ، لمجرد أنه وجد فتاة جميلة ،



تركها مع نفسها لمدة أسبوع ، ترك ملك تراعيها ، تبلغه بأخبارها كل يوم ، كما طلب منها أخيها حتى يطمئن عليها ، لأنه يخاف على حالتها النفسية ، بعد مرور أسبوع كانت حالتها أصبحت بخير ، هى عندها القدره على أن تأقلم نفسها على تحمل الظروف المحيطة بها

ملك : أنها بخير عادت بخير .

بعد ساعات دق جرس الهاتف ، كان وليد

قالت له عند سماع صوته هل

منى : هانت عليك منى إلى هذه الدرجه .

وليد : أريدك أن تراجعى نفسك وتتصالحى معها .

منى : هل تأتى اليوم ؟ .

وليد : هل تريدين أن أعود ؟.

منى : نعم أريدك ، المنزل ليس له روح من غيرك .

وليد : وأنا مثل المنزل ليس لى روح من غيرك ، قد ذهبت عنك وتركت قلبى وروحى عندك ، سوف أفرغ من عملى وأعود إليك مسرعا .

منى : أنا فى إنتظارك ،

وضعت الهاتف وسعادتها بلغت عنان السماء ، هرولت إلى المطبخ لتعد له عشاء فاخرا ، تريد أن يتناولا العشاء على ضوء الشموع ، ظلت طوال اليوم تعد له كل أصناف الطعام التي يحبها مثل الحمام والأرز ودجاج مشوى ، أعدت لملك نفس العشاء ، أعدت حلويات ، ذهبت لملك بالعشاء لها ولأشرف ، هى فى قمة السعادة .

ملك : أراك سعيدة ! مايسعدك ؟

منى : وليد سوف يعود اليوم ، هو أول مرة يغيب عنى كل هذه الأيام ،

ضحكت ملك .

ملك : هل أنت سعيدة حقا ؟

منى : هل عندك شك فى ذلك ؟

ملك : لا ، أخذت منها الطعام وتركتها تذهب حتى تجهز نفسها لعودة زوجها .

ذهبت منى إلى شقتها ودخلت إلى المطبخ بعد صلاة العشاء ، وضعت الطعام على السفرة ، جاءت بالشمعدان ووضعته على السفرة ، حتى تشعله عندما يأتى وليد من عمله بعد أن أطمأنت على كل شئ ذهبت إلى غرفتها ، قامت بارتداء ثوبها الأسود ، الذي يحبه وليد نفس الثوب التى كانت ترتديه يوم عيد ميلاد سماء ، وضعت العطر وزينت نفسها ، كأنها عروس في ليلة زفافها ،

لكنها ظلت منتظرة ساعات بعد العشاء ، هى جالسة أمام التليفزيون ، عندما يئست من عودته داعب النوم جفونها ، نامت وهي متكئة على الأريكة ، عند أذان الفجر عاد وليد من المشفى ، فتح الباب ، دخل وجد العشاء والشمعدان على السفرة ، إبتسم ودخل مسرعا على غرفتها ليغذى وجدانه منها ويرسم ملامحها فى عينيه ، لم يجدها .. ذهب إلى غرفة التلفزيون وجدها نائمه مثل الملاك متهدلا بعض من شعرها على وجهها ، جلس بجوارها ليملأ عينيه من ضياء وجهها ، قام برفع خصيلات شعرها بأنامله ليتحسس نعومة بشرتها فاقترب منها دون أن تشعر ليمتلئ صدره بعطرها وعبير أنفاسها ، داعبته مشاعره فهام بوجهه وشفتيه تريد أن ترتشف قطرات الندى من شفاهها ، شعرت منى بزفيره وهو يشق صدرها يدخل عنوة ، يتسابق ليرطب مشاعرها ويدغدغ أحاسيسها ، استيقظت لكنها لم تسمح لجفونها أن تتحرك ، حتى لايشعر أنها مستيقظة ، حتى تعرف ماذا سيفعل ، هل مازال شوقه لها كما هو أم الهجر والفراق كان أكبر سلاح لقتل المشاعر والأحاسيس ، لكن روحها ومشاعرها وأحاسيسها يهاجمون قلبها ويتمنون عودته للحياة ، أن يعود بنبضاته لإحياء الجسد الذي يأويه ويعوله ، كل جوارحها هاجمت عقلها ، أفقدته السيطرة عليها ، أصبح كل كيانها في غيبوبة تسمى لذة الإحتواء ، انتصرت عليها مشاعرها وأحاسيسها وتمنت أن يقبلها ويحتضنها ، لكنه لم يفعل ذلك ، لأنه أفاق من شروده مسرعا خوفا أن يضعف وخطته تفشل ، قد خاب ظنها ، قام بوضع ذراعه على ظهرها وذراعه الأخرى على فخذيها وقام بحملها ، هي مسترخية ،

حتى لايشعر أنها مستيقظة ، وضع وجهه في وجهها وظل ينظر إليها ويتنفس عبيرها ويتمنى من داخله أن المسافة تطول به حتى يتشبع جسده بلمساتها ويتشبع صدره بعبيرها ، تتحرك قدماه بخطوات بطيئة جدا ، لامن ثقل وزنها ، لكن من خفة طلتها ، هو يشعر أنه يحتضن روحه بين ذراعيه، كل كيانه هائم فى سمائها ، قلبها يحدث قلبه وهو ملتصق بها ، جسدها يتهامس مع جسده عن قرب وعبير أنفاسها تذوبه ، كأنها كأس خمر ، هو يخطو بقدميه ولايشعر بهما بل يشعر أن كل جوارحه وكيانه ينتفض عشقا وهياما ، لكن مع تدفق هذه المشاعر والأحاسيس تغلب عليها جميعا ، ذهب بها إلى غرفتها ، قام بفتح الباب بقدميه ، ذهب بها على السرير ، وضعها وجاء يسحب يده من جسدها ويعطيها ظهره ويمضي ، أمسكت يده ، فالتفت إليها بكل ماعنده من قوة متبقية من حرب الأعصاب الذي كان يحارب نفسه بها ، نظر إليها ولم يجعل عيناه تتقابل مع عينيها فخاف أن يسحر بعينيها ، فيضعف وينهار كيانه أمامها ، خاف من خيبة الأمل ، نظر لها بجفاء .

وليد : ماذا تريدين من يدى ،

نظرت له وعيونها تهفو بمالا يستطيع فاه أن يهفو به ، قلبها ينطق بما لايستطيع لسانها أن ينطق به ، شفتاها ترتجف شوقا وتريد أن تحتضنها شفتاه ، كادت جوارحه وكيانه أن ينهارا ، يريد أن يغمس وجهه في حضنها ليروي ظمأه ، أصبحت شجرة عشقه تتساقط ثمارها وأوراقها وذبلت غصونها ، كادت أن تجف وتموت من طول سنين الجفاف التى تمر بحياته ، جلس بجوارها على الفراش ، تبادلا النظرات للحظات ، كادت قواه أن تنهار مرة أخري

وليد : ماذا تريدين مني الأن ؟! دعينى أذهب .

منى : سوف أعد لك الطعام .

وليد : أنا لا أريد غذاء لجسدي بل أريد غذاء لروحى .

منى : ياوليد بداخل كل منا أشياء كثيرة تريد أن تتفجر مثل ينابيع الماء التى تتفجر في ربوع الصحراء ولايوجد المناخ الذي يساعدها على التدفق

وليد : متي يتفجر ينبوع عشقك لي يامنى ؟ ، يامنى أنا فى أشد الإحتياج له حتى أقدر على تحمل صعاب الحياة ، حتى أشعر بطعم السعادة حتى أشعر بكيانى ، يامنى لقد اقتربت مشاعري أن تتجمد من كثرة برودة أجواء حياتنا ، يامنى لقد فرغ صبرى ، ضعفت قواى ، لم أقدر على التحمل .

منى : أريدك أن تصبر علي حتى أعود بنفسي إلى نفسي .

وليد : هل أصبر أكثر من ذلك ؟ ، قد تعب الصبر من صبرى ،

يناجيها بكل جوارحه وكيانه ، يقول وفي عيونه دمعة حائرة ، لاتريد أن تتساقط فيشعرها بضعفه وخوار قواه ، نظر لها بكل مشاعره وأحاسيسه

ثم قال أنا رجل يامنى لست بجماد أحس وأشعر ولي رغبات وحقوق وأريدها منك أنت ، أريد قلبك وحبك وحنانك وعطفك وأريد أن أشعر بدفء حضنك فى يوم الشتاء ونسمة باردة فى يوم شديد الحرارة وأستنشق عبيرك فى فصل الربيع أريد إحتوائك لى ، أنا زوج بلا زوجة ، عاشق بدون عشيقة ، محب بدون حبيبة ، أريدك تكونى لى اليم الذي يروى ظمئي ، البسمة التى تزين وجهى ، النور الذي يضئ طريقى ، ظن أنها سوف تحنو عليه بلمسة خفيفة ، همسة من شفتيها ، تأخذه في حضنها ويغمس وجهه في صدرها لينسى كل سنوات الجفاء والهجر ، لم يحن قلبها له سيطر الخوف عليها

وخافت أن يحدث لها مثلما حدث لها من علاء ، عادت إلى رشدها ، نظرت له كعادتها بنظرة خوف ، هربت من نفسها ومنه بكل جسدها، وقامت من فوق السرير وإبتعدت عنه ، تركته كعادتها تتأجج نيران شوقه تحرق فؤاده ، نهض من على الفراش ، نهض ولم ينطق بكلمة واحدة ، ذهب إلى غرفته مسرعا ، ونهضت من فراشها بعد رحيله تصرخ وتبكى على حالها وحال زوجها ، هو يسمعها ويسمع بكائها وصرخاتها ، كأنها تناجيه أن يأتي ، يخطفها من نفسها وضعفها ، لكنه هو الأخر يريد من يخطفه من نفسه ليعيده لنفسه وألقى بنفسه على فراشه وحضن وسادته كعادته كأنه يحتضن منى بين ذراعيه ، خمدت نيرانه بعد لحظات خلد للنوم



لكن منى لم تخمد نيرانها ، ظلت تعاتب فى نفسها وتحاسبها على ماتفعله بالرجل الوحيد الذى يحبها بصدق والذى لايمل من هجرها له ، لكنها قالت لنفسها إن كل إنسان له طاقة تحمل ، وقد نفذت طاقة وليد ، جلست وهدأت من روع نفسها وظلت تفكر وتتفاوض مع نفسها ، تسألها هل تستمر معه بكل هذه القسوة وتخسره ، جعل حبه ينقلب لكراهية أم تفارقه إلى الأبد ، حتى يسعد بحياته مع فتاة أخرى طبيعية ، هو لم يقصر معى مطلقا فى شئ ،

أنا لأعلم متى وكيف أعود لنفسى ، ربما لن أعود مطلقا ، أعيش مثل أى أنثى ، مرت أيام وأسابيع وشهور ، هما لى يتحدثا مع بعض ، يأتى وليد من عمله يدخل غرفته بدون أن يتحدث معها ، تسمعه طول الليل يتحدث فى الهاتف دون أن تعرف مع من يتحدث ، فى الصباح يذهب وبعد أن يذهب يرن التليفون ، تقوم برفع السماعه فلا يجيبها ويغلقه عندما يسمع صوتها ، وعندما يعود يدق جرس الهاتف وإن قامت بالرد لا أحد يجيبها ، إن قام هو بالرد يجد من يحدثه ، يأخذ الهاتف معه إلى غرفته ، يظل يتحدث بالساعات وبعدها يرتدى ملابسه ويتزين ويضع العطور ويخرج ، لايعود من الخارج إلا أن تنام ، هكذا ظلت حياة منى على هذا الوضع شهورا ، وهى لاتشتكى ، لا تتكلم ، تضع سكينتها فى قلبها ، تصمت ، مع كل هذا تلتمس له العذر ، لم تتهمه بخيانتها ، هى لم تكن ملكه يوما حتى تتهمه بخيانتها ولاكانت زوجة له حتى تشتكى أن زوجها يخونها ، هى لاتعلم مع من تتحدث أو تشتكى ، هى وحيدة ليس لها من تتكلم معه فكرت أن تتحدث مع ملك ، لكنها قالت لنفسها أن ملك أخته كيف أقول لأخته أن أخيك يعشق فتاة أخرى ، هى لاتريد أن تشهر به بل تحافظ على سمعته وكرامته فهو طبيب ، وسمعته تعنى له الكثير ، ظلت صامتة وحزينة ولكن مع نفسها ، أصبحت لاتري وجهه ، يأتى من الخارج وهي نائمه ويخرج وهى نائمه ، إلى أن جاء يوم مواجهتها بحقيقة مشاعره لحنان ، جاء من العمل ودخل عليها غرفتها ، بعد أن طرق الباب كعادته ، طلب منها أن تأتي إلى غرفته ليتحدث معها .

منى : بإمكانك أن تتحدث هنا فهذه غرفتك أيضا

وليد : لا لم تكن غرفتى فى يوم من الأيام ، لن تكون غرفتك بعد الآن .

منى : كيف ؟ أنا لم أفهم !

وليد : سوف تفهمين كل شئ عندما تأتين إلى غرفتي ، تعجبت من كلامه ، لكنها لم تستغربه ، هى متوقعة أن يأتى هذا اليوم فى أى وقت.

منى : سوف أحضر خلفك ،

نزلت من الفراش وجاءت بحقيبة ملابسها ووضعت بها كل محتوياتها ولبسها وقررت الخروج من المنزل ، قبل أن يطلب منها ذلك ، لكنها لم تعلم إلى أين سوف تذهب ، هى ليس لها أحد تذهب له غير بيت أبيها ، هى قد أخذت عهدا على نفسها الا تعود إلى هذه البلدة ، وقفت حائرة مع نفسها ، هى لاتعلم أين تذهب ؟، أين تسكن ؟ ، من أين تأتى بمتطلبات معيشتها ، نظرت إلى مصاغها وقالت إنه من حقه هذا مصاغه ونظرت الى مصاغ والدها ، قالت وهل يكفينى هذا المصاغ كم من الوقت فأنا أحتاج لسكن وطعام وشراب ، أنا لم أكمل دراستى حتى أبحث عن عمل شريف أتعايش منه ، لعب بعقلها الشيطان فضاق صدرها وقررت الإنتحار ،

قالت لنفسها أنا لم تكتب لى السعادة قد سئمت من حياتى كلها وتعبت من محاربة نفسي ، ومع كل هذا الألم الذي بداخلها لم تسقط دمعة من عينيها فقد جفت دموعها مثلما يجف النهر بعد فيضانه، تنهدت تنهيده قوية ، قالت أقتل نفسى بيدى لابيد الزمن ، إرتدت ثيابا للخروج وحملت حقيبتها ، خرجت من الغرفة متجها إلى باب الشقة ، سمع وليد صوت خطواتها ظن أنها آتية له جلس على الفراش ينتظر قدومها بعدما كان حائرا ولم يتمالك نفسه فهو لايعلم ماذا يقول لها ومن أين يبدأ الكلام ، سمع باب الشقه يفتح ، خرج مسرعا ، وجدها تخرج حقيبتها من باب الشقه ، هرول إليها وأمسك ذراعها .

وليد : إلى أين تذهبين .

منى : حيث يشاء الله لى .

وليد : لماذا ؟

منى : أنت تعرف لماذا .

وليد : أنا لأفهم !

منى : أنا لاأريد منك أن تفهم شيئا ، أتركنى أذهب أولا ، سوف تفهم كل شئ بعد رحيلى .

وقف على الباب ولم يسمح لها بالخروج ، أمسك بيدها وأدخلها إلى الشقه ، خرج ، قام بحمل حقيبتها ، أغلق الباب بالمفتاح ، أخذ المفتاح ووضعه في جيبه .

وليد : سوف نتحدث أولا ، إن لم نتفق سوف آخذك بنفسي وأذهب بك حيثما تريدىن .

منى : لا أقدر على سماع ماتريد أن تقوله ، أنا أعلم ماتريد أخبارى به .

وليد : وهل شققتي عن قلبي ؟هل قرأت مافى عقلى ؟

منى : نعم ، شعرت به منذ عيد الميلاد ، إزداد تأكدى يوما بعد يوم .

وليد : إسمعى يا منى وبعدها قررى ما تفعلينه .

جلست على المقعد الذي وضعته حتى يجلس عليه وليد عند عودته من عمله ليخلع نعليه ويلبس خفا نظيف للشقه .

وليد : لا لن نتحدث هنا سوف نذهب إلى غرفتى ،

أمسك بيدها ، أخذها معه عنوه ودخل إلى غرفته وأغلق الباب .

منى : وهل يوجد أحد فى المنزل غيرنا سوف يسمعنا ؟

وليد : لماذا تغلقى عليك باب غرفتك ؟ هل يوجد هنا أحد غيرنا تخافى أن يراك؟ ،

نظرت له ولم تتحدث ، جلست على المقعد ، أخذ بيدها ، أجلسها بجواره على الفراش ، نظر إلى عينيها ، وجد بها دموعا متحجرة ، لكنه لم يشفق على حالتها ، ظل يتلاعب بالأفاظ معها ، هى جالسة ، تحاول أن تتماسك ، يرتجف جسدها من الخوف .

وليد : بعد محاورات وتلاعب بأعصابها ، أخذها على غرة ، قال أنا سوف أتزوج ، نظرت له ، لم تندهش من الخبر ، لم تعلق بكلمة واحدة غير أنها نظرت له فقط .

وليد : أنا سوف أتزوج من حنان إبنة خال الدكتورة سماء ،

ظلت صامته ولم تتكلم ،

نظر لها ألا تتكلمى ؟

منى : أتيت معك حتى أسمعك فقط ، فأكمل حديثك

فهى تتحدث معه بدم بارد ، قلب ميت ، هى قررت أن تفعل مالا يتوقعه ، ينظر إليها بإستغراب ودهشة ، لم يتوقع ردة فعلها ، لكنه قرر إستفزازها وخرجها من صمتها .

وليد : سوف أتحدث معك بالمنطق ، أنت تعلمين أنى رجل مكتمل الرجولة ، أنا أصبحت الآن أريد زوجة ، أنا لم أعد أقدر على تحمل هجرك لى ، قد تعبت نفسيا وجسديا من طول هجرك الذى لم أعرف متى سينتهى ؟ ، أما حنان أصبحت لى كل شئ فهي تعطينى الحب بدون أن تطلب شئ غير قلبى ،

نظرت له نظرة ساخرة .

منى : أنا لم أكن حب حياتك فى وقت ما ،

نظر لها

وليد : نعم كنت كل شئ لى وكنت أول حب فى حياتى

منى : أول حب ، هل العواطف والمشاعر تأخذ بالدور أول وآخر ؟

وليد : وهل تعلمين شيئا عن تلك الأحاسيس .

منى : ألست بشرا مثلكم .

وليد : نعم بشر ، لكنك قتلت كل مشاعرك وأحاسيسك ، لم تتدرك أنك تقتلين جسدك وروحك معا ، أما حنان فكلها أنوثه ، أنوثتها طاغية ومشاعرها متدفقة ، حنانها ليس له مثيل ، هى تخاف علي من النسمة أن تجرح جفونى ، تخاف أن تفتقدنى ، أنا محتاج لكل هذه المشاعر حتى أشعر أنى على قيد الحياة ، قد قررت أن أتزوج حنان ، قد طلبتها من والدها ، إتفقنا على كل شئ ، وأتيت لأخبرك بهذا القرار .

منى : نعم علمت بقرارك ، هل تسمح لى إذن بالرحيل .

وليد : لن أسمح أنت زوجتى وستظلين زوجتى ، أنا سوف أعدل بينكما فى كل شئ .

منى : لن أظل زوجة لك ، سوف أرحل من هذا المنزل .

وليد : نعم سوف ترحلين ، لكن أنت تعلمين أنى أفرش شقة فى منزل والدى ، لم نسكن بها بعد زواجنا ، سوف أخذك لتعيشى مع أبى وأمى هما يحبونك مثل ملك وأكثر .

سوف أقوم بزيارتك كل أسبوع ، أنت لاتحتاجين لى كرجل ، لن ينقصك شئ ، كل طلباتك سوف تجديها قبل أن تطلبيها ، سوف أتكفل بكل مصاريفك وأكثر ، سوف تجدينى بجوارك كلما إحتجتينى كأخ وصديق ، أليس هذا كلامك عندما طلبت منك الزواج ، هل تتذكرينه أم نسيت كلامك ، انا لم أنس كلمة واحدة منه ، طالما تمنيت أن أوافقك الرأي ، لم أخض معك هذه التجربة المميتة ، أنت أنانية ، لاتحبين غير نفسك ، لاتقبلين أن تضحين من أجل أحد ، لا من أجل نفسك أيضا .

منى : لاتجرحنى .

وليد : أنا لا أجرحك أنا أحلل نفسيتك وشخصيتك ، قد فاض بي الكيل من تقديم التنازلات ، كان عندى أمل أنك سوف تشعرين بى وبكيانى وحبي وعشقي وتضحيتى التي طالما بذلتها من أجلك .

منى : لكنى أريد أن أنفصل عنك .

وليد : لن أطلقك ولن ترحلى من هنا ، حتى أذهب بك غدا إلى بيت والدى ، خذى كل شئ لك هنا ، حتى أقوم بتجهيز هذه الشقة بجهاز جديد ، قد إتفقت مع مهندس ديكور سوف يجهزها فى أسرع وقت .

منى : لا تريد أن تطلقنى ، أنا لا أريدك دعنى أذهب من هنا .

وليد : قلت لك كلمة واحدة ، إذهبى إلى غرفتك ، أريد أن أتحدث مع حنان وأطمئنها أننى وصلت إلى المنزل ، هى لاتطمئن علي إلا بعد دخولى المنزل لأنها تعشقنى ،

نظرت له ودموعها المتحجرة قد انفجرت أصبحت مثل شلال ماء لا يتوقف ، خرجت منى من الغرفة مهرولة تندب حظها ، تشتكى من الله إلى الله ، خرجت وبداخلها أمنية واحدة ، أن يأتى وليد لها ، يقول أن كل مارأته وسمعته هو كابوس ليس بحقيقه ، ، بعد خروجها من عند وليد قام بعمل إتصال ، إلى ملك وقال لها أنه واجه منى بكل شئ .

ملك : إذهب لها وقل الحقيقة ، أنت تعرف منى وحالتها النفسية لا ربما تفعل بنفسها شئ يضر بها .

وليد : هل تشعرين بي وأنا أتحدث معها ، كنت أتكلم وبداخلى بركان من الغضب الحزن ، أنظر لها وأجدها تتحمل كل هذا الكلام ، قد تحملت فوق طاقتها ، لكنى أقوم بهذه المحاولة يا أختى لعل الله يرجعها لى ، أنت تعلمىن كم أعشقها ولكنى أريدها زوجة ، حبيبة ، عشيقة ، أنا أحترق شوقا يا أختى ، كلما أجدها فى المنزل وهى بعيده عنى لا أريد جسد يتحرك في المنزل بدون روح ومشاعر وأحاسيس ، هى أيضا من حقها أن تتمتع بالحياة ، تشعر بالسعادة التى سرقتها منها الحياة ، تشعر أن لها قلبا ينبض ، يشعر بالحب والعشق وتتمتع بحياتها مثل كل فتاة طبيعية .

ملك : لكننا قسونا عليها طيلة هذه الشهور ، هى صامتة لاتتحدث بعدما كانت تتكلم معى وتخرج بعض الأشياء التى تريد هى أخبارى بها ، لكنى لست صديقة مخلصة لها يا أخى ، أنا كنت أتجاهلها خوفا من إفشاء سرك ، لكنى الآن لم أقدر على غياب منى من حياتى ، أنت تعلم ماذا تعنى لى منى ، كل هذه الشهور كنت أتحجج لها بحجج عديدة حتى لا أواجها ، وأنت تعرف كم هى حساسة ، أغلقت على نفسها ولم تقم بعمل إتصال واحد فى التليفون مطلقا طيلة هذه الشهور ، حتى لاتحرجنى أو تعاتبنى ، هى لاتحب أن تعاتب أحد أو تتناقش مع أحد فى شئ ، إذهب يا أخى إليها أرجوك وصالحها وحاول إرضائها فأنا أشعر بها وبكل مايحرقها أرجوك يا أخى إذهب إليها .

وليد : أنا خائف أن أفتح عليها الباب ،إن وجدتها تبكى سأجلس بجوارها أبكى أيضا .

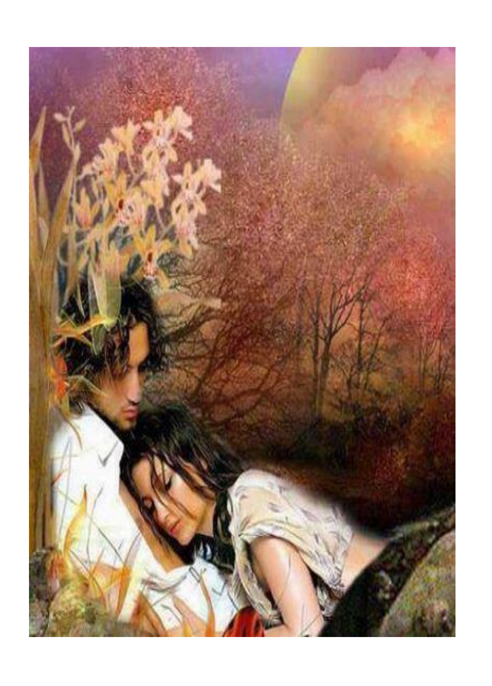
ملك : إن لم تذهب إليها سوف أصعد لك وأقول لها كل شئ حتى أريح ضميرى .

وليد : إن علمت أنك كنت على علم بشئ سوف تقاطعك مدى حياتها ، أنت تعرفين طبعها .

ملك : ليكن مايكون .

وليد : حسنا إهدئي سوف أذهب لها ، وليساعدنى ربى على تحمل رؤيتها وهى تتألم ،

أغلق الهاتف وجلس مع نفسه للحظات يفكر ، ماذا يقول لها عند دخوله غرفتها ، جاءت له فكرة ، ذهب ليبلغها بها ويقول لها أن حنان رفضت أن تتزوجنى وأنت مازلت زوجتى ، خرج من غرفته وهو يقدم قدم ويؤخر قدم ، يذهب إلى باب غرفتها ثم يعود مسرعا إلى باب غرفته ، يذهب مرة ثانية ويضع أذنه على الباب حتي يتنصت عليها ليسمع أى شئ ، فيجد سكون قاتل ولا يسمع بكاء ولا نحيبا ولاصراخا ، كل شئ هادئ هدوء الليل وساكن سكون المقابر ، شعر بخوف وانتابته حالة من القلق والتوتر ، لكنه خائف أن يفتح الباب خاف أن تكون فعلت بنفسها شيئا ، طرق الباب لم تفتح، فطرق الباب ماره أخرى ولم تفتح ـ لم تصدر أي شئ ، ظل ينادى عليها ، لم تنطق ، قام بفتح الباب عنوة .



بعد أن فتح الباب ، وقف مصدوما لما وجده بالغرفة ، فقد وجد مالا يتخيله عقل أو يصدقه بشر ، وقف صامتا لا يصدق نفسه ، لم تقدر قدماه على السعى حتى يذهب إليها ، وقف يحدث نفسه ويحاول الدخول إلى الغرفة ، لم يستطع الدخول ، كل جوارحه وكيانه توقفت عن العمل فى هذه اللحظات حتى لم يستطع أن يتحدث بشئ ، ظل يحاول أن يجعل حواسه تعمل مثل سابق ، حتى يستطيع فعل شئ ، لكنه لم يقدر علي فعل أى شئ غير أنه وقف ينظر لها فقط ، بعد لحظات وجد إمرأة ثانية تقف فى الغرفة ترتدى قميصا أسودا مكشوف من الخلف وقصيرا فوق الركبتين وبه فتحة بالجنب ، ورائحة العطر تفوح من الغرفة ،

كأنه واقف أمام حديقة غناء كلها زهور ، عبيرها يخترق صدره ، شعرها منساب على ظهرها ، وقف ينظر ويقوم بمسح عيناه خوف أن يكون عيناه لم تنظر جيدا ، يكلم نفسه من هذه السيدة التى دخلت غرفة منى وأين منى ؟ أنا لم أسمع الباب يفتح أويغلق ، وضع يده على جيب قميصه ليبحث عن مفتاح الشقه ، هو لازال في جيبه ، ظل واقف يتحدث مع نفسه ، يستمتع بالنظر لهذه المرأة ، لم ينظر إلى هذا المنظر طول حياته غير في أحلام يقظته ، لم يري وجهها حتي الأن ، عندما إستدارت له ، زدات صدمته من هول المفاجأة ، وجدها من تأتى إليه وتمسك بيده وتدخله داخل الغرفة ، وهو يذهب معها دون أي مقاومة ، ذهبت به إلى الفراش ، أجلسته ، جلس وهو لايشعر بنفسه ولا بجوارحه ، لا يعلم ماذا يحدث له ، جلست بجواره ، نظرت فى عينيه وهو ينظر فى عينيها ، ظلا يتبادلا النظرات ، تتحدث العيون بكلمات وحروف لايفهمها غير وجدان كل منهما ، قامت بتخلل أناملها بين أنامله ، حضنت يديه بيديها ، قبض على يديها وكأنه يقبض على قلبها ، شعرت أن قبضته هذه جعلت قلبها يرتجف ويعود للحياة ، بعدها فتحت كفه ، قبلته بشفاهها فخر راكعا على ركبتيه ، جلس على قدميه بكل تواضع ورجولة قوية فضعف الرجل أمام حبيبته منتهى القوة والإحتواء ، بكل ضعفه ورجولته وكيانه وكل جوارحه مثل الطفل الذي عثر على حضن أمه بعد غياب سنوات ، ضمته ،إلى صدرها ، أخذها بين ذراعيه وغمس وجهه في صدرها حتى تتشبع رئتاه من عبير جسدها ، بعد دقائق لم تحسب رفع وجهه ، ونظر لها .

وليد : أين كنت ياحبيبتى ؟ ، قد أفتقدك من سنوات طويلة تعبت من عدها ، لماذا تأخرت علي هكذا ، أنا انتظرتك طول حياتى ، قد نبض قلبى بحبك وقتما تعلم أن ينبض ،

قام وقبل جبينها ووجنتيها وهو لايصدق أن شفتيه تلمس جسد أنثى ، وجد جسدها يرتجف بقوة .

وليد : لاتخافى من شئ ، أنا لست همجيا ولا حيوان جائع ، لن آخذ منك شئ دون إرادتك ، بل يكفينى أنك هنا بجوارى ، بين يدى وبين أحضانى أشعر بك وتشعرين بى ، هذا يكفينى ياحبيبتى ،

لكن مع كل هذا الكلام تتساقط قطرات الندى من عينيهما ، قامت بمسح دموعه بأناملها ، قبلت عينيه بشفتيها .

منى : لا أريد أن أرى هذه الدموع بعد الآن ، أنا منك وأنا لك ومن كان منك فهو لك ،

نظر لها بشوق وحنان وضمها إلى صدره ، شعر أنه يمتلك كل سعادة الحياة بين يديه ، أمسك بيديها وأوقفها أمامه ، قام بتقبيل جبينها ووجنتيها ، كاد أن يلتهم وجهها بشفتيه ، حملها بين ذراعيه ولف بها الغرفة من شدة سعادته بها ، هى تبتسم ، لكنها تشعر أنها تسعده ، لا تفكر فى نفسها وخوفها من الذى سيحدث بعد كل هذه المشاعر المتدفقه هذه ، قامت بدفن خوفها بداخل قلبها ، تظاهرت بالسعادة ، إمتلأت الغرفه بالبسمات والضحكات ، ظل يحملها ويلف بها جميع غرف الشقة ، ذهب بها إلى كل ركن فى عش الزوجية ، كأنه يشهدهم على فرحته ويشاركهم سعادته ، بعدها ذهب بها إلى غرفته ، وضعها على فراشه الذي كان يشاطره أحزانه وآلامه ووسادته التى كانت ترتوى من شلالات عينيه من لوعة فراقها وهجرها له ، كأنه يعرفها بأشلائه

المتناثرة فى كل قطعة توجد على مخدعه ، بعد ذلك وضعها من بين يديه وكأنه يضع قلبه على مخدعه ،حتى يشهد على ساعات السعادة ، مثلما كان يشاطره ساعات الأحزان ، جاء بوسادة دموعه ووضعها تحت رأس حبيبته حتى يخبرها أن بعد اليوم مكانك تحت رأس حبيبتى ، ماعاد لك مكان بين أحضانى ، بل جاءت من تملأ حضنى بشذاها وعبيرها ودفئها وحنانها وعطفها ، شعرت منى أنه هام معها فوق السحاب ، أصبح مثل كروان يغرد ويعزف ألحان ونغمات كلها بحروف اسمها ، نظرت له وغمست وجهها بين أضلعه وكأنها تدفن نفسها فى ثنايا قلبه وشعرها يلامس شفتيه وعبيرها يداعب أنفه ، قبلها وضمها بين ذراعيه ، كاد أن يخلد للنوم ، نظرت له وهى تتعجب بداخلها ، تقول لنفسها هل بعد كل السعادة وتدفق المشاعر سوف ينام بدون أن يلتهم جسدى ، إزدادت تعجبا .

وليد : ينظر إليها ويبتسم أقرأ كل مايدور بخاطرك أنا وعدتك لن أخذ منك شيئا دون إرادتك ، شعرت بعد هذه الكلمات وكل هذه التضحيه منه أنه إمتلك قلبها وعقلها وجسدها ، قالت لنفسها أن كل آلامى وأوجاعى ، سوف تتناثر بملامسة جسده .

منى بشفتيها ونبضات قلبها وروحها: هيت لك

نظر لها ، لم يصدق أنها توافق على إعطائه كيانها بدون تردد ، هى التى تبادر بقضاء ليلة حميمية ، وضع يده على مفتاح الضوء فانطفأ ، ليظلم المكان ، حتى لاتشعر بإحراج أو خجل منه .

منى : لا تطفئ الضوء أريد أن أخرج منى من ظلمات حياتها إلى ضوء حياتك ، أريد لروحها أن تتخللها أعماقك ، عاد الضوء الشارد ليضئ حياتهم بالسعادة والبهجة والفرحة وبعد مضي الحظات الحميمه التي شاركتهم السعاده ،

وبعد إنقضاء الليلة ، مع أول فجر فى حياتهم الزوجيه ، إستيقظ من نومه وهو يظن أنه كان هائما فى حلم جميل لايريد أن يفيق منه ، فتفتحت أهدابه مثلما تتفتح الزهور وعلى وجهه بسمة خافتة نظر بجواره فوجد منى نائمة ، كأنها لم تنم منذ سنوات بعيدة ، ظل ينظر إليها وهو متكىء على مخدعه وذراعه تحت عنقها ، لايشعر بها ، كأنه يريد أن تظل هائمه فى أحلامها ، هى مسترخية على زنده ، قضى بعض ساعات وهو على هذا الوضع هائم بخياله ، لكن ينتابه الخوف من أن تستيقظ ويكون ردة فعلها صعب ، لكنه مع كل هذه السعاده خائف أن تكون منى مازالت كما هى ، بعد لحظات استيقظت منى ، نظرت له وهى تبتسم .

منى : هل أنا أحلم .

وليد : بل هذه حقيقة ، نحن معا .

منى : والماضى .

ليد : لانفكر فيه بل نفكر فى الغد .

منى : وحنان سوف تتزوجها ،

ضحك وظل يضحك وضحكاته تضوى المكان .

وليد : حنان من ؟! أنا لم ينبض قلبى لسواك ، لم تنظر عينى لغيرك ولا تهيم روحى لغير روحك ، حنان هذه لم أنظر لها ولا اعرف ملامح وجهها بل كنت أرى وجهك فيها يوم عيد الميلاد ، أنا لم أعرف عنها شيئا غير من حديثكم .

منى : والمحادثات عبر الهاتف ، التى كنت تقضي اليل معها .

وليد : كنت أنزع فيشة الهاتف وأظل أتحدث مع روح منى ،

غاصت بأحضانه وقام بضمها لصدره كأنه يضم وجدانه وكيانه ، ظلت منى فى حضنه ،

وليد :طلب منها أن تسامحه على العذاب الذى أسكنه لقلبها وروحها ، طيلة هذه السنوات .

منى : أنا من يطلب منك السماح فهل تسامحنى

وليد : أريد أن أعرف كيف تغير تفكيرك بهذه السرعة ؟ هل هذه غيرة أم خوف أن أتزوج ، أم هذا التغيير نابع من داخلك .

منى : بعدما تركتك شعرت بغصه تشق قلبى ،ذهبت إلى غرفتى وظللت أبكى وأصرخ وسوس الشيطان بعقلى وقررت الإنتحار فبحثت عن مشرط داخل خزانتى وجدته ، فجئت به ، جلست أمام المرأة ووضعته على شريان معصمى ، نظرت إلى نفسى ، ظللت أنظر لها ، لكن الله وضع فى قلبى صورتك ، لكن صورتك لم تمنعنى

وليد : مالذى منعك إذا .

منى : منعتني كل طفله وكل إمرأة وضعتها الظروف فى نفس مكانى ، قلت لنفسى لماذا العند والتكبر ؟ هل أقبل أن أموت كافرة ؟ ويكون عذاب في الدنيا وعذاب فى الأخرة ، أم أنجو بحالى ؟! فقد بعث الله لى من ينقذنى من الضياع ، ظلت تتحدث معه تقول لو علم الآباء أن العزف على أوتار بناتهم دمار وموت وإنحراف وقتل لما فعلوا هذا كله بهم .

وليد : كيف ؟

منى : إن زواج طفلة أو زواج الفتاة بدون إرادتها هذا يعنى أنها إذا مابعث الله لها من ينقذها من عذابها مثلما بعثك لى ،

فمصيرهم كالأتى :

المصير الأول : الإنتحار حتى تنجو بجسدها من العذاب وان لم تنتحر ، قد تنحرف وتكون فتاة ليل أو أمرأة منحلة او تقتل زوجها وتقتل نفسها ، إن كانت شخصيتها قوية وتقدر على تحمل الظروف ويزرع الله بداخلها هدفا تريد أن تحققه ، سوف تغمس سكين فى قلبها ، تقتل جميع حواسها حتى لا تقوم بأى عمل يسيء لها ولعائلتها وكيانها وتتقاتل مع جوارحها ، مع كل هذا لم تعدل عن قتل كيانها ، تصبح جسدا بلا روح ، هذا أصعب أنواع التعذيب للنفس ، بذلك لن يكون هذا عدل ، بعد كل هذه الحوارات مع النفس ، قررت أن أحارب نفسي وأنتصر عليها بإرادتى ، أن أحول الطاقة السلبية التى غرستها الظروف بداخلى إلى طاقة إجابية ، أن أنسى الماضى وأبدأ معك من جديد وجودك جوارى ومساندتك لى ،

فعلمت روحي وكياني أنك أنت لى كل شئ وكل حياتى وكل كيانى ، كيف أتركك وأرحل وأنت من أنقذ حياتى مرار وتكرارا ، بعد مرور عام من ليلة زفافه ،

أفاق وليد على صرخات منى ، ذهب إليها وحملها وذهب بها إلى المشفى ، دخلت منى غرفة العمليات ودخل معها وليد بعد أن قام بالإتصال على والدها ووالدتها وأخواتها أكرم وياسين وأخته ملك وأشرف ، خرج لهم بعد دقائق ، معه إبنته فرحه بين يديه ، كانت فرحة لكل من تواجد ، كاد الكل يتخاطفها حتى ينظر إلى جمالها ، يحضنونها ، كأن كل واحد منهم يسكن أوجاعه بدفء حضنها وملمس بشرتها الناعمة التى لم يلوثها الهواء الملوث بأتربة الحقد والنفاق ، توجت فرحتهم بأكليل من الزهور وعبير أنفاسها وتغاريد صوتها الرنان جائت لهم طفلتهم الأولى فرحه أسموها فرحه حتى تكون لهم فرحة حياتهم . بعد خروج فرحة بساعة خرجت منى بعد إفاقتها من المخدر ، وجدت كل عائلتها وعائلة وليد متواجدين حتى يهنئونها ويشاطرونها فرحتها بفرحة عمرها استمرت حياة منى مثل كل إمرأة طبيعية فصنع الحب منها انسانة جديدة ، أتمت دراستها وساندت زوجها وإستمرت الحياة بينهما في سعادة وتفاهم .

منى : (بالحب نبنى ونعلو .... وبالحب تحيا االقلوب ، فالحب صانع للمعجزات)

النهاية



الكاتبة فى سطور



هند الهلاوى

أديبة وكاتبة روائية

كاتبة صحفية –

مدير عام جريدة أخبار القليوبية

عضو نادى أدب منيا القمح

حائزة لقب أديبة النيل والفرات عن روايتها (العزف على أوتار الطفولة) لعام ٢٠١٩

شاركت فى العديد من المهرجانات والندوات فى مصر

صدر لها :

العزف على أوتار الطفولة (رواية – الجزء الأول)

سجينة خلف أسوار الجمال (رواية – الجزء الثانى)

أنوثة ممزقة (رواية – الجزء الثالث)

محتوى الكتاب

تمت الأجزاء الثلاثة من الرواية بحمد الله

مع تحياتى

هند الهلاوي